



نشيد الأناشيد

للقديس غريغوريوس أسقف نيصص

القمص تادرس يعقوب ملطي

نشيد الأناشيد

للقديس
غريغوريوس أسقف نيصص

تعريب
الدكتور جورج نوّار

تعليق وتبويب
القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مارجرجس بإسبورتنج
إسكندرية

التحويل لكتاب الكتروني:

[Coptic kindle books]



بين يديك أيها القارئ العزير كتاب هو ثمرة شركة مع الله عاشها القديس غريغوريوس أسقف نيصص، فقد وُجد في هذا السفر حجال العرس السماوي، فيه تنعم النفس التي تُرد لها صورة الله بالاتحاد مع عريسها السماوي، تتعرف على أسراره وتشترك في عربون مجده الفائق.

لقد سبق ترجمة بعض مقتطفات لهذا العمل في كتابنا "نشيد الأناشيد"، والآن نفرح إذ يقوم **الدكتور جورج نوّار** بهذه الترجمة للنص... وهو نص عميق يحتاج إلى جلسات هادئة مع الله، لكي يختبر المؤمن "الحب الإلهي" ويعيشه!

الرب يستخدم هذا العمل لحساب ملكوته،

ويهبنا جميعًا بروحه القدوس نعمة الفهم الروحي والحياة الجديدة المسبحة والمتهلِّلة بالمخلص،

من أجل سهولة متابعة النص قمت بوضع عناوين جانبية، مع بعض التعليقات. كما قمت بنشر سيرة القديس وكتاباته كمقدمة لهذا العمل.

القمص تادرس يعقوب ملطي

عيد استشهاد مارمينا

نوفمبر ١٩٩٢م.

نشيد الأناشيد ١:١-٤

١. نشيد الأناشيد الذي لسليمان.
٢. ليقبلني بقبلات فمه،
لأن ثدييك أفضل من الخمر.
٣. رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب.
اسمك دهن مهراق.
لذلك أحبتك العذارى.
٤. اجتذبني،
فنجري ورائك نحو رائحة أدهانك.
أدخلني الملك إلى حجاله.
نبتهج ونفرح بك.
نذكر حبك أكثر من الخمر.
بالحق يحبونك!

العظة الأولى

البسوا ثوب العرس!

[يرى القديس غريغوريوس أن إدراك أسرار هذا السفر - سفر العرس السماوي - هو موهبة يقدمها العريس السماوي لعروسه التي تختفي فيه، كما في ثوب ملوكي مقدس... لهذا لاق بالنفس أن تخلع عنها ثوب الأفكار الجسدانية حتى ترتفع بروح الرب إلى حجال عريسها وتتأهل للتمتع بأسراره.]

أنتم يا من - حسب نصيحة القديس بولس - قد تجرّدتم من الإنسان العتيق بأعماله وشهواته كما من رداء قذر، وارتديتم بطهارة حياتكم ملابس الرب اللامعة التي ظهر بها على جبل التجلي.

يا من لبستم الرب يسوع المسيح بثوبه المقدس، وتغيرتم معه إلى التحرر من الأهواء، وتبعتم الإلهيات.

استمعوا الآن إلى أسرار نشيد الأناشيد.

ادخلوا إلى حجال العريس الطاهر، والبسوا الثياب البيضاء التي للأفكار الطاهرة النقية.

لا يكن لأحد شهوات وأفكار جسدية وثوب ضمير غير لائق بالعرس الإلهي.

ليتخلص كل أحد من أفكاره الشخصية، ولا يربط أقوال العريس والعروس بالأهواء الجسدية الحيوانية.

كل من يظهر أنه مرتبط بهذه الأفكار المشينة يلزم طرده من صحبة المتمتعين بأفراح العرس إلى موضع النحيب (مت ٢٢: ١٠-١٣).

حياة الحب لا الخوف!

[بعد أن طلب القديس منا أن نخلع ثوب الأفكار الجسدانية ونرتدي مسيحنا ثوبًا مقدسًا، طالبنا أن نلتقي بعريسنا على مستوى الحب الحقيقي، لا الخوف. نطلبه لأجل حبنا له، وليس خوفًا من أن نفقد المكافأة. إننا نحبه لأجل شخصه، لا لأجل مكافأته أو عطاياه.]

قدمت هذا التحذير قبل أن أورد التفسير السري لنشيد الأناشيد، حيث تحيط كلماته النقية الروحية غير الجسدانية بالنفس وتوحِّدها مع الله. لأن الله الذي يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تي ٢: ٤)، يظهر هنا طريق الخلاص الأكمل والمطوَّب، أقصد طريق الحب. فبالنسبة للبعض يتم الخلاص بالخوف: الخوف من العقاب في جهنم، وبهذا يبتعدون عن الشرور. والبعض الآخر يسلكون في طريق الفضيلة مترجين المكافأة من أجل الحياة التقوية. هؤلاء لا يعملون الخير من أجل الحب بل انتظارًا للإثابة.

على الجانب الآخر نجد أن الشخص الذي يُسرع إلى الكمال الروحي يرفض الخوف (لأن الخوف هو عبودية؛ ومثل هذا الشخص الخائف لا يبقى مع سيده من

أجل الحب. فإنه لا يهرب لئلا يُجلد). بينما الشخص الذي يطلب الكمال هو الذي يستخف حتى بالمكافأة، فإنه لا يرغب في أن يُشار إليه بأنه يفضل الهدية على مهديها. أنه يحب "من كل قلبه ونفسه وقوته" (تث ٦: ٥)، **ليس من أجل الأشياء التي يهبها الله له، بل يحب الله مصدر كل الصالحات. هذا هو ما يأمر به الله كل النفوس التي تصغي إليه، فإنه يأمرنا أن نشاركه حياته.**

بين السيد المسيح وسليمان

سليمان هو الذي أسس هذا القانون (١ مل٣: ١٢ ؛ ٥: ٩-١٤). فبحسب الشهادة الإلهية، فاقت حكمته كل المقاييس، ولم يكن لها مثيل في كل من سبقوه وكل من أتوا بعده. كان ثاقب الفكر، لا تخفي عنه خافية.

لا تظن أنني أقصد سليمان الذي من بئر سبع، والذي قدم آلاف الذبائح على الجبال (١ مل ١١: ٦-٨)، والذي أخطأ بعد أن أغوته المرأة التي من صيدا (١ مل ١١: ١-٢). كلاَّ، أنه سليمان الآخر (المسيح) هو المُعنى به هنا، ذاك الذي جاء من نسل داود حسب الجسد، واسمه يعني سلامًا، الملك الحقيقي لإسرائيل وباني هيكل الله. سليمان الآخر هذا عنده معرفة كاملة بكل شيء. حكمته غير محدودة، وجوهره هو حكمة وحق، واسمه ممجد وإلهي وأيضًا فكره.

استخدم المسيح سليمان كأداة وكلمنا خلال فمه أولاً في الأمثال ثم في الجامعة. وبعد هذين السفرين تكلم خلال الفلسفة التي تضمنها نشيد الأناشيد موضحًا لنا كيف يكون التدريج إلى الكمال بترتيب.

بين الأمثال والجامعة ونشيد الأناشيد

[يقدم القديس عرضًا رائعًا لهذه الأسفار الثلاثة بكونها الأسفار التي تسند المؤمن عبر كل حياته. يسنده سفر الأمثال كما من طفولته الروحية، ويسلمه إلى سفر الجامعة كإنسان عبر إلى نوع من النضوج، وهذا يسلمه إلى سفر نشيد الأناشيد، سفر العروس الكاملة المتحدة بعريسها، تتعرف على أسراره الإلهية.]

الإنسان غير قادر في كل مرحلة من مراحل حياته على إنجاز كل نوع من العمل. وأيضًا نجد أن حياتنا لا تتقدم بنفس الأسلوب في مراحل حياتنا المختلفة.

(فالطفل لا يستطيع أن يقوم بأعمال الإنسان الناضج، والناضج أيضًا لا يُحمَل بين يديّ مرضعته. إذًا فلكل مرحلة من العمر نشاطها الذي يناسبها.)

إذًا نجد أن النفس تنمو كالجسد أيضًا بترتيب خاص وتدرُّج يؤدي بها إلى حياة الفضيلة. فسفر الأمثال له أسلوبه المميز في تعاليمه، وسفر الجامعة له أسلوب آخر، بينما فلسفة نشيد الأناشيد تسمو على كليهما بتعاليمها الفائقة.

إن تعاليم **سفر الأمثال** تناسب الشخص الحديث السن، حيث أن كلماته تحث على أعمال تتلائم مع هذه المرحلة من العمر. "اسمع يا ابني تأديب أبيك ولا ترفض شريعة أمك" (أم ١: ٨).

نرى هنا أن النفس في هذه المرحلة من العمر تتميز بليونة حيث يسهل

تشكيلها، وأيضًا تكون بعد في احتياج للإرشاد والتشجيع الأبوي. يجب على الآباء (والأمهات) أن يتفهموا كيف يشجعوا أطفالهم ليكونوا أكثر حرصًا في استذكار دروسهم وأيضًا في الإصغاء بأكثر اهتمامٍ لنصائح والديهم، ربما عن طريق الوعود بتقديم هدايا لطيفة من وقت لآخر، مثل تقديم سلسلة ذهبية براقة حول عنقه أو تاج مزين بورود جميلة. على الوالدين تفهم مثل هذه الأمور تمامًا إذا ما كانت نيتهم وراء ذلك هو تقدُّم أولادهم.

هكذا فإن سفر الأمثال يبدأ **بوصف الحكمة للطفل بطرق متنوعة،** ويشرح الجمال الذي يفوق الوصف بحيث لا يوحي بأي خوف أو ارتباك بل بالأحرى يجذب الطفل إلى الشوق والرغبة في عمل الصلاح. إن وصف أوجه الجمال يجذب الشاب بطريقة ما للرغبة فيما يشاهده من هذا الجمال، وبالتالي يثير رغبته للمشاركة فيه.

ثم يزيِّن سليمان **جمال الحكمة** بتمجيدها، وذلك حتى يزداد حبنا للحكمة بعدما تحولت ميولنا المادية إلى أخرى غير مادية. ليس أن سليمان يصور جمالها بالكلمات فحسب بل أنه أيضًا يذكر مقدار الغنى المذخَّر في الحكمة، حكمة الله التي تقطن معنا حتميًا. حينئذ نشاهد هذا الغنى في الحكمة الرائعة الزينة. إن الزينة على يمينها طول الأيام، إذ أن كلمات الحكيم تقول: "في يمينها طول الأيام" (أم ٣: ١٦). وتلبس على يسارها ثروة الفضيلة الثمينة وعظمة المجد معًا؛ "وفي يسارها الغنى والمجد" (أم ٣: ١٦).

ثم يتحدث سليمان عن **العبير الذي يفوح من فم العروس، نسيم الرائحة الذكية التي للفضيلة:** "من فمها يخرج كلام البرّ" (٣: ١٦). وبدلاً من اللون الأحمر الطبيعي لشفتيّ العروس يقول إن الشريعة والرحمة تخرج من شفتيها. وحتى يكمل جمالها يمدح أيضًا خطواتها فيقول "في طريق العدل اتمشَّى في وسط سبل الحق" (أم ٨: ٢٠).

في مدحه لجمالها يمدح سليمان أيضًا **ضخامة حجمها** الذي يشبه شجرة مورقة عظيمة. وهذه الشجرة التي يبلغ ارتفاعها ارتفاع قامة عروسه، هي شجرة الحياة على حد قوله، وهي تغذي من يلتجئ إليها، وهي دعامة قوية وراسخة لمن يتكئ عليها كما على الرب، فهي بالمثل ثابتة. وتُمتدح قوتها أيضًا حتى يكون تمجيد جمال الحكمة كاملاً، مشتملة على كل ما هو صالح. "الرب بالحكمة أسس الأرض. أثبت السموات بالفهم" (أم ٣: ١٩). ينسب سليمان جميع عناصر الخليقة إلى قوة الحكمة ويصفها بأسماء كثيرة، كلٍ يحمل المعنى ذاته للحكمة مثل التعقل، الإدراك الحسن، المعرفة، الفهم وما شابه ذلك.

ثم يرافق سليمان الشاب إلى محل إقامة خاص ويحثه ليتفرس في **حجرة العرس**. "لا تتركها فتحفظك، أحببها فتصونك. الحكمة هي الرأس. فاقتنِ الحكمة وبكل مقتنياك اقتن الفهم. ارفعها فتُعلِّيك. تمجدك إذا اعتنقتها. تعطي رأسك إكليل نعمة. تاج جمال تمنحك".

والآن فإن الشاب المزيَّن بتاج العرس **يحثه العريس على عدم ترك الحكمة** "إذا ذهبت تهديك، إذا نمت تحرسك، وإذا استيقظت فهي تحدثك" (أم ٥:

٢). بتلك الطرق وبأخرى حث سليمان الشاب بحسب الإنسان الباطن وأشعل رغبته للتمسك بالحكمة، إذ الحكمة تصف نفسها. بذلك انتزع سليمان حب كل من استمع إليه. إلى جانب ذلك فالحكمة تقول: "أنا أحب الذين يحبونني" (أم ٨: ١٧)، إذ أن اشتياق المحب هو إن يُرَدَ له الحب بالحب، **يؤدي به إلى رغبة شديدة بالأكثر**. أضاف سليمان إلى هذه الكلمات نصائح آخرى بتصريحات أكثر وضوحًا وسلاسة. وقد قاد سليمان الشباب إلى المثالية في أروع صورها في الآيات الأخيرة من سفر الأمثال، حيث يقول "مبارك" هو اتحاد الحب، في هذا الجزء الذي يخص مدح المرأة الفاضلة.

يضيف سليمان فلسفة **سفر الجامعة إ**لى الشخص الذي أخذ قسطًا تمهيديًا وافيًا من التدريبات المشتمل عليها سفر الأمثال، وصار مشتاقًا إلى الفضيلة.

بعد أن وبخ سليمان في سفر الجامعة سلوك الإنسان تجاه المظاهر الخارجية، وبعد أن قال إن كل ما هو غير ثابت هو باطل وعابر "كل ما يأتي باطل" (جا ١١: ٨). نجد سليمان بعد ذلك قد ارتفع فوق كل الأشياء المحسوسة، أي حركة الحب التي توجه نفوسنا تجاه الجمال غير منظور.

وهكذا إذ غسل القلب من الأمور الخارجية بدأ سليمان يمهد النفس للدخول إلى قدس الأقداس خلال نشيد الأناشيد. إن نشيد الأناشيد يصف عرسًا إنما ما يفهم ضمنًا هو اتحاد النفس البشرية مع الله.

لذلك فإن الابن الشاب في سفر الأمثال يسمَّى العروس وتتخذ الحكمة دور العريس، حتى أن الإنسان يستطيع أن يتحد بالله إذ يصير عذراء طاهرة بدلاً من كونه العريس. بالتصاقه مع الرب يصير الإنسان روحًا واحدًا معه (١ كو ٦: ١٧) من خلال الوحدة، مع ما هو طاهر ونقي ذهنيًا بدلاً من التثقل بالجسد وأهوائه.

ليلتهب قلبك حبًا نحو العريس السماوي!

بما أن الحكمة هي التي تتكلم، إذًا فلتُحب قدر ما تستطيع بكل قلبك وكل قوتك (تث ٦: ٥)؛ لتكن فيك هذه الرغبة قدر استطاعتك. وإنني اتجاسر فأضيف لهذه الكلمات: "لتكن توَّاقًا لذلك". هذا الشعور تجاه الأمور غير الجسدية، إنما هو فوق الشبهات وخالي من الشهوة، كما تقول الحكمة في سفر الأمثال عند وصفها للحب المتقد للجمال الإلهي.

لكن النص أمامنا الآن يحثنا بالمثل. أنه لا يقدم لنا مجرد نصيحة بخصوص الحب، لكن من خلال الأسرار التي لا يُنطق بها يفلسف صورة مباهج الحياة، مقدمًا لنا إياها كاستعداد لإرشاداتها. إن الصورة هي إحدى صور الزفاف حيث الرغبة في الجمال تمثل الوسيط. لا يبدأ العريس بإظهار رغبته حسب العادة البشرية الطبيعية، لكن **العروس هي التي تبادر بإظهار مشاعرها بلا خجل وتتوسل أن تحظى بقبلات العريس.**

إن الذين يخدمون الخطيبة البكر ويلازمونها هم البطاركة

والأنبياء ومعلمي الناموس. إنهم يقدمون للعروس هدايا العرس، كما كانت. (من أمثلة هذه الهدايا: غفران المعاصي، نسيان الأعمال الشريرة، غسل الخطايا، تغيير الطبيعة، أي تصير الطبيعة الفاسدة طاهرة، التمتع بالفردوس، وكرامة ملكوت الله، والفرح اللانهائي.) عندما تتقبل العروس كل هذه الهدايا من النبلاء الحاملين لها والذين يقدمونها خلال تعاليمهم النبوية حينئذ تعترف باشتياقاتها ثم تسرع لتتمتع بامتياز جمال الواحد طالما اشتاقت إليه.

يصغي خدام البتول ومرافقوها إليها ويحثونها بالأكثر لاشتياق متزايد. ثم يصل العريس قائدًا جوقة من المغنين فيما بينهم أصدقاؤه والذين يترجون خيره. هؤلاء يمثلون الأرواح الخادمة التي تنقذ الإنسان أو الأنبياء الأطهار. عند سماع صوت العريس يفرحون (يو ٣: ٢٩)، عندما يتحقق الاتحاد الطاهر حيث تصير النفس الملتصقة بالرب روحًا واحدًا معه كما يقول الرسول (١ كو ٦: ١٧).

الاعداد لفهم السفر

سأعود ثانيًا إلى ما سبق إن قلته في بداية هذه العظة: لا تدع أي شخص شهواني أو جسداني تنبعث منه رائحة الإنسان العتيق الكريهة (٢ كو ٢: ١٦) أن يقلل من أهمية الأفكار والكلمات المقدسة، ويستبدلها بأخرى شهوانية حيوانية، بل بالأحرى **ليخرج كل إنسان من الأنا ويعتزل العالم المادي. ليصعد إلى الفردوس خلال قطع رباطات العالم إذ صار مثل الله خلال النقاوة. ثم نقول ليدخل كل منا إلى قدس أقداس الأسرار المعلنة في هذا الكتاب (سفر نشيد الأناشيد).**

إذ ما كانت النفس غير مستعدة لسماع ذلك فلتنصت لموسى النبى الذي يمنعنا من الصعود على الجبل الروحي قبلما نغسل ثياب قلوبنا وأيضًا ننقى نفوسنا برش الماء المقدس اللائق لتنقية أفكارنا أولاً وبالتالي نفوسنا.

وحينما نتكرس لمثل هذه التأملات **علينا إن نلقي جانبًا فكرة الزواج كما أمر موسى** (خر ١٩: ١٥) حينما أمر الذين بدأوا بغسل ثيابهم بألاَّ يقربوا امرأة. علينا أن نتبع إرشاداته حينما نكون على وشك الاقتراب من الجبل الروحي لمعرفة الله: إذ أن الأفكار عن النساء وما يصاحبها من حب اقتناء الماديات يجب أن يُترك جانبًا مع اعتزال الحياة السفلية.

إذا ما قامت أي نزوة غير منطقية عند سفح الجبل يجب إن تُحطم بقوة مضادة من أفكار أكثر حزمًا كما لو كانت تُرجم بالحجارة. وإلا فسوف يصعب علينا أن نسمع صوت البوق الذي يتردد بصوتٍ عالٍ وعظيم يفوق طاقه السامعين. يصدر هذا الصوت من مكان وجود الله الخفي، والذي يحرق كل ما هو مادي فوق هذا الجبل.

نشيد الأناشيد

والآن دعنا ندخل إلى قدس الأقداس، نشيد الأناشيد. إن تعبير "قدس

الأقداس" يحمل معنى القداسة الفائقة. إن النص الكريم يعدنا خلال عنوانه "نشيد الأناشيد" بأن يعلمنا سر الأسرار.

من المؤكد أن هناك أناشيد أخرى كثيرة في التعاليم الإلهية الموحاة، وهي تعلمنا الكثير في طريق معرفة الله على فم داود، وإشعياء، وموسى وكثيرين غيرهم.

وهكذا نفهم من العنوان "نشيد الأناشيد" أنه كما أن أناشيد القديسين تفوق حكمة الأناشيد الدنيوية، بالمثل أيضًا فإن الأسرار المكنوزة هنا تفوق أناشيد القديسين. حقًا إن العقل البشري بحسب إمكانياته المحدودة لا يستطيع أن يكتشف أو يستوعب أسرار النشيد، إذ أنه يحسب اللذه الجسدية (أي الجنسية) رمزًا للحب. **يعلمنا هذا السفر أن النفس تحتاج أن تفتش على الجمال الخفي للطبيعة الإلهية، وأن تحبه مثلما يميل الجسد لحب قريبه.**

يليق بالنفس أن تُخمد العاطفة الجسدية حتى أنه حين تُطفئ كل عاطفة جسدية تتقد عقولنا بالعاطفة الروحية وحدها وتتمتع بالدفء خلال هذه النار التي جاء الرب ليلقيها على الأرض (لو ١٢: ٤٩).

كاتب السفر

والآن وقد استفضت الحديث عن السامعين لهذه الكلمات السرائرية وكيف قد حان الوقت لتدبير نفوسهم لنبدأ بتفسير الكلمات الإلهية لسفر نشيد الأناشيد. لنبدأ حديثنا يدلاً له العنوان.

إن نَسب السفر لسليمان لم يأتِ مصادفة، وهذا النَسب يفيد بأن يُعد القارئ لاستقبال شيء عظيم ومقدس. فشهرة سليمان بالحكمة عظيمة وذات تأثير على كل أحد. لذلك فإن ذكر اسمه في مطلع السفر يزيد من توقعات القارئ لشيء عظيم يليق بمثل هذه الشهرة.

في فن الرسم نجد الألوان المختلفة وقد تآلفت معًا لتقدم لوحة فنية جميلة. ولكننا نرى أن الشخص الذي ينظر إلى الصورة التي رسمها الفنان مستخدمًا الألوان بمهارة لا يركّز نظره على الألوان بل على الإطار العام للوحة. هكذا الأمر بالنسبة لهذا السفر الماثل أمامنا، **فعلينا ألا نهتم بمادة اللون (أي الكلمات) بل بالأحرى علينا أن نهتم بصورة الملك المعبَّر عنها بمفهوم الطهارة.** إذ أن اللون الأبيض والأصفر والأسود والأحمر والأزرق أو أي لون آخر ما هو إلا هذه الكلمات بمعانيها الواضحة - فم، قبلة، مر، سلك، الأطراف الجسدية، المخدع، الخادمات... - وهكذا. إن الشكل الذي تكونه هذه الكلمات هو: البركة، الانفصال عن الشر، الاتحاد بالله، البعد عن الشر، وحب ما هو حقًا جميل. هذه المفاهيم تشهد بأن حكمة سليمان قد فاقت حدود الحكمة البشرية. ماذا يحيرنا أكثر هو أن سليمان يجعل الطبيعة البشرية تتنقى من الشهوات، ويعلمنا ذلك مستخدمًا كلمات مفعمة بالعاطفة المتقدة! إذ أن سليمان لا يتحدث عن ضرورة البعد عن انفعالات الجسد أو إماته أعضائنا التي على الأرض، أو أن نحجم عن كلمات العاطفة المتأججة، لكنه بالحرى يحث النفس أن تسعى للطهارة خلال كلمات تبدو أنها

تحمل معنى عكسيًا، إذ أنه يشير إلى معاني نقية عفيفة خلال لغه حِسية ملموسة.

خلال مقدمة النص نتعلم شيئًا واحدًا: هؤلاء الذين دخلوا إلى أعماق أسرار هذا السفر ليسوا بشرًا بعد، بل قد تحولوا بالطبيعة خلال تعاليم الرب إلى ما هو إلهي بالأكثر. الله الكلمة قد شهد لتلاميذه بأنهم مميزون عن البشر. وقد جاء هذا التمييز حين قال لهم: "من يقول الناس إني أنا؟" (مر ٨: ٢٧)؟ يستخدم سفر النشيد كلمات ظاهرها يشير إلى التمتع باللذة الجسدية. ولكنها في الواقع لا تتضمن أي معنى غير طاهر أوغير لائق، بل هي تقودنا إلى فلسفة الأمور المقدسة خلال المفاهيم الطاهرة. **إنها توضح لنا أننا لسنا بعد من لحم ودم ذي طبيعة بشرية لكنها بالحري تشير إلى الحياة التي نتطلع إليها عند قيامة القديسين، حياة ملائكية خالية من كل شهوة.**

قُبلات فمه

بعد القيامة، يتحد الجسد - الذي صار في عدم فساد - مرة آخرى مع النفس. إن الشهوات التي تحارب جسدنا المائت الآن لن تكون بعد بل تسكن جميعها. وسيبطل النزاع بين الجسد والنفس. ولن تكون هناك بعد حرب الشهوات ضد ناموس العقل، حيث تهزم النفس وتصير أسيرة الخطية. حينئذ تتنقى الطبيعة من كل هذه الأشياء وتكون الروح واحدة (أي لا تعارض بين الجسد والروح) وسوف يبطل كل تدبير جسدي للجنس البشري. وهكذا فإن النشيد يحثنا على الرغم من أننا مازلنا في الجسد ألاَّ تكون أفكارنا جسدانية؛ بل بالحري علينا أن نهتم بالروح وحدها وأن ننسب كل مظاهر العاطفة في النص إلى صلاح الله الفائق كذبيحة طاهرة غير دنسة. **لأن الله وحده هو عذب بالحقيقة، مشتهى الأمم ومستحق أن يُحَب.** إن تمتعنا الحالي بالله هو نقطة البداءة لنصيب أكبر من صلاحه ويزيد من شوقنا إليه. وهكذا ففي أسفار موسى (خر ٣٣: ١١) يقول إن العروس أحبت العريس. كما تقول عروس النشيد "**ليقبلني بقبلات فمه".** إن موسى قد خاطب الله وجهًا لوجه كما يشهد الكتاب (تث ٣٤: ١٠) وهكذا ازداد شوقه إلى هذه القبلات بعد رؤيته لله. لقد بحث عن الله وكأنه لم يره قط. لذلك فهؤلاء الذين لديهم رغبة دفينة واشتياق لله فإن هذا الاشتياق لا يتوقف بل **كلما تمتعوا بالله كلما اِزداد اِشياقهم تأججًا إليه.**

إن الروح رغم اتحادها مع الله فهي لا تشعر بملء السعادة مطلقًا. **كلما تمتعت بجماله زاد اشتياقها إليه**. إن كلمات العريس روح وحياة (يو ٥: ٢٤)، وكل من التصق بالروح يصير روحًا. كل من التصق بالحياة ينتقل من الموت إلى الحياة كما قال الرب. وهكذا فالروح البكر تشتاق دائمًا للدنو من نبع الحياة الروحية. **النبع هو فم العريس الذي تخرج منه كلمات الحياة الأبدية**. أنه يملأ الفم الذي يقترب منه مثل داود النبي الذي اجتذب روحًا خلال فمه (مز ١١٨: ١٣١).

لما كان لزامًا على الشخص الذي يشرب من النبع أن يضع فمه على فم النبع، وحيث أن الرب ذاته هو النبع كما يقول: "إن عطش أحد فليقبل إليَّ ويشرب"

(يو ٧: ٣٧)؛ لذلك فإن الأرواح العطشانة تشتهي أن تضع فمها على الفم الذي ينبع بالحياة ويقول: **"ليقبلني بقبلات فمه"** (نش ١: ٢).

من يهب الجميع الحياة ويريد أن الجميع يخلصون يشتهي أن يتمتع كل واحد بنصيب من هذه القبلات، لأنها تطهر من كل دنس.

أعتقد أن الرب كان يوبخ سمعان الأبرص حين قال له: "قبلة لم تقبلني" (لو ٧: ٤٥). كان يعني بذلك: لقد كان يمكنك أن تبرأ من مرضك لو أنك انتزعت الشفاء بشفتيك. ولكن على الأرجح أن سمعان لم يكن مستحقًا للحب، إذ أن مرضه سبَّب له نموًا مطردًا في جسده، وقد ظل غير مشتاق لله بسبب مرضه. ولكن حينما تتطهر الروح ولا يعوقها بعد برص الجسد تبدأ في التفتيش عن كنز الصالحات. اسم هذا البيت الذي يضم الكنز هو القلب. من هذا الكنز يمتلئ الثديين بغنى اللبن المقدس الذي به تتغذى الروح وتنتزع البركة بما يوازي إيمانها. لذلك تهتف الروح: **"لأن حبك (أي ثدياك) أطيب من الخمر"** ويشير بالثدي إلى القلب. **ولا نخطئ إذا حسبنا أن القلب هنا ما هو إلاَّ قدرة الله الخفية السرية.** من الأرجح أن نعتبر أن الثديين هما عمل الله القوي من أجلنا الذي به يشبع حياة كل منا بما يناسبه.

إن فلسفة سفر النشيد تعلمنا بطريق غير مباشر درسًا آخر ألا وهو إنَّ فهمنا للأمور له شقان: مفهوم جسدي ومفهوم روحي. كما يقول الحكيم في سفر الأمثال، "وتجد معرفة الله" (أم ٢: ٥). هناك نوع من التناظر بين أعمال الروح وأعمال الجسد الحسية، وهذا ما نتعلمه من هذا النص. إننا نميز الخمر واللبن عن طريق حاسة التذوق، بينما الحقائق الروحية تُدرك خلال قدرة الروح على الفهم والتعقل. **إن القبلة نتيجة لحاسة اللمس حين تتلامس شفاة شخصين.** على الجانب الآخر هناك نوع آخر من ا**لتلامس الروحي للكلمة والعمل** يتم بطريقة روحية غير جسدية. كما يقول معلمنا يوحنا: "... الذي شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١ يو ١:١).

بالمثل فإن رائحة المسيح الزكية لا نشتمَّها جسديًا، ولكن خلال قوة روحية غير مادية، أي بقوة الروح. لذلك تسترسل عروس النشيد في آياته الأولى قائلة: **"لأن حبك أطيب من الخمر. لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهراق."** [ع١-٢].

اللبن الروحي أفضل من خمر حكمة العالم

ما تشير إليه هذه الكلمات لا يُستهان به. فإنه بمقارنة التمتع بلبن الثديين المقدس والتمتع بشرب الخمر، أظن أننا نتعلم أن الحكمة البشرية والعلم وقوة الملاحظة وفهم الأمور المبدعة... كل ذلك لا يضاهي الشبع الروحي بالتعاليم الإلهية في بساطته. إن اللبن طعام الأطفال يمنحه الثديان، بينما الخمر الذي يمنح القوة والدفء هو متعة لمن هم أكثر نضوجًا واكتمالاً. ولكن على الرغم من ذلك فإن حكمة العالم لا تضاهي التعاليم الطفولية للعالم الروحي المقدس.

و**هكذا فإن الثديين المقدسين أفضل من الخمر البشري، ورائحة**

المسيح الزكية لهي أطيب من أي عطر آخر.

رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب

يبدو لي أن ذلك يعني ما يلي:

نحن نفهم أن العطور تمثل الفضائل المختلفة: الحكمة، العدل، ضبط النفس، الجَلَد... وهكذا. إذا ما تعطرنا بهذه العطور، كلٌّ قدر استطاعته واختياره فيكون لكل منَّا رائحة طيبة خاصة، لواحد حكمة أو ضبط للنفس، لآخر جَلَد أو عدل أو أي فضيلة أخرى. آخر يمكن أن يكون له رائحة طيبة داخليًا (داخلية) نتيجة لامتزاج كل هذه العطور. ولكن كل هذه معًا لا تقارن بالفضيلة السماوية الكاملة. كما يقول حبقوق النبي: "جلاله غطى السموات" (حب ٣:٣). هذه هي حكمة الله، عدل الله، حق الله وما إلى ذلك بصورته المطلقة. لذلك يقول إن رائحة الدهن السماوي تبهج النفس بما لا يقارن بأي نوع آخر من العطور المتعارف عليها.

الله لا يُحدّ باسم

يعود عريس النفس مرة أخرى ليقدم فلسفة أكثر سموًا، ويوضح أن القوة الإلهية لهي فائقة تمامًا، لا يمكن إدراكها بالمفاهيم البشرية. يقول النص: **"اسمك دهن مهراق"** [ع٣]. يبدو لى أن هذه الآية تشير إلى الآتي: إن الطبيعة (الإلهية) غير المحدودة لا يمكن حصرها بدقة في اسم؛ بل فوق ذلك فإن كل مقدرة على الفهم وكل صيغة للكلمات والأسماء مهما بدت عظيمة وتناسب مجد الله فهي غير قادرة على إدراك حقيقته. ولكننا نلقي الضوء ونقتفي آثار ما نجهله متحسسين الطريق بكلماتنا، وأيضًا بالمناظرة لما نلمسه ندرك الأمور غير مدركة. ومهما كان الاسم الذي نختاره لنُعبر به عن رائحة المسيح الذكية فنحن لا نستطيع أن نُعبر عن قدر هذه الرائحة، ولكننا إنما نكشف عن مجرد أثر بسيط للرائحة المقدسة باستخدام اصطلاحاتنا اللاهوتية.

إذا ما سكبنا عطر من إناء يصعب أن نتعرف على طبيعة هذا العطر. ولكن إذ يتبخر الأثر البسيط من العطر المتخلف في الإناء نستطيع أن نكِّون فكرة عن العطر الذي سُكب منه. وهكذا نعلم أنه أيًا كان العطر المقدس في جوهره فهو يفوق كل اسم وفكر.

حقًا إن العجائب التي نشاهدها في الكون تعطي مادة للمصطلحات اللاهوتية التي بها ندعو الله حكيمًا، قديرًا، صالحًا، مقدسًا، مباركًا، أبديًا، ديانًا، مخلصًا وهكذا. كل ذلك يعطي دلالة بسيطة عن نوعية رائحة المسيح وخاصيتها حيث تحتفظ الخليقة بآثار الرائحة المقدسة من خلال عجائبها المنظورة كما في مثل إناء العطر. **"لذلك أحبتك العذارى"** [ع٣]. هنا تذكر العروس لماذا مالت العذارى إليه وأحبته. من يستطيع ألا يحب مثل هذا الجمال طالمًا له العين الثاقبة التي تستطيع أن تُدرك مدى جماله؟ **إن الجمال الملموس لهُو عظيم، ولكن ما هو بالتأكيد أعظم منه هو الجمال الذي نلمحه بمجرد النظره الخاطفة لهيئته الخارجية.**

الحب للناضجين!

لا تثير الشهوات الجسدية الأطفال، لأن الطفل غير قادر على الإحساس بها، وهي أيضًا لا تمثل مشكلة بالنسبة للشخص المتقدم في العمر. هكذا الأمر أيضًا بالنسبة للجمال الإلهي: فإن الطفل الذي تهزه كل ريح تعليم والإنسان المتقدم في العمر الذي قد قارب الموت كليهما غير قادرين على الشهوة الجسدية.

إن الجمال الإلهي لا يحرك مشاعر مثل هؤلاء، ولكنه يحرك مشاعر تلك الروح التي قد تجاوزت مرحلة الطفولة وقد بلغت زهرة شباب النضوج الروحي. إذ أن مثل هذه الروح يسميها السفر **"العذارى"** [ع٣]؛ إذ ليس بها أي علامة من علامات تَقدُّم العمر من بقع أو تجاعيد أو ما شابه ذلك؛ فهي لا تفتقر إلى الإدراك الحسِّي لمرحلة الطفولة ولا هي واهية بسبب الكهولة. مثل هذه الروح تعيش في طاعة لأعظم وصية، ألا وهي أول وصية في الناموس أن تحب هذا الجمال الإلهي من كل قلبك ومن كل قوتك (تث ٦: ٥). إن العقل البشري غير قادر على إيجاد أي وصف، أو تشبيه أو تعبير يناسب هذا الجمال. لذلك فقد نمت تلك العذارى في الفضيلة، وقد دخلن حجال العرس في الوقت المناسب ليكتشفن الأسرار الإلهية.

الآن قد أحببن جمال العريس وخلال هذا الحب دنون منه. لأنه العريس الذي يكافِئ من يحبونه ويقول على لسان الحكيم: "أحب الذين يحبونني"، "عندي الغنى والكرامة" (إن العريس ذاته هو هذا الغنى) "وأملأ خزائنهم" (أم ٨: ١٧، ٢١). لذلك تشتاق الأرواح إلى عريسها الحيّ الذي لا يموت وتتبع الرب الإله كما هو مكتوب (هو ١١: ١٠). أنهم يحبونه، ويمشون وراءه بسبب رائحته الذكية، أنهم يتقدمون إلى ما هو أمامهم وينسون ما هو وراء. **"اجذبني وراءك فنجري"** [ع٤].

هؤلاء الذين لم يبلغوا بعد كمال الفضيلة وهم بعد أحداث يقدمون وعدًا بأن يسعون نحو الهدف الذي يمثله الرائحة الذكية. لأنهم يقولون، "اجذبني وراءك فنجري". أما الأرواح الأكثر كمالاً فقد ركضت بأكثر جدية وحققت الهدف فعليًا من هذا السير وقد استحقت الكنز المختزن. إذ تقول: **"أدخلني الملك إلى حجاله"** [ع٤]. لقد اشتهت أن تلمس ما هو طيب بشفتيها وقد لمست الجمال بمقدار قوة صلاتها. فقد صلَّت [ع٢] لتستحق قبلة خلال الاستنارة التي يمنحها إياها الكلمة).

والآن خلال ما حققته بلغت ذهنيًا إلى عمق آخر للأسرار، لكنها تصرخ معلنة أنها لم تدرك إلا مدخل الصلاح. إن قبلة العريس قد منحتها استحقاق باكورة نِتاج الروح، فتقول أنها تبحث عن أعماق الله في عمق أقداس الفردوس، وكما قال معلمنا بولس الرسول العظيم: "ما لم تره عين وما لم تسمع به أذن" (٢ كو ١٢: ٤).

الآن نراه يكشف الحديث عن دور كنسي، لأن أولئك الذين أرشدتهم النعمة وقد صاروا شهودًا للكلمة، لا يكتموا الحق محتفظين به لأنفسهم، بل بالأحرى يبشرون به آخرين ممن لحقوهم. لذلك تقول العذارى للعروس التي تمتعت أولاً بالصلاح إذ التقت بالكلمة وجهًا لوجه واستحقت أن تتعرف على الأسرار الخفية: **"نبتهج ونفرح بك، نذكر حبك أكثر من الخمر"** (نش ١: ٤).

لأنك تحب ثدييّ الكلمة أكثر من الخمر فسوف نتشبه بك، ونحب ثدييك أكثر

من الخمر البشري، لأنه خلالهما يتغذى الأطفال في المسيح يسوع.

حتى نوضح الغرض من هذه الفقرة علينا أن نركز اهتمامنا بالآتي: إن يوحنا الحبيب الذي اتكأ على صدر الرب أحب ثدييّ الكلمة (يو ١٣: ٢٥)؛ وإذ وضع قلبه بقرب منبع الحياة تمتع بامتصاص الأسرار الخفية التي في قلب الرب كما يمتص الإسفنج.

يعطينا يوحنا الثدي الغني بالكلمة فنمتلئ من الصلاح الذي أخذه يوحنا من منبع الصلاح، معلنًا عن الكلمة الأبدي. لذلك يحق لنا الآن أن نقول: **"نذكر حبك أكثر من الخمر" إذا ما صرنا كالعذارى ولم نعد أطفالاً في أذهاننا تحت نير نوع من التفاهة الطفولية، وإذ لم نتدنس بعد بالخطية فندنو من الموت في كهولتنا.** لذلك دعنا نحب فيض التعليم الإلهي لأنهم "بالحق يحبونك" [ع٤]. هذا هو التلميذ الذي كان يسوع يحبه، والمسيح هو الحق. ينسب النص هنا للمسيح اسمًا أكثر جمالاً وملاءمة للرب، أفضل من داود النبي الذي قال: "أن الرب مستقيم" (مز ٩: ١٥). إن الرب يسمى بالحق في هذا النص. لأنه يجعل المعوج مستقيمًا. ليصير كل المعوج مستقيمًا والعراقيب سهلاً (إش ٤٠: ٤) بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد دائمًا أبديًا آمين.

روجع

نشيد الأنشاد ١:٥-٨

٥ . أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم،
كخيام **قيدار كشقق (جلود) سليمان.**
٦ . لا تنظرن إليَّ لكوني سوداء،
لأن الشمس قد **لوحتني (تتطلع إليَّ بغضب).**
بنو أمي غضبوا عليَّ،
جعلوني ناطورة (حارسة) الكروم؛
أما كرمي فلم أنطره (أحرسه).
٧ . اَخبرني يا من تحبه نفسي،
أين ترعى تربض عند الظهيرة.
لماذا أنا أكون كمقنَّعة عند قطعان أصحابك؟!
٨ . إن لم تعرفي نفسك، أيتها الجميلة بين النساء،
فاُخرجي على آثار الغنم،
واِرعي جداءك عند خيام الرعاة.

العظة الثانية

جمال الخيمة الداخلي

[منظر خيمة الاجتماع عجيب، من الخارج مغطاة بجلود ماعز وكباش، أما من الداخل مملوء بهاءً. هكذا سفر النشيد، الذي فيه يجتمع الله بكنيسته، كما في حجال العرس. من الخارج كلمات لا يدرك الأطفال في الإيمان أسرارها، أما في أعماقها فتسبحة حب زيجي لا يُعبر عنها!

سفر النشيد يمثل حياة المؤمن الحقيقي، من الخارج ضعفات وألآم مُرة، ومن الداخل بهجة ونور سماوي عجيب.]

المنظر الخارجي لخيمة الاجتماع المقدسة لا يُقارن بمدى كرامة الجمال الخفي داخلها. كان الغطاء الخارجي للخيمة مصنوعًا من نسيج الكتان ومن شعر الماعز (خر٢٦: ٧)، وأيضًا لفائف حمراء (جلود) وقد أُضيفت إلى زينة الخيمة الخارجية. لم يُرَ أي شيء آخر خلاف ذلك ذو قيمة ثمينة بالنسبة للمنظر الخارجي للخيمة. أما عن داخل خيمة الشهادة فقد تلألأت بالذهب والفضة والأحجار الكريمة (عب ٩: ٢-٥). كان هناك أعمدة وقواعد وتيجان للأعمدة، مبخرة، مذبح، سرج، تابوت، منارة، كرس الرحمة، المرحضة، والستائر في الداخل. كانت الستائر الجميلة مصنوعة من ألوان متنوعة من الصباغة الفنية: ونسيج ذهبي مطرز بأناقة بأيدي صنَّاع مهرة باللون بالاسمانجوني والأرجوان والكتَّان والقُرمز وممزوجة بكل مادة لتجعل الفسيح يلمع مثل شرائط قوس قزح.

إن سبب هذه البداية (أي وصف خيمة الاجتماع) سوف يصير جليًا عندما تواصل قراءة الآتي. مرة أخرى نجد في سفر النشيد مرشدًا لنا لكل نوع من الفلسفة والمعرفة لله. نشيد الأناشيد هو خيمة الاجتماع الحقيقية حيث نجد أن ستائرها، وجلودها، وأغطية فنائها الخارجي ما هي إلا تعبيرات حب. إنها توضح الموقف بالنسبة للشيء المشتهى فيما يتعلق بالوصف الجمالي، وذكر الأعضاء الجسدية الظاهرة خارجيًا والتي تحجبها الأغطية عن العين.

حقًا إن المحتويات الداخلية للخيمة لها بريق فائق ومملوءة بالأسرار. هناك رائحة البخور الذكية، التكفير عن الخطية، ومذبح الذهب الصلب الذي للتقوى، والستائر الجميلة المنسوجة بأناقة من ألوان الفضيلة المملوءة صلاحًا، أعمدة الحكمة الراسخة، وقواعد العقيدة التي لا تتزعزع، روعة الأكاليل التي تشير إلى النعمة في التدبير الروحي، والمرحضة الروحية وكل ما يمت بصلة للحياة السماوية غير الجسدية. مثل هذه الأشياء يستخدمها الناموس كمثل من خلال رموز غامضة. كل هذه الأشياء يمكن أن نجدها بطريقة ملموسة إذا ما أعددنا أنفسنا بمثابرة للدخول إلى قدس الأقداس بعد أن نتطهر من دنس الأفكار المخزية بالغسل خلال الكلمة. وإلا فإننا نحرم من رؤية الروائع التي بداخل الخيمة، لأننا قد لمسنا أفكار فاسدة على خلاف وصية الناموس أو قد قبلنا أفكارًا غير طاهرة (ا بط

٣: ٢١). إذ أن ناموس الروح يمنع دخول مثل هذه الأشياء وأمر بأن الشخص الذي يسمح بدخول أفكار مقيتة ودنسة إلى قلبه عليه أن يغسل ضميره منها بحسب وصية موسى (عد ١٩: ١١).

أنا سوداء وجميلة

ما قلناه بشأن خيمة الاجتماع يقودنا إلى التأمل في كلمات العروس التي وجهتها للعذارى: **"أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان"** [ع٥].

يليق بالمدرس أن يبدأ بداية حسنة بشرح ما هو صالح لتلاميذه. مثل هذه النفوس التي تأهلت أن تتفهم مثل هذه الرموز تتكلم مجازيًا عن الخمر. إنهم يفضلون أن يروه متدفقًا من ثدييّ العريس الروحيين كنعمة إلهية. وهكذا يقولون، **"نذكر حبك أكثر من الخمر، بالحق يحبونك"**. ثم تسترسل العروس في حديثها مع تلاميذها، فتتحدث عن حقيقة مدهشة عن نفسها حتى نستطيع أن نعلم مدى عظمة حب العريس لبني البشر الذي أضفى جمالاً على العروس المحبوبة من خلال مثل هذا الحب. تقول: "لا تتعجبوا أن الحق أحبني". بالرغم من أني صرت سوداء بسبب الخطية ومكثت في الظلال بسبب أعمالي، فإن العريس قد جعلني جميلة من خلال حبه، إذ استبدل جماله بعاري (إش ٥٣: ٢-٣؛ في ٢: ٧). بعد أن حمل دنس خطيتي، سمح لي أن أشاركه في طهارته وأضفي على جماله. حوّل منظري المنفر إلى جمالٍ، أظهر لي حبه.

العروس كمثال للعذارى

[تطلب العروس كأم من العذارى كبنات لها أن يتشبهن بها، فقد كانت كخيام قيدار وقد تحولت إلى ستائر هيكل سليمان العظيم... تطلب ألا ييأسن بسبب فساد حياتهن، فقد كانت مثلهن لكن بحب الحق (المسيح) لها تغيرت طبيعتها من السواد إلى الجمال الروحي السماوى.]

بعد هذه الكلمات تحث العروس بنات أورشليم أن يكن جميلات مثلها. إنها تظهر جمالها بنفس أسلوب بولس الرسول الذي يقول: "لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا" (١ كو ٧:٧). وأيضًا "فأطلب إليكم أن تكونوا متمثلين بي" (١ كو ٤: ١). **لذلك تعمل العروس على ألا تقع نفوس العذارى اللآتي التزمت بهن في اليأس من أن يصرن جميلات بسبب فساد حياتهن الأولى؛** بل بالأحرى يتعلمن باتباع مثل العروس فإن حياتهن الحالية إذا ما كانت بلا لوم تصير ساترًا لأسلوب حياتهم السابق (إش ٦٥: ١٧؛ ٢ كو ٥: ١٧).

تقول العروس إنه بالرغم من أنها الآن تشع جمالاً بسبب حب الحق لها، إلا أنها لا تنسى كم كانت سوداء في بداية حياتها بسبب فساد حياتها حينذاك. بالرغم من أني كنت سوداء فإنني الآن جميلة المنظر إذ تحولت صورة الظلام إلى جمال. يا بنات أورشليم انظرن إلى أمكنَّ، أورشليم العليا. إذ ما كنتن يومًا ما خيام قيدار

بسبب سكنى رؤساء قوات الظلمة فيكن (كلمة "قيدار" تشير إلى الظلمة)، سوف تصرن "شقق سليمان"، أي تصرن هيكل الملك (١ كو٣: ١٦) وسليمان الملك يسكن فيكنَّ.

نور بعد ظلام

سليمان الذي يعني اسمه "سلامًا"، هو مملوء سلامًا. إن خيمة سليمان تشير جزئيًا إلى الغطاء الكلي للخيمة الملوكية. أظن إن بولس الرسول العظيم (٥: ٨) يحب مثل هذا التفسير حيث أنه في رسالته إلى رومية يوصينا بحب الله. بالرغم من إننا صرنا ظلمة بسبب الخطية فإن الله قد أضفى علينا جمالاً وبهاءً من خلال نعمته الفائقة. عندما يسود الليل ويكتنف الظلام كل شيءٍ نجد أنه رغم أن بعض الأشياء تصير مضيئة بالطبيعة إذ حلّ النهار فإن مقارنتها بالظلمة لا تنطبق على الأشياء التي كانت معتمة قبلاً بالسواد. **وهكذا تعبُر النفس من الخطأ إلى الحق، وتتبدل صورة حياتها المظلمة إلى نعمة فائقة**. انتقل بولس الرسول عروس المسيح من الظلمة إلى النور، إذ يقول لتلميذه تيموثاوس (١ تي ١: ١٣)، كما العروس لوصيفتها، أنه قد صار مستحقًا أن يكون جميلاً، لأنه كان قبلاً مجدفًا ومضطهدًا ومفتريًا ومظلمًا. ويقول بولس الرسول أيضًا إن المسيح جاء إلى العالم لينير للذين في الظلمة. إن المسيح لم يدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة، الذي جعلهم يضيئون كأنوار في العالم (في٢: ١٥)، بحميم الميلاد الثاني الذي غسلهم من صورتهم السوداء الأولى.

نظر داود إلى العلا وبدهشة شاهد منظر المدينة المدهش (مز٨٦: ٥) بابل مدينة الله التي قيل عنها أمور مجيدة؛ ذكرت راحاب الزانية والقبائل الأممية وصور وأثيوبيا أيضًا في أورشليم السمائية. لن يقترب أحد بعد من أهل هذه المدينة المهجورين البؤساء، قائلاً: "ولصهيون يقال هذا الإنسان وهذا الإنسان وُلد فيها" (مز ٨٦: ٥). صار البابليون من أهل أورشليم، والزانية صارت عذراء، الأثيوبيون صاروا لونهم أبيض عوض السواد وصارت صور المدينة العليا. وهكذا فإن **العروس تشجع بنات أورشليم بحماس إذ تصف لهم صلاح العريس الذي يستلم النفس السوداء ويردها إلى صورة الجمال الأول بالشركة معه.** إذن من كان "كخيام قيدار" يصير مسكنًا مضيئًا لسليمان الحقيقي، أي يسكن فيه ملك السلام. لذلك يقول النص: **"أنا سوداء وجميلة يا بنات أورشليم"**. وجميعكم الذين تنظرونني تصيرون كشقق سليمان حتى وإن كنتم قبلاً "كخيام قيدار".

أنا سبب سوادي!

ثم يضيف النص بعض الكلمات الأخرى ليقوِّي أذهان الدارسين. إن سبب سوادها لا ينسب إلى الخالق، بل منبعه هو الإرادة الحرة لكل إنسان. **"لا تنظرن إليّ لكوني سوداء"**؛ فلم أكن هكذا منذ البدء، لأنه لا يُعقل إن العروس التي شُكلت بأيدي الله تكون سوداء. "لذلك لم أكن سوداء" تقول العروس، "لكنني صرت هكذا". لست سوداء بالطبيعة لكن قد لحقني العار، إذ أن الشمس قد

لوَّحتني فتغير لوني من اللون الأبيض البرَّاق إلى السواد: **"لأن الشمس قد لوَّحتني".**

ماذا نتعلم من هذا؟ يقول الرب للجموع في المثل (مت ١٤: ٣-٧) إن الزارع الذي يزرع كلمة الله لا يزرعها في القلوب الجيدة فقط بل أيضًا في الحجرية والمليئة بالأشواك؛ حتى وإن كان هذا القلب على الطريق ويداس بالأقدام فإن الرب يلقي بذار الكلمة للجميع بسبب محبته للبشرية.

في شرحه لخاصية كل نفس، يقول السيد المسيح إن نفس الأمر يحدث في النفس الحجرية، حيث لا تجد البذرة لها عمق أرض وإذ تنبت حالاً تنبئ بالأثمار، ولكن إذ تشرق الشمس تحترق إذ لم يكن لها أصل تجف. ثمثل الشمس التجربة. وهكذا نتعلم من السيد المسيح الآتي: الطبيعة البشرية كانت صورة من النور الحقيقي، بعيدة كل البعد عن الظلمة، وكانت مضيئة كمثل الجمال الأصلي، أي الإلهي (تك ١: ٢٧).

هكذا فإن التجربة المحرقة المخادعة تعصف بالنبتة الأولى الرقيقة التي ليس لها جذور بعد. وذلك قبل أن تبلغ هذه النبتة أيّ حالة جيدة، وقبل أن يكون لها الفرصة أن تمتد بجذورها في عمق الأرض نتيجة لرعاية الفلاح لها، يأتي العصيان سريعًا فتجف البرعمة الخضراء في الحال. إن التجربة قد جعلتها سوداء بسبب الشمس المحرقة. فإذا ما قلنا أن التجربة هي الشمس فلا يُخدع أحد إذن حيث أن الكتب الإلهية الموحاة تُعلمنا ذلك في عدة مواضع.

يقدم المزمور الثاني للمصاعد (مز ١٢٠: ٢) تطويبًا للرجل الذي يأخذ معونة من الرب صانع السموات والأرض، فلن تضربه الشمس في النهار (عدد ٦)، وإشعياء التي إذ يتنبأ بإقامة الكنيسة (إش ٦٠: ٤؛ ٦٦: ١٢) يصفها بموكب خاص. وتزداد القصة إشراقًا إذ يقول إن البنات يُحملن على الأيدي، والأطفال في مركبات مغطاة، **وتحميهم مظلات من حرارة الشمس المحرقة.**

خلال هذه الرموز يصف إشعياء السلوك في حياة الفضيلة. يشير بحداثة السن إلى المولود حديثًا والبريء؛ أما بالمظلات فإن إشعياء يصف حاله الوقاية من حرارة الشمس التي تليق بالأرواح النقية التي تتميز بضبط النفس.

تعلمنا هذه الأمثال أن الأرواح المخطوبة لله يجب أن تُحمل على الأكتاف، لا يمتطيها الجسد، بل هي تمتطي الجسد. عندما نسمع تعبير "مركبات مغطاة" نتذكر النعمة التي تمنح الاستنارة التي بها نصير أطفالاً. **لا نمشي على الأرض بعد، بل نُحمل ونعيش حياة سماوية. عندما تطفأ الحرارة بمظلة الفضيلة تصير حياتنا مظللة وتصير مثل الندى. حينما لا تظلله سحابة الروح لتقيه من الحر** (إ ش ٤: ٥-٦). إن شمس التجارب هذه تحرق بشرة الإنسان فتصير سوداء، بغيضة المنظر، بسبب انقضاض تجربة ما على هذا الإنسان.

حارسة الكروم

ثم يحدثنا عن تحولنا من اللون الحسن إلى السواد: "**بنو أمي غضبوا عليَّ. جعلوني ناطوره الكروم. أما كرمي فلم أنطره**" [ع٦].

دعني أحذر القارئ هنا ألا يأخذ هذه الكلمات بالمعنى الحرفي، بل يحاول أن يفهم المعنى الرمزي. إذا ما كان الفكر قاصرًا عن توضيح المعنى المقصود فذلك يرجع إلى ضعف الترجمة اليونانية من الأصل العبري. إن الذين يدرسون اللغة العبرية لا تواجههم مثل هذه المشكلة. إن التركيبة النحوية للُّغة اليونانية لا تقارن بأناقة العبرية، بل إنها تسبب مشاكل لأولئك الذين يتبعون القيمة السطحية للمفهوم الحرفي. هذا هو المفهوم الذي ينجلي أمامنا لهذه الكلمات على قدر فهمنا لمعانيها:

إن الإنسان لم ينقصه منذ البدء شيئًا من الهبات الإلهية؛ وقد كان دوره هو أن يحافظ على كل ما أخذه من هبات الله الصالحة لا أن يجاهد ليكتسبها. ولكن خطة عدو الخير الخطيرة قد عرَّت الإنسان إذ لم يحافظ على نصيبه من الطبيعة الصالحة التي منحها له الله.

إن الكلمات هنا بها شيء من الغموض إذ تقول: **"بنو أمي غضبوا عليَّ. جعلوني ناطورة الكروم. أما كرمي فلم أنطره"**.

يعلمنا النص الكثير خلال هذه الكلمات القليلة. أول ما يعلنه القديس بولس الرسول أن جميع الأشياء من الله، ورب واحد هو الآب الذي به جميع الأشياء (١ كو ٨: ٦). ليس لموجود ما كيان إلا خلاله ومنه. "كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو ١: ٣). بما أن الله هو صانع جميع الأشياء فإذًا الكل "حسن جدًا" (تك ١: ٣١)، لأنه قد عمل كل الأشياء بحكمة. أعطى الله الطبيعة العاقلة نعمة حرية الإرادة، وأنعم على الإنسان القدرة على تحديد ما يريده حتى يسكن الصلاح في حياته، ليس قسرًا ولا لا إراديًا بل نتيجة للاختيار الحر. إن تمتعنا بحرية الإرادة يؤدي بنا إلى اكتشاف حقائق جلية. في طبيعة الأمور، إذا ما أساء أحد استخدام مثل هذه الإرادة الحرة فإنه بحسب كلمات الرسول يصير مثل هذا الشخص مخترعًا لأعمال شريرة (رو ١: ٣٠). كل من هو من الله يُعد أخًا لنا، أما الذي يرفض الاشتراك في أعمال الصلاح بكامل إرادته إنما هو يبث الشر. إذ يصير "أبو الكذَّاب" (يو ٨: ٤٤)، فقد أعدَّ نفسه لمحاربة كل من اِختار أن يعيش في الصلاح.

حيث كان هذا السقوط من الصلاح بداية الشر لبقية بني البشر (هذا ما حدث للطبيعة البشرية)، هكذا نجد إن من كان ذات يوم أسود اللون قد صار الآن جميلاً، ناسبًا سبب هذا السواد الظاهري إلى "بني أمهاتهم"؛ نحن نعلم أن كل شيء كان له أم واحدة هي سبب وجوده. وهكذا ما هو مدرك حسيًا في الوجود يُنسب إلى شيء آخر. **إن الاختيار الحر يقسم الطبيعة البشرية إلى صداقة وعداوة،** إذ أن أولئك الذين تركوا السلوك الصالح قد أعطوا مكانًا للشر بابتعادهم عن الصلاح (إن الشر منفصل تمامًا عن الخير). مثل هؤلاء يسرعون لإقامة شركة مع آخرين في الشر (إذ تقول العروس "بنو" بصيغة الجمع، فهي بذلك تشير إلى تعدد طرق الشر). إن "بني أمي" قد جعلوا الحرب في داخلي، وذلك ليس بالهجمات الخارجية ولكن عن طريق جعل النفس أرضًا للمعركة الداخلية. مثل هذه المعركة تدور في داخل كل إنسان كما يقول الرسول: "ولكني أرى ناموسًا آخر في أعضائي يحارب ناموس ذهني ويسبيني إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائي" (رو ٧:

١). وتضيف العروس قائلة: "إن إخوتي هم الذين شنوا عليَّ هذه الحرب الأهلية، وقد صرت سوداء بيد أعداء خلاصي؛ لقد قهرني الأعداء وأما كرمي فلم أنطره."

علينا أن نحسب الكرم فردوسًا، وقد أمر الإنسان إن يحرسه. إهماله في حراسته جعله يُطرد منه، وصار مقيمًا حيث تغرب الشمس بدلاً من مكان شروقها، لذلك فإن شروق الشمس يظهر في غروبها.

"غنوا لله رنموا لاسمه. أعدوا طريقًا للراكب في القفار باسمه ياه، واهتفوا أمامه" (مز ٦٧: ٤)، حتى أنه عندما يشع النور في الظلام يتحول الظلام إلى إشعاعات مضيئة، وتعود العروس السوداء إلى جمالها الأول. إن التباين في المعنى الحرفي للنص يمكن إصلاحه إذا ما تطلعنا إلى المعنى الحقيقي: "**جعلوني ناطورة الكروم**" مثلما قيل: "**جعلوا أورشليم أكوامًا**" (مز ٧٨: ١). والواضح في مفهوم النص هنا أن الله وليس الأبناء قد جعل العروس حارسة للكرم المقدس. إن الأبناء غضبوا على العروس، وضعوها كمظلة في كرم، كخيمة في مقثأة (إش ١: ٨). وقد حرمت من الفاكهة المحروسة وذلك من خلال العصيان، فصار الناظر إليها يرثي لها، حيث إن الشيء الذي كان محروسًا بداخلها لم يعد موجودًا. وضع الله آدم في جنة عدن ليعملها ويحفظها (تك ٢: ١٥)، قالت العروس: حينما نفخ في الله نفخة الحياة (إذ تمتع الإنسان بالحياة في الفردوس حيث أقامه الله هناك ليعملها ويحفظها)، وحولني الأعداء من حراسة الفردوس إلى حراسة كرمهم حيث عناقيده مملوءة مرارة وشجيراته تخرج غضبًا.

السهر في الشر!

[تشعر العروس بمرارة حينما تجد النفس التي كان يلزمها أن تحرس الفردوس الذي وهبها الله إياه، إذا بها تسهر على تحطيمه. عوض حراسة الصلاح الذي وهبها الله إياه، إذا بها تصير حارسة للشر لئلا تفقده!]

هكذا كان كرم سدوم، وأيضًا عمورة التي أدينت؛ خلالهما قد بث غضب الحيات المميت وقد انسكب في معصرة سدوم المملوءة شرورًا (يؤ ٣: ١٤). وإلى يومنا هذا **يوجد كثير ممن يسهرون بحماس على شهواتهم، خشية أن يفقدونها**.

لاحظ الإنسان الشرير الذي يسهر على الزنى متمثلاً في الشر والجشع. مثل هؤلاء الذين يسهرون على الشر يعتبرون أن الحرمان من الخطية خسارة.

وفي حالات أخرى يمكن للإنسان بالمثل أن يلاحظ الذين يستمتعون بالشهوات والتفاهات أو ما شابه ذلك، قد أحاطهم دائمًا أناس من كل نوع يسهرون على مثل هذه الشرور وقد اعتبروه امتيازًا ألا يُحرموا من الشهوات أبدًا.

تعبِّر العروس عن مرثاتها قائلة: قد صرتُ سوداء لأنني كنت أحرس وأرعى زوان العدو (مت ١٣: ٢٥) وسهامه الشريرة، "أما كرمي فلم أنطره." كم تشعر العروس بالأسى حينما تجد من حولها يرددون "أما كرمي فلم أنطره!"

إن صدى هذه الكلمات لهو حقًا مرثاةً تجعل الأنطره ينوح بكل وجدانه

كيف صارت صهيون المدينة الأمينة المملوءة عدلاً عاهرة؟
كيف تركت ابنة صهيون كخيمة في الكرم؟
كيف تُركت المدينة التي كانت يومًا ما عامرة بالناس، مهجورة؟
كيف صارت المدينة التي كانت متسلطة على المناطق المجاورة لها، تحت الجزية؟
كيف اِكدرَّ الذهب وتغير الإبريز الجيد (مرا ٤: ١)؟
كيف صارت سوداء، هذه العروس التي كانت تشع بالنور الحقيقي في البدء؟
"كل هذا قد حدث لي" تقول العروس "لأن كرمي لم أنطره".
الخلود هو الكرم، هو حالة تحرر من الشهوات، تشبه بالله وتغرب عن الشر. إن ثمرة هذا الكروم هي النقاوة. هذا هو عنقود العنب الناضج البرَّاق الذي يدفئ حواس النفس ويعطيها عذوبة في طهارة. محلاق العنب هو الاتحاد والنسب للحياة الأبدية.
إن النباتات التي تنمو ما هي إلا الفضائل السماوية التي ترتفع إلى قامة الملائكة. إن الأوراق تنبت وتتحرك برقة على الأغصان مع النسيم الهادئ، وزينة الفضائل المقدسة المتعددة الوجوه التي تنبت مع النفس كلاهما معًا.
تقول العروس إنه رغم أنها امتلكت كل ذلك وقد أثمرت إلا أنها قد صارت سوداء: "أما كرمي فلم أنطره"، إذ نبذت الطهارة صارت في صورة مظلمة. هذا الجلد هو رداء أو الشكل الخارجي الأسود (تك ٣: ٢١). لكن البر قد أحبني. فإنني أتقبل نصيبي السعيد إذ صرت جميلة ومضيئة. لن أفقد جمالي مرة أخرى، إذ فشلت قبلاً بسبب جهلي أن أحافظ على كرمي وأحرسه".

صرخة إلى الراعي

إذ أخفقت العروس في حراسة كرمها، أحجمت عن التحدث مع بنات أورشليم. بدأت تنادي عريسها خلال الصلاة وتكشف لحبيبها عن أفكارها القلبية. ماذا تقول؟
"أخبرني يا من تحبه نفسي أين ترعى؟ أين تربض عند الظهيرة؟ لماذا أكون كمقنَّعة عند قطعان أصحابك" (نش ١: ٧).
"أين ترعى أيها الراعي الصالح، يا من تحمل القطيع كله على كتفيك؟ لأنك إنما حملت خروفًا واحدًا على كتفيك ألا وهو طبيعتنا البشرية.
أرني المراعي الخضراء.
عرفني مياه الراحة (مز ٢٢: ٢).
قدني إلى العشب المشبع.
ادعني باسمي (يو ١٠: ١٦)، حتى أسمع صوتك، أنا خروفك، اَعطني حياة أبدية.
"اَخبرني يا من تحبه نفسي".
إنني أدعوك هكذا لأن اسمك فوق كل اسم (في ٢: ٩). أنه لا يوصف، وغير مدرك بالعقل البشري. لذلك فإن اسمك يكشف عن صلاحك، علاقتي بك روحية.

كيف لا أحبك يا من أحببتني بشدة؟ رغم أني سوداء، فقد وضعت حياتك من أجل خرافك (يو ١٥: ١٣)، أنت راعيهم.

ليس لأحد حب أعظم من هذا، لأنك بذلت حياتك لتمنحني الخلاص.

قل لي إذًا أين ترعى؟ عندما أجد مرعى خلاصك حينئذ أشبع بالطعام السماوي؛ الذي بدونه لا يدخل أحد إلى الحياة الأبدية. وحين أجري إليك أيها الينبوع سوف أشرب من الينبوع الإلهي الذي جعلته يتدفق ليروي كل من يعطش إليك. إذ ضُرِب جنبك بالحربة للوقت خرج دم وماء (يو ١٩: ٣٤). ومن يشرب منه يصبح ينبوع ماء حيّ للحياة الأبدية (يو ٤: ١٤). إذا رعيتني ستجعلني أستريح بسلام خلال منتصف النهار في الضوء الخالي من الظلال. لأنه لا توجد ظلال في منتصف النهار، عندما ترسل الشمس أشعتها عمودية فوق الرأس. وستجعل ضوء منتصف النهار يُريح كل من أطعمته وتأخذ أطفالك معك في فراشك (لو ١١: ٧). لا يستحق أحد أن يأخذ راحة منتصف النهار إلا ابن النور والنهار (١ تس ٥:٥). الشخص الذي فصل نفسه من ظلمة الليل إلى الفجر، سوف يستريح في منتصف النهار مع شمس البرّ (ملا ٤: ٢).

اَخبرني، قالت العروس، أين استريح؟ أرني مكان الراحة في منتصف النهار لئلا اَبتعد وأضل بجهلي عن قيادتك الحنونة، فأعرف أين أرجع لبقية قطيع غنمك.

تتكلم العروس هذا الكلام بروح الرجاء إلى الله وتكافح لكي تتعلم وتفكر كيف تحتفظ بجمالها إلى الأبد. ولكنها ليست متأكدة بعد، إنها مستحقة لصوت العريس. ولأن الله يتنبأ لها بشيء أفضل محجوز لها، وهذا هو أن مقدمة فرحها ومتعتها قد تلهب رغبتها إلى شيء أقوى. وهكذا تسبب رغبتها إلى زيادة فرحها.

اِعرف نفسك!

ولكن يتكلم أصدقاء العريس مع العروس عن مستقبلها الأبدي العظيم. وكانت نصيحتهم غامضة، وعبروا عنها كالآتي: "**إن لم تعرفي أيتها الجميلة بين النساء، فاُخرجي على آثار الغنم واِرعي جداءك عند خيام الرعاة**" [ع٨]. ويظهر الغرض من هذه الكلمات مما أسلفنا شرحه. ولكن الترتيب في النص غير واضح. فما معنى "الخيمة؟ فأسلم طريقة للفهم هي **ألا يجهل الشخص نفسه.**

يجب على كل إنسان أن يعرف نفسه كما هو، وأن يميز نفسه عن ما لا يخصه، حتى لا يجد نفسه يحتفظ بما هو غريب عنه دون وعي. ويحدث هذا للأشخاص المهملين الذين لا يراعون أنفسهم، فإنهم يهتمون بالقوة والجمال والعظمة والمركز وفائدة الثروة والغرور وضخامة الجسم ورشاقة الشكل أو أي شيء مادي يخصهم. ويتصف مثل هؤلاء الأشخاص بأنهم حراس مهملون، لأنهم ينجذبون نحو الخطأ فلا يحرسون ما هو صالح لهم.

كيف يتمكن أي شخص من أن يعتني بما لا يعرفه؟ **أحسن وسيلة للحفاظ على ما عندنا من خير هو أن نعرف أنفسنا.**

كل شخص يلزم أن يعرف من هو، وأن يقدر إمكانياته بدقة،

ويُميز بين ما هو عرضي وما هو حقيقي حتى لا يجري وراء الأوهام.
الشخص الذي يُعلي قدر الحياة في هذه الدنيا، ويحسب قيمتها كأمر يجب الحفاظ عليه لا يعرف أن يحدد ما له مما هو غريب عنه.

كل ما هو مؤقت لا نملكه. كيف نحتفظ بما هو عابر ومؤقت؟ يوجد واحد فقط في هذا العالم ليست له طبيعة مادية وهو الله الأبدي. فكل العالم المادي يفنى من خلال تغيرات سريعة ومتتابعة.

الشخص الذي يفصل نفسه عن الله الدائم إلى الأبد يضيع بعيدًا في الهاوية.

من يفصل نفسه عن الله سوف يُحمل بالضرورة إلى اتباع الشيطان. ومن يملك ويهتم بالأشياء المؤقتة ويبحث عن الله يصل في النهاية إلى خيبة الأمل، ويفصل نفسه عن الله، ولا يتمكَّن من الوصول إلى أي هدف.

يعطي أصدقاء العريس النصيحة الآتية: "**إن لم تعرفي نفسك، أيتها الجميلة بين النساء فاُخرجي على آثار الغنم واِرعي جداءك عند خيام الرعاة**"

ما معنى هذا؟

الشخص الجاهل لا يعرف قيمة نفسه، يترك قطيع الغنم ويرعى مع الجداء التي رفضها السيد المسيح ووضعها عن يساره (مت ٢٥: ٢٣). لذلك فالراعيا لصالح يضع غنمه على يمينه ويفصل الجداء من القطيع الجيد ويضعها على يساره. لنتعلم من أصدقاء العريس أن نكون واعين لطبيعة الأشياء ولا نحيد عن الحق بحفظ خطواتنا ناحيته.

تحتاج هذه النقطة إلى دراسة متعمقة. كثير من الناس لا يعرفون موقفهم من الحقيقة. لذلك يقتنعون بالطريق التي سلكها من سبقوهم، وينقصهم الحكم الصحيح على الحق، وينقصهم المنطق السليم. ويخطئون عندما تتاح لهم فرصة الحكم على الصلاح، والنتيجة أنهم يختارون لأنفسهم القوة والمركز العالي والمادة في هذا العالم: إنهم يهتمون بما يمتلكونه من مادة بينما لا يعرفون ماذا يستفيدون بها بعد مماتهم. إن العادات البشرية ليست تأمينًا جيدًا للمستقبل لأنها غالبًا ما تقودنا إلى قطيع الجداء بدلاً من الغنم.

يعطي الإنجيل فكرة واضحة عن موضوع الغنم. الشخص الذي يبحث فيما يخص الطبيعة البشرية سوف يحتقر العادات الغير منطقية، ويعتبر كل ما يُسيء للنفس أنه خطية، لذلك لا يفيدنا أن نتبع آثار أقدام الماشية التي ترمز إلى حياة من سبقونا على الأرض. وذلك لأن اختيارنا لما نعمله من الأشياء الظاهرة يظل غير واضح إلى أن نرحل من هذه الحياة، وهناك سوف نعرف من الذي تبعناه. فالشخص الذي يتبع خطوات من سبقوه ويعتبر العادات السارية في هذا العالم دليلاً له، ولا يُميز الخير من الشر إلاّ على أساس الأمر الواقع، غالبًا ما يقع في الخطأ. ويُصبح من فريق الجداء في اليوم الأخير بدلاً من فريق الخراف. لذلك يلزم أن نسمع إلى أصدقاء العروس: أيتها النفس الطيبة، بالرغم أنك كنت سابقًا سوداء، لكن إذا أردت أن تحتفظي بشكلك الجميل على الدوام فلا تقتفي آثار أقدام الذين سبقوك في الحياة. لأنك لا تعرفين إذا كانت آثار الأقدام التي تتبعينها

هي مسار للجداء أو للغنم. لذلك يجب الاحتراس لئلا نوضع بعد الموت مع القطعان التي اقتفينا آثار خطواتها بجهل أثناء الحياة.

"إذن لم تعرفي نفسك أيتها الجميلة بين النساء، فأُخرجي على آثار الغنم، وارعي جداءك عند خيام الرعاة" (نش ١: ٨). يمكن فهم هذه الفقرة بسهولة أكثر إذا رتبت كلماتها كالآتي: "إذا كنت لا تعرفين نفسك أيتها الجميلة بين النساء فلقد اقتفيتِ أثر خطوات القطعان، وأطعمتِ الجداء أمام خيام الرعاة". وهنا يتوافق المعنى بالضبط مع تفسير النص كما سبق. ولكي لا تعاني من سوء الحظ، راقبي نفسك كما يُشير بذلك النص. لأن هذا هو الطريق المؤكد لحماية نفسكِ، ويمكن التحقق من أن الله قد وضعنا في مستوى أعلى بكثير من بقية المخلوقات. فلم يصنع السموات على هيئته ولا القمر أو الشمس أو النجوم الجميلة أو أي شيء آخر تراه في الخليقة. أنت وحدك قد خُلقت على مثال هذه الطبيعة التي تعلو فوق أي إدراك، على هيئة الجمال الأبدي وصورته، كما استقبلت البركات الإلهية الحقيقية، وختم النور الحقيقي، وستصيرين مثله عندما تنظر إليه. وعندما تقتدين به هذا الذي يشرق في داخلك (٢ كو ٤: ٦) وينعكس نوره بواسطة طهارتك.

أنت أعظم ما في الخليقة!

لا يوجد في الخليقة ما يُقارن بعظمتك، فكل ما في السموات تحتويها يد الله، والأرض والبحر تمتلكها راحة يده، وأما أنتِ فيمكنك أن تحتوي الله العظيم. فبالرغم من أنه يمسك كل الخليقة في راحة يده إلا أنه يمكنك أن تحتوي الله. فالله يسكن فيك، ويخترقك وهو ليس محصور داخلك. إنه يقول إني سأسكن فيهم وأسير بينهم (٢ كو ٦: ١٦).

إذا وعيت ذلك لا تنظر عينك إلى أي شيء مادي أرضي، لا تفتكر أن السموات عجيبة جدًا وفوق الإدراك. كيف تنظر بتعجب إلى السموات أيها الإنسان إذا كنت ترى أنك أكثر منها بقاءً؟ فالسموات سوف تزول (مت ٢٤: ٣٥)، وأنت تبقى في الأبدية مع ذاك الذي يبقى على الدوام.

لا تتعجب من ضخامة الأرض أو اتساع المحيط فلقد عُينت سائقًا لهما كما على زوج من الخيل، وهى على ضخامتها واتساعها طيّعة لإرادتك. فالأرض تمدك بما تريده، والبحر يعطيك ظهره كحصان أليف لكي تركبه إلى حيث تريد.

"إن لم تعرفي نفسك أيتها الجميلة بين النساء" فإنك سوف تنظرين بازدراء للكون كله. وباستمرارية النظر إلى الخير الروحي فسوف لا تهتمين بخطوات هذه الحياة التائهة. اِفحصي نفسك باستمرار، ولا تُخدعي بواسطة قطيع الجداء. وفي النهاية سوف لا تُعزَلي مثل الجداء، بل كالخراف في يوم الحساب وسوف توضعي عن يمين العريس، وتسمعي الصوت العذب الذي يقول للخراف الطيبة المغطاة بالصوف: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (مت ٢٥: ٣٤). ليتنا نكون مستحقين لهذا الملكوت في المسيح يسوع ربنا له المجد إلى دهر الدهور أمين.

روجع
نشيد الأناشيد ١:٩-١٤

٩. لقد شبهتكِ يا حبيبتي بفرسٍ في مواجهة مركبات فرعون.
١٠. ما أجمل خدَّيكِ كخدي يمامةً،
وعنقكِ بقلائد؟
١١. نصنع لكِ سلاسل (أشكالاً) من ذهب
مع جمان من فضة.
١٢. ما دام الملك في مجلسه
أفاح **ناردِيني رائحته.**
١٣. صُرَّة المُر حبيبي لي،
بين ثديّ يبيت.
١٤. طاقة فاغية حبيبي لي،
في كروم عين جدي.

العظة الثالثة

العريس يتكلم كما بنور

[على غير عادة البشر بدأت العروس بالحديث تعلن عن شوقها نحو عريسها السماوي. وإذ يناجيها عريسها، إنما يشرق بكلماته كأشعة الشمس التي تضيء أعماقها... كلمات مسيحنا هي النور تبدد ظلمة الخطية الخفية في الداخل، وتحول ظلمة قبرنا إلى مقدس منير.

حديثه هو إعلان ذاته كما على جبل سيناء... لكنه إعلان مفرح، لأنه إعلان عن عرس سماوي أبدي.]

سبق الإشارة إلى أنَّ الآيات الأولى في نشيد الأناشيد يمكن مقارنتها بأشعة الشمس عند الفجر بعد أن يسحب الليل آخر ظلاله. إنها لا تحمل ضوءًا صافيًا بل هي مقدمة رقيقة له، لأنها ليست بالأشعة التي تُضيء الإضاءة الكاملة.

تتكلم العروس في افتتاحية النشيد ثم يُشرِق صوت العريس مثل الشمس التي يطغي نور أشعتها على ضوء النجوم والقمر، ويرمز ذلك إلى تطهير وتنظيف الروح استعدادًا لاستقبال الله.

يشترك النص الحالي للنشيد في اللاهوت نفسه، لأن كلمة الله وقوته العظيمة تُمِكّنان القارئ من مشاركته الكلمة. ويشبه ذلك إسرائيل في جبل سيناء الذي كان مستعدًا خلال يومين من التطهير (خر ١٩: ١٠) أن يستحق الاستماع إلى الله عند فجر اليوم الثالث. لقد استقبل إسرائيل الله نفسه بعد ما غسل الشعب خطاياه وأقذاره . لذلك يمكن اعتبار تفسير مقدمة النشيد كأن لها نفس فائدة يومئ التطهير من وحل الجسد لكي نفهم كلمات النشيد.

سوف يُظهر الله الكلمة (للنفس) المتطهرة في اليوم الثالث الذي يتبع اليومين الأول والثاني. وسيجعل ظهوره معروفًا، ليس في الظلام، بل في رعود وبروق وصوت بوق شديد جدًا وأتون نار أحرقت كل ما حول سفح الجبل إلى قمته، ولكنه سوف يتحول ظهوره المخيف هذا إلى فرح جميل ومقبول، لأنه يقوم بين العريس والعروس.

طلبت العروس أن تعرف المكان الذي يقضي فيه الراعي الصالح وقته، حتى لا تعاني من مصاعب قد تحدث لها في غيابه بسبب جهلها، فشرح لها أصدقاء العريس الموقف الحقيقي والمؤكد هكذا:

يجب أن تراقب النفس وتعرف نفسها. إنه يُقال أن جهل الإنسان بنفسه هو بداءة جهل الشخص بكل شيء يجب أن يعرفه، وما يترتب عن ذلك من نتائج. كيف يحصل الشخص على معلومات بينما هو يجهل نفسه؟

عندما يتنقى ويتطهر الجزء المُتحكِّم (القيادي) في النفس يشرق الله الكلمة على النفس التي ترغب فيه كالشمس، يشجعها إلى كمال أعظم من خلال ما تم عمله، ثم يمدح ما يُعمل في اتجاه معرفة أعمق للخير (لله).

سلاح فرسان روحي

وماذا يقول إذن الكلمة الحقيقي للعروس البكر؟

يقول لها **"لقد شبهتك يا حبيبتي بفرس في مواجهة مركبات فرعون"** [ع٩]. ولما كان من المستحيل أن نفسر هذه الكلمات بمعناها الحرفي، لذلك يلزم أن نختبر النص الذي أمامنا بعمق.

كما نعرف من سفر خروج (١٤: ١٦-٢٩). إنه قد نشأت قوة مضادة لفرسان فرعون: السحاب، والأسلحة، والرياح الشديدة، وانغلاق البحر الأحمر وتحوُّل قاع البحر إلى أرض جافة، والأمواج العاتية التي تحولت إلى جدران على الجانبين، ومن خلال هذا الخلاص العظيم عبر الإسرائيليون البحر بينما غرق المصريون بفرسانهم ومركباتهم في القاع.

إذ لم يظهر أي فرسان ليحارب بهم إسرائيل جيش المصريين، لذلك ليس من السهل تَصوُّر مقارنة العروس بالفرسان ضد مركبات المصريين.

"**لأن فرساني**" يقول العريس "**انتصرت على مركبات الفرعون، إني شبهتك بهم يا حبيبتي" .**

واضح أن العدو لا يمكن هزيمته في معركة بحرية دون أن تغرقه قوة أخرى. وأيضًا لا يمكن هزيمة فرسان المصريين دون أن تقوم قوة معادلة لهم من الفرسان بذلك. وقد كانت قوة فرسان الجيش المصري معروفة بقوتها.

ويُسمِيّ النص القوة الخفية التي هزمت جيش المصريين بالفرسان. لأنهم علموا أيضًا أن الله كان يحارب معهم لقد صرخوا قائلين: "الله يحارب ضد المصريين" وقال المصريون "دعونا نهرب من وجه الله" ويتضح من ذلك أن القائد الحقيقي جَنَّد قواته الخاصة ضد قوات العدو (سفر الخروج ١٤).

أي أن قوة غير مرئية دمرت قوات المصريين خلال معجزة البحر الأحمر، وهذه القوة يسميها النص "الفرسان" ويمكن أن نفترض أن الفرسان كانوا جيشًا من الملائكة التي يذكرها حبقوق النبي: "ركبت خيلك ومركباتك مركبات الخلاص" (حب ٣: ٨). وذكر داود أيضًا مركبات الله قائلا: "مركبات الله ربوات" (مز ٦٧: ١٧).

وكذلك فإن القوة التي رفعت إيليا من الأرض إلى المنطقة العليا يُسميها الكتاب بالخيل (٢ مل ٢: ١١). ويُسمي زكريا النبي الذين ذهبوا حول كل الارض - ورأوا أنها في سلام، وتكلموا مع الرجل الذي كان يقف بين الجبلين - فرسانًا (زك ١: ١٠-١١).

ذاك الذي يملك الكون عنده فرسان وهي التي رفعت النبي إيليا وتنظم السلام في الأرض المسكونة.

وفي حالات أخرى يُجنَّد فرسانُ الله في مركبات ويأتي الله على رأسها لخلاص البشر، أو تأتى لهزيمة جيش المصريين. لذلك توجد طرق عديدة تعمل بها فرسان الله.

ويمكن مقارنة الفرسان التي تقود النفس إلى الفضيلة بالفرسان التي

هزمت جيش المصريين. لذلك فكلمة الله تقول للعروس: **"إني أقارنك يا حبيبتي بالفرسان التي تواجه مركبات فرعون".**

إن سفر النشيد به أمجاد كثيرة. وبمقارنة سلاح الفرسان هذا، نجد أنه قائمة من التماجيد. نتذكر الأمور التالية عن إسرائيل أثناء إقامته وسط المصريين: العبودية، العصافة، الطين، التبن، كل عمل يتصل بالتراب، أولئك الذين طلبوا حصة يومية من التبن، تحويل الماء إلى دم، والنهار صار ليلاً، الضفادع دخلت وملأت المنازل، التراب المُحرَق الذي سبب القروح والأورام، كل نوع من أنواع البلية مثل الجراد، الذباب، المطر، البرَدْ، وموت الأبكار. كل هذه الأمثال وغيرها ما هي إلا طرق الخلاص للإسرائيليين، وهي تُعدُّ أساسًا لتمجيد النفس المتحدة بالله.

تقارن النفس بتلك القوة التي حطمت المصريين الأشرار، وأطلقت إسرائيل حرًا من طغيان الشر، لأن كل هذه الأحداث قد آلت إلى النجاح، تلك التي حطمت مصر وأيضًا أعدَّت الرحلة إلى الله للشعب الذي أُقتِيد إلى أرض الموعد بعيدًا عن وحل أرض مصر.

وحيث أن القديس بولس الرسول يقول: (١ كو ١٠: ١١) أن هذه الأمور جميعها كُتِبت لإنذارنا، فإن الكلمة يعزينا خلال كلماته التي وجهها إلى العروس وهي **أنه علينا** أيضًا أن **نستقبل الكلمة وقد امتطانا كما على فرس ليهزم سلاح الفرسان المصري بمركباته وفرسانه، ليغرق كل قواته الشريرة في المياه ويصير مثل تلك القوة التي تترك الجيش المعادي وراءها في المياه في وصمة عار.**

وحتى نستطيع أن نفهم كلمات النشيد بالأكثر علينا أن نأخذ في الاعتبار الآتي:

إن شخصًا ما لا يمكن مقارنته بسلاح الفرسان الذي غرقت بواسطته مركبات المصريين إلى العمق إلا إذا كان **قد تحرر من العبودية للعدو خلال المياه السرائرية. وعليه أن** يترك وراءه **كل تفكير في مصر وكل شر وخطية في المياه.**

عليه أن يطفو على سطح المياه طاهرًا، ولا تشوب حياته الجديدة أي أثر من آثار الضمير المصري (الفرعوني).

لأن الإنسان الذي تطهر من كل عذابات المصريين: الدم، الضفادع، البثور، الظلام، الجراد، الذباب، البرد، النار من السماء والتجارب الأخرى التي بتلك القوة التي يمتطيها الكلمة. نحن لا نجهل تمامًا ما ترمز إليه العذابات مثل الدم، رائحة الضفادع (النتنة)، تحوّل النور إلى ظلمة، وهكذا...الخ

مَنْ يخُفي عليه مثل هذه الحياة التي تتحول إلى دم؟ قد كانت قبلاً ماءً صالحًا للشرب والآن قد صار ملوثًا. أيضًا من لا يعلم كيف تتحول الحياة المضيئة إلى حياة مظلمة؟ وإلى مثل هذه الحياة الشريرة؟ فإن أتون جهنم يأتي ببثور مُهيِّجة للجلد ولعينة. ونستطيع أن نقول أن كلا من الضربات التي وقعت على المصريين يمكن أن تتحول بسهولة إلى شيء تعليمي ووسيلة لكبح جماح السامعين؛ حقًا ليس من الضروري أن نعيش في حالٍ كهذه، أظن أننا جميعًا

متفقون على ذلك.
حينما نتغلب على مثل هذه الأمور ونقترب من الله، سوف نسمع حتمًا نحن أيضًا هذه الكلمات **"قد شبهتك يا حبيبتي بفرس في مركبات مواجهة فرعون".**

فرس مقدسة وفرس شريرة

ربما لا يروق للبعض هذه المقارنة بالفرس في مواجهة مركبات فرعون خاصة الذين سلكوا حياة معتدلة ومنضبطة.
كثير من الأنبياء يمنعوننا من تشبيه أنفسنا بالخيل، إذ نجد أن إرميا يستخدم الخيل كرمز للشهوة الجسدية المسعورة: "صاروا حصنًا معلوفة سائبة. صهلوا كل واحد على امرأة صاحبه" (إر ٥: ٨). بالمثل قال داود العظيم في الأنبياء أنه قد كان شيئًا فظيعًا أن يكون المرء كفرس أو بغل (مز ٣١: ٩)، ويحثنا أن نلجم فمنا مثل هذه الحيوانات بلجام وشكيمة.

خدَّا يمامة

[لا نخف من تشبيهنا بالفرس، فإننا نحمل بالله قوة الفرس وحياء اليمامة وطهارتها، إذ لنا خدَّا يمامة طاهرة.]

لذلك يسترسل كاتب النشيد بنغمة لتخفيف الألم في الآيات التالية، قائلاً أنه حتى ولو كنت فرسًا فإنه لا داعي لوضع لجام أو شكيمة على فمك لكبح جماحك. بل أن خدَّيك قد صارا جميلين من خلال نقاوة اليمامة. لأنه يقول: "**ما أجمل خدَّيك كخدَّي يمامة".** الذين يتمتعون بقوة ملاحظة يزعمون أن هذا الطائر يبقى وحده بعد أن ينفصل عن أليفه ولا يتخذ لنفسه آخر، كما ولو كانت الطهارة شيئًا طبيعيًا في حياته. لذلك فقد تضمَّن شيئًا طبيعيًا تمجيد الكلمة لهذا الطائر أيضًا. بدلاً من لجام لفم هذا الفرس المقدس لدينا خدَّان يُقارنان بخدَّي اليمامة. وذلك يشير إلى أن حياة الطهارة تلائم مثل هذا الفرس. إن الكلمة يقول لعروسه بإعجاب:" **ما أجمل خدَّيك كخدَّي يمامة".**
ويضيف مديحًا آخر بعقد مقارنة: "**وعنقك بقلائد**".
يستخدم لغة الكلمات لمدح العروس. إنه يمدح عنقها إذ بها انحناءة دائرية مثلما نرى الخيول الجميلة الصغيرة السن.

عنق العروس انحناءة مهر جميلة وميناء آمن

إن ذكر القلائد يشير لهذه الانحناءة الدائرية على عنق الفرس التي تُظهر جمالاً خاصًا للمهرة.
من الجانب الآخر فإن كلمة **"قلائد"** تشير إلى أماكن من شاطئ البحر منحنية للداخل على شكل هلال. بذلك يستقبل البحر في حضنها ويمثل مكان راحة للذين يبحرون آتين من عرض البحر.
وبسبب شكلها تسمى زينة العنق مجازيًا HORMOS. عندما يستخدم تصغير

HORMOS لكلمة HORMISKOS، نرى الشكل المماثل مصغرًا. لذلك فإن مقارنة عنق العروس بالقلائد يمثل مديحًا فائقًا عظيمًا للعروس.

أولاً. فإن المهر حين يُحنى رقبته على شكل دائرى يحترس في خطواته فيجري في أمان، لكيلا ترتطم حوافره بصخرة أو يقع في حفرة. هذا ليس بالمديح البسيط للروح اليقظة المتقدمة بسرعة في الطريق المقدس دون أن تسقط أن تعتبر فوق كل تجربة تعوقها في الطريق وتتجاوزها.

إن المفهوم الأصلي لكلمة "hormos" حيث أنه يشير بالمثل إلى زينة العنق يسمى "hormiskos" ويتضمن حقًا مديحًا عظيمًا عندما يقارن العنق بالقلائد.

ما هي المدائح التي يكشفها الإنجيل خلال هذا التعبير؟

ثانيًا. إن الميناء هو ملاذ أمين يرحب بالبحارة، وملجأ هادئ بعد عنائهم في البحر. هنا ينسون أتعابهم بينما يستردون عافيتهم ويستريحون من أتعابهم الطويلة. فلا خوف من انكسار السفينة، ولا قلق من جهة عمق المحيط، ولا مخاطر من قراصنة ولا اضطرابات الرياح ولا هياج البحر بسبب النوء.

الذين كانوا عرضة لتقاذف سفينتهم بسبب العاصفة قد صاروا الآن بمنأى عن كل مثل هذه المخاطر في ملاذ المياه الساكنة.

قلائد الفضائل الروحية

إذا ما أعدَّ أحد نفسه حتى تبقى في سكون بغير اضطراب، في هدوء بلا أمواج مضطربة بريح الرذيلة، ولا انتفاخ خلال الكبرياء أو الحنق بأمواج الغضب، أو الاضطراب بأمواج الشهوة، أو تحمله كل ريح تثير أمواج الشهوة الكثيرة إذا ما أعدَّ النفس هكذا، وإذا ما سكَّن الاضطراب العاصف في بحر هذه الحياة بكل أمواجه الهائلة الشريرة، وصمدت أمامهما حياة الفضيلة السلسة الهادئة حتى يدخلون فيها ويفرون من مخاطر انكسار السفينة، حينئذ يكون جديرًا بأن يقارن على فم الكلمة **"بالقلائد"** حيث أن استخدام الجمع هنا يشير إلى كمال الفضائل في كل أشكالها.

إذا ما قورنت العروس بقلادة واحدة فقط لما كمل مديحها إذ لا تتضمن الفضائل الأخرى. **مقارنتها لعدد من القلائد يحمل شهادة لحقيقة أنها تُمتدَح من أجل تجمُّلها بجميع الفضائل. وهذا عزاء مقدم في النص للكنيسة بأجمعها.**

فعلينا ألا نقْصر اهتمامًا لاقتناء فضيلة واحدة وإهمال أعمال صالحة أخرى.

إذا ما تحليت بقلادة ضبط النفس على عنقك بحياة طاهرة كما باللآلئ إذن فعليك أن يكون لك قلادة أخرى: الغيرة لاقتناء الفضيلة يتضمن حجارة كريمة من التعاليم المقدسة لتضاعف من جمال عنقك.

عليك أن تقتني قلادة أخرى أيضًا تزين بها عنقك: الصلاح والإيمان السليم.

هذه هي القلادة الذهبية المسبوكة من الذهب الخالص لمعرفة الله الذي يبُرق حول عنقك.

يقول سفر الأمثال: "لأنها إكليل نعمة لرأسك وقلائد لعنقك" (أم ١: ٩).

وهكذا فإن قلائد العروس تهبنا ثمرًا وفيرًا لأفكارنا.

الآن حان الوقت لنتأمل كلمات أصدقاء العريس الموجهة للعروس: "نصنع لك سلاسل (أشكال) من ذهب مع جُمانٍ من فضة (١: ١١-١٢). "ما دام الملك في مجلسه أفاح نارديني رائحته".

إذا ما تطلع أحد إلى هذه الكلمات في سياق التفسير المقدم عالية، يجد أن الغرض يبدو متآلفًا معه. ولكن المعنى الحرفي مختفي بعمق وراء الرمز ويصعب تفسيره.

بما أن جمال الروح قد قورن بسلاح الفرسان (أي الجيش الملائكي) الذي حطم مركبات المصريين، وحيث أن ممتطي الفرس يسمى من يملك على فرسه "الطهارة" بالمقارنة بخدَّي اليمامة، وأيضًا عنق العروس مزيَّن بقلائد لامعة بالفضائل، نجد أن أصدقاء العريس يودون أن يُضفوا الجمال على الفرس. يفعلون ذلك بتزيينها بأزرار ذهبية مطعمة بفضة نقية. بذلك تزداد جمالاً وتلمع بالأكثر إذ أن لمعان الفضة يمتزج ببريق الذهب.

علينا أن نترك وراءنا هذه المعاني الرمزية ولكن دون أن نحذف أي معنى ربما قد يساعدنا. إن النفس وقد تطهرت خلال الفضائل قد قورنت بسلاح الفرسان.

الملك العريس ممتطي الفرس

لكنها لم تُعبِّر بعد عن أنها تابعة للكلمة؛ ولا أنها تحمل فوقها ذاك الذي يمتطي الفرس حتى يأتي بالخلاص (حب ٣: ٨؛ زك ٩:٩).

يليق بالفرس أولاً أن يكون في كامل زينته وبعد ذلك يستقبل الملك (الذي يمتطيه).

سواء أخضع الملك الفرس له - ذاك الذي بحسب الأنبياء يمتطينا كفرس من أجل تحقيق خلاصنا (حب ٣: ٨)، أو كان هو الذي يسكن في داخلنا أو يتمشى معنا مخترقًا أعماق نفوسنا، فلا فرق في المعنى، لأن الوحدة تتحقق خلال الأمرين، وأي قصور يتحول إلى الكمال.

فمن يكون فرسًا يمتطيه الله هو حقًا يتمتع بالله ساكنًا بداخله، ومن يستقبل الله بداخله فقد تجاوز ما كان قد أدركه قبلاً.

لذلك فإن الملك على وشك أن يمتطي الفرس. كما قيل بالنسبة للقدرة الإلهية فإن الاتكاء على مقعد أو مضجع سيان.

إن رجال الملك يجهزون الفرس ليمتطيه بتزينه أولاً، حيث أنه في عينيّ الله لا فرق بين أن يكون بداخل إنسان أو فوقه.

إذا ما تركنا جانبًا المفهوم الرمزي، نجد أن الذين يجهزون الفرس يتعهدون أن يجعلوا منه الآن مُتكئًا، وكما يقول النص يلزمنا أن نصنع سلاسل (أشكالاً) من ذهب مع جمان من فضة لتجميل الفرس، حتى يستريح الملك لا على مقعد بل كما على سرير.

طبيعة الله التي لا توصف!

كما يوضح لنا الكتاب، إن النص يصف لنا هذا المعنى. علينا أَلاَّ نسترسل دون الأخذ في الاعتبار سبب عدم استخدام الملك للذهب للزينة بل "**شبه الذهب**"، وليس الفضة بل "**شبه الفضة**". ذلك يعني الآتي:

كل تعليم يخص وصف طبيعة الله التي لا توصف، حتى وإن كان يكشف عن أفضل وأسمى مفهومٍ ممكن إنما هو شِبه الذهب وليس الذهب ذاته، لأن الصلاح الذي يتجاوز العقل البشري لا يمكن تقديمه بدقة.

حتى ولو أن أحدًا مثل القديس بولس قد اِطلع على أسرار الفردوس غير المدركة وسمع كلمات لا ينطق بها (٢ كو ١٢: ٤) فإن أي معرفة لله تظل لا ينطق بها.

وبولس الرسول ذاته يقول إن مثل هذه المفاهيم غير مدركة.

أعلن أولئك الذين يقدمون لنا أي أفكار صالحة عن مثل هذه الأسرار، أنهم أيضًا غير قادرين حقًا على التعبير عن الطبيعة الإلهية.

إنهم يتكلمون بالأحرى عن بهاء مجد الله ورسم جوهره (عب ١: ٣)، صورة الله، والكلمة الذي في البدء وكان الكلمة الله (يو ١:١). كل هذه التعبيرات تبدو لنا نحن الذين لم نرَ الطبيعة الإلهية مثل الذهب من هذا الكنز.

ولكن بالنسبة لهؤلاء القادرين على رؤية الحقيقة، يرون أنها شبه الذهب وليس ذهبًا لامعًا، إنه ذهب مع جُمان من فضة. إن الفضة كما يقول الكتاب: "لسان الصدِّيق فضة مختارة" (أم ١٠: ٢٠).

هنا يتكشف لنا أن الطبيعة الإلهية تتجاوز كل مفهوم نحاول أن ندركه.

إن فهمنا للطبيعة الإلهية يشبه ما نهدف إليه. إن أحدًا لم يَرَها ولا يستطيع أن يراها، إلا كما في مرآة ولغز (١ كو ١٣: ١٢).

إنها تعطينا انعكاسًا لما نفكر فيه، أي تقدم انعكاسًا موجودًا في النفس بصورة معينة.

كل كلمة تمثل هذه المفاهيم تشبه نقطة تحتاج أن تتسع حيث أنها قاصرة عن التعبير عما في العقل.

إذن فكل فكر لنا يعجز عن إدراك الله.

وكل كلمة تقال كمحاولة للتعبير عن الله تبدو مثل نقطة صغيرة غير قادرة على الاتساع لتتناسب مع المفهوم. هكذا إذ تقُاد النفس بمثل هذه المفاهيم لإدراك ما لا يمكن إدراكه إلا عن طريق الإيمان عَلَّها أن تفسر ذاتيًا طبيعة تفوق كل ذكاء.

هذا ما يقوله أصدقاء العريس: "دعينا أيتها النفس التي تشبه الفرس نصنع لك صورًا تشبه الحق (لأنه لذلك يذكرون الفضة: إذ أن كلماتهم تشبه شرارة تتلألأ، ولكنها قاصرة عن تقديم المعنى العميق بدقة).

وعندما تصلك هذه الكلمات تكون قد صرت خاضعًا لها وهكذا تصير مكانًا لسكنى ذاك الذي يوشك أن يتكئ ويسكن في داخلك خلال إيمانك.

سوف تكون عرشه وأيضًا موضعًا لسكناه

ربما يستحق القديس بولس أو من يشبهه مثل هذه الكلمات.

لأن بولس الرسول قد صار يومًا ما "إناءًا مختارًا" (أع ٩: ١٥)، فلم يَعَشْ حياته بعد لكنه أظهر المسيح حيًا في حياته، وقدم برهان المسيح المتكلم فيه (٢ كو ١٣: ٣). لذلك صار مسكنًا يحوي الطبيعة التي لا تُحوىَ.

أفاح نارديني رائحته

[نتعرف على العريس خلال رائحته فينا، وندرك صلاحه غير المدرك خلال عمله فينا. هكذا تصير النفس مرآة له!]

مثل هذه النعم يمنحها أصدقاء العريس للنفوس العذارى الطاهرة (مثل هؤلاء الأصدقاء هم أرواح خادمة لخدمة العتيدين أن يرثوا الخلاص).

تزداد العروس كمالاً عندما تُمنح هذه النعم؛ كلما اقتربت من شهوة قلبها، وقبل أن يتجلى جمال عريسها نجدها خلال حاسة الشم تتلامس مع من تشتهيه وتهدف إليه.

إنها تميز لونه خلال قوة رائحته وتقول أنها تشتم رائحته خلال رائحة عطرها الذي تسميه "ناردين". تستخدم هذا التعبير حينما تخاطب أصدقاءها: "أفاح نارديني رائحته" [ع١٢].

تقول العروس أنك لا تمنحنا الذهب الخالص بل شبه الذهب خلال المفاهيم المناسبة لإدراكنا، ولا تكشف عن شيء عنه سوى رموز وعلامات.

لكنك تلقي بعض الضوء على ذاك الذي أفتش عنه خلال تلميحك بالـ "جُمان من فضة" لذلك فأنا أيضًا قد تلقيت رائحتك الذكية خلال رائحة نارديني، وذلك عن طريق الحواس.

هذه الكلمات في نظري تعني الآتي: هناك كثير من العطور المتنوعة وكلٌ له رائحته التي تختلف عن الآخر، لكننا إذا صنعنا مزيجًا من العطور باهتمام سوف نحصل على عطر خاص.

إن عطرًا واحدًّ يسمى ناردين يطلق اسمه على خليط من كل العطور. كثير من خواص العطور تنسب إلى واحد، ألاَ وهو رائحة العريس الزكية الذي تستنشقه الحواس النقية.

نظن أن الكلمة يعلمنا هنا عن جوهره المفهوم ضمنًا خلال ترتيب الخلقة والهيكل العام لها:

إنه لا يُدنَى منه وغير ملموس وغير مدرك. بدلاً من الكلام لدينا الرائحة المركبة الناتجة عن كمال الفضائل بداخلنا.

إنها تشبه بطهارتها من هو بالطبيعة عديم الفساد، وبصلاحها تشبه صلاحه، بعدم فسادها عدم فساده، بعدم تغييرها عدم تغيره؛ وبكل ما فينا الذي يتأثر بالفضيلة، فضيلته الحقة التي غطت كل السموات كقول **حبقوق النبي** (حب ٣:٣).

حين تقول العروس لأصدقاء عريسها **"أفاح نارديني رائحته" تأخذ (النفس)** من كل زهرة من مختلف مروج الفضيلة وتصير حياة الإنسان عطرة

خلال رائحة سلوكه الذكية وهكذا يصير كاملاً إلى حدٍ ما، مثل هذا الشخص لن يكون من طبيعته أن ينظر بثبات على كلمة الله كما على الشمس ولكنه بالأحرى يراها بداخله كما في مرآة. **لأن شعاع هذه الفضيلة الحقة المقدسة يشع في الحياة الطاهرة بإفراز، ويجعل الغير منظور منظورًا لنا، والغير مدرك مدركًا، بتصوير الشمس في مرآة نفوسنا.**

عندما نتفهم النص نجد أنه لا فرق بين أن نتحدث عن أشعة الشمس، وتدفق الفضيلة أو رائحة العطور الذكية. أيًا كان التعبير الذي نختاره، فهناك فكرة عامة واحدة للكل، ألا وهي أننا نكتسب معرفة الصلاح من الفضيلة، ذلك الصلاح الذي يتجاوز كل فهم، تمامًا مثلما نستدل على جمال أي نموذج من صورته.

هكذا تشبَّه بولس العروس بالعريس في فضائله، وصور(ما تشكيلها؟؟) بعطره الجمال الذي لا يدنى منه. من ثمار الروح الحب، الفرح، السلام وما شابه ذلك. صنع عطره واستحق أن يصير "رائحة المسيح الذكية" (٢ كو ٢: ١٥)، لقد استنشق القديس بولس هذه النعمة الغير مدركة التي تجاوزت كل نعمة، وأعطى نفسه لآخرين كرائحة ذكية ليأخذوا منها على قدر طاقتهم، حسب تدبير كل إنسان. صار بولس الرسول عطرًا إما لحياة أو لموت، فإنه إذا ما وضعنا العطر ذاته أمام خنفس وأمام حمامة، فلن يكون له تأثير مماثل على الاثنين: فبينما تصير الحمامة أكثر قوة حين تستنشقه فإن الخنفس يموت حينذاك. هكذا كان الحال مع الرائحة المقدسة، مع بولس الرسول العظيم الذي شابه الحمامة.

وبالمثل تيطس وسلوانس وتيموثاوس جميعًهم قد شاركوا في رائحة عطر بولس الرسول، ونموا في كل عمل صالح مع بولس متخذينه مثالاً لهم.

على الجانب الآخر، فإن إنسانًا ما كديماس (٢ تي ٤: ١٠)، أو الكسندر (٢ تي ٤: ١٤) أو هرموجانس (٢ تي ١: ١٥)، لم يشتركوا في رائحة عطر بولس الرسول، إذ لم يستطيع كل منهم أن يحتمل رائحة ضبط النفس، فإنه طُرح مثل الخنفس تحت تأثير رائحة العطر الذكية.

لذلك فإن بولس الرسول الذي بمثل هذه الروائح الذكية قال: "لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون. لهؤلاء رائحة موت لموت، ولأولئك رائحة حياة لحياة" (٢ كو ٢: ١٥).

إذ توجد علاقة بين ناردين الإنجيل وعطر العروس، علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذا الناردين الأصيل الغالي الثمن الذي سُكب على رأس السيد (يو ١٢: ٣)، وهكذا فاحت رائحته الذكية، وملأت المنزل كله. وبالمثل فإن هذا العطر لا يختلف عن عطر العروس الذي أفاح رائحة العريس.

جاء في الإنجيل إنَّ سَكْبَ الطيب على رأس ربنا قد أفاح رائحة زكية في أرجاء المنزل حيث أقيمت المأدبة، وكأن المرأة ساكبة الطيب قد تنبأت بسرّ موت المسيح. وقد شهد الرب لعملها هذا قائلاً: "إنما فعلت ذلك لأجل تكفيني" (مت ٢٦: ١٢).

المنزل الذي امتلأ بهذه الرائحة يمثل الكون بأكمله، العالم كله: "حيثما يكرز بهذا الإنجيل في كل العالم" تنتشر رائحة عملها هذا مع الكرازة بالإنجيل، ويصير

الإنجيل "تذكارًا لها"، إذ أن الناردين في نص نشيد الأناشيد يفيح رائحة العريس لعروسه، وفي الإنجيل أيضًا تصير رائحة المسيح الذكية التي ملأت كل المنزل كطيبٍ يُطيِّب كل جسد الكنيسة في كل المسكونة والعالم أجمع، فربما نجد علاقة بين الفقرتين.

نكتفي بما قلنا في هذه النقطة .

والآن يبدو أن ما يلي يناسب نغمة العرس، أي العروس التي تعد نفسها في حجرة العرس .

صُرَّة المُر

حقًا إن النص إذن **"صُرَّة المُر حبيبي لي. بين ثديي يبيت"** [ع١٣].

يقال أن النساء يهتممن أكثر مما ينبغي بحليِّهن حتى يبدون جميلات في أعين رفقائهن، ولكنهن يهتممن أيضًا بأن يعطِّرن أجسادهن حتى تكون ذات رائحة زكيه جذابة لأزواجهن. ولذلك فإنهن يضَفن العطر في ثنايا ثيابهن حتى إذا ما فاحت رائحة العطر يكون لأجسادهن نصيب أيضًا في رائحته.

إذا ما أخذنا في الاعتبار عادة النساء هذه، نقول تُرى بماذا إذا تجرأت العذراء النبيلة لتقول؟

عندما تكون **"صُرَّة مُر"** مدلاَّة من عنقي فوق ثدييَّ فإنها تعطر جسدي برائحة زكية. ولكنه ليس بالعطر المألوف. إذ صار الرب ذاته المُر الساكن في "صُرَّة صغيرة" وساكنًا في قلبي.

إن مركز القلب كما يقول الخبراء يقع بين الثديين.

تقول العروس إن هناك تضع الصُرَّة التي بها كنزها. أيضًا يقال إن القلب هو منبع الدفء منه يستمد الجسد حرارته خلال الأوردة. وهكذا تتمتع أعضاء الجسد بالحرارة والنشاط والغذاء خلال حرارة القلب الملتهبة. **ولذلك فإن العروس قد استقبلت رائحة المسيح الذكية في مركز النفس وقد جعلت من قلبها نوعًا من الصرة لتحتوي هذا العطر.** وتجعل العروس كل أعمالها وأيضًا أجزاء جسدها ملتهبة بنسمة من قلبها حتى لا يفتر حبها لله في أي عضو من أعضاء جسدها بسبب أي خطية تحاربها.

كروم عين جدي

دعنا نفحص الآن الآية التالية.

دعنا نستمع ما تقوله الكرمة المزدهرة عن ثمارها، الكرمة الموضوعة في جوانب بيت الله، التي يقول النبي إنها مثمرة (مز ١٢٧: ٣).

إن الحياة الطاهرة الإلهية تمتزج بالحب. "**طاقة فاغية حبيبي في كروم عين جدي**". من هو هذا المبارك هكذا؟ بل بالحري من ذا الذي يسمو فوق كل بركة حتى أنه إذا ما نظر إلى ثمرته يرى في كرمه أي في نفسه الداخلية رب الكرمة؟ لاحظ كيف نمت العروس حتى إن ناردينها قد أفاح رائحة العريس الذكية. لقد جعلت منه مرًا نقيًا، ووضعت هذا العطر في صُرَّة، وخبَّأته في قلبها حتى لا

تفارقها عذوبته ولا تفقدها أبدًا، وهكذا قد صارت العروس أمًا لعنقود العنب المقدس الذي أزهر أي الذي أزدهر، وقت آلام الرب وأثناء هذه الآلام سكب عصيره. الخمر الذي يفرح القلب (مز ١٠٣: ١٥) يسمى دم العنب بعد الآلام.

نستطيع أن نستمتع بعناقيد العنب بطريقتين: بأزهارها التي تنعش الحواس برائحتها الذكية، وبنضوج ثمارها إذ نستمتع بأكله أو حين نقيم مأدبة نقدم فيها الخمر.

في نفس السفر نجد العروس قد جمعت العناقيد المزدهرة وتسمى البراعم سروًا.

ينمو الطفل يسوع المولود بداخلنا بمختلف الطرق في الحكمة والقامة والنعمة في قلب من يستقبله ليسكن فيه (لو ٢: ٥٢).

يسكن المسيح في كل قلب نقي ولكن بصورة مختلفة حسب قامة الإنسان الذي يسكن بداخله. يُظهر ذاته حسب طاقة كل إنسان. فإنه يأتي كطفل أو كصبي أو كإنسان ناضج على مثال العناقيد.

لا يظهر المسيح بنفس الصورة على الكرمة، لكنه يغير هيئته مع مرور الوقت، الآن تبرعم، لقد نبت، ثم نضج وصار يانعًا وأخيرًا صار خمرًا.

إذ يحمل الكرم ثمرته يحمل معها وعدًا، حقًا إنه لم ينضج بعد ليعطي خمرًا ولكنه ينتظر مرحلة النضوج. **وفي الوقت ذاته إنه لا يحرمنا من السرور، لأنه يفرح حاسة الشم بدلاً من التذوق باعتبار ما سيكون؛ خلال عطر الرجاء يعطي عذوبة لحواس النفس**.

إن الإيمان الثابت **بالرجاء في النعمة يصير بهجة لنا**، نحن الذين ننتظر في صبر. وهكذا فإن الطاقة الفاغية" تحمل وعدًا بالخمر. إنها ليست بعد خمرًا، لكنها تنبت نبته الرجاء. إنها تنتظر نعمة لم تأتِ بعد.

إنَّ ذكر عين جدي أيضًا تشير إلى بقعة خضراء فيها يرمي الكرم جذورًا وينتج ثمارًا شهية صحية.

الذين لهم خبرة جغرافية يقولون إن أرض جدي مناسبة جدًا لتعهد العنب. إن الإنسان الذي تتفق إرادته مع ناموس الله يلهج فيه نهارًا وليلاً (مز ١: ٢) يصير كالشجرة المغروسة على مجاري المياه (مز ١: ٣) وتعطي أثمارها في أوقاتها (مت ٢١: ٤١).

هكذا أيضًا فإن كرم العريس مغروس في جدي، مكان خصب، بمعنى أنه في أعماق عقل مُروى بالتعاليم المقدسة، ويحمل هذه العناقيد المثمرة النابتة، حيث نستطيع أن نرى الكرام والمزارع. طوبى لهذا البستان الذي تُشبه أثماره العريس في جمالها! إذ أنه النور الحقيقي، الحياة الحقيقية، الاستقامة الحقيقية وكل ما تبقى كما يقول الحكيم (أم ١: ٣).

حينما يكتسب الإنسان مثل هذه الصفات خلال أعماله الصالحة، يتطلع إلى الكرمة بداخل ضميره، ويرى العريس هناك ويعكس نور الحق خلال حياته النقية.

لذلك نقول الكرمة المزهرة، إن عناقيدي تنبت أزهارًا.

إنه العنقود الحقيقي الذي أعلن ذاته معلقًا على خشبة الصليب،

ذاك الذي يعطينا دمه لنشربه، ويقدم خلاصه للمخلصين الذين يبتهجون فيه. له المجد والقوة إلى أبد الأبد . آمين.

روجع
نشيد الأناشيد ١:١٥-٢:٧

١٥. ها أنتِ جميلة يا حبيبتي (صاحبتي)،
ها أنت جميلة؛ عيناكِ حمامتان.
١٦. ها أنت جميل يا حبيبي وحلو (جميل)،
وسريرنا أخضر (مظلل).
١٧. جوائز (عوارض) بيتنا أرز،
وروافدنا سرو.
١:٢ أنا زهرة الحقل،
سوسنة الأودية.
٢. كالسوسنة بين الشوك،
كذلك حبيبتي بين البنات.
٣. كالتفاح بين شجر الوعر،
كذلك حبيبي بين البنين.
تحت ظله اشتهيت أن أجلس،
وثمرته حلوة لحلقي.
٤. **ادخلني إلى بيت الخمر،**
ووضع المحبة أمامي.
٥. **اسندونى بالروائح،**
انعشونى بالتفاح، فإني مجروحة حبًا.
٦. شماله تحت رأسي،
ويمينه تعانقني.
٧. أحلفكن يا بنات أورشليم
بقوات وقوى الحقل
ألا تُيَقِظن وتنبهن الحبيب حتى يشاء.

العظة الرابعة

إذا ما مُزِج أي عنصر غريب مع الذهب فيجعله زائفًا، يقدم الخبراء من الصيَّاغ علاجًا للموقف بتنقية الذهب في النار.

إنهم يكررون هذا مرارًا وتكرارًا وفي كل إعادة يلاحظون كيف يتحسن لون الذهب.

هذه العملية أي تنقية الذهب تجعله يصبح غير زائف في منظره.

إن سبب ذكر هذا الأمر هنا سوف يتضح لك إذا ما فكرنا في النص. في البدء كانت الطبيعة البشرية مثل الذهب اللامع وذلك لتَشابُهه بالصلاح الذي بلا دنس.

لكن لونه قد تغير وصار أسودًا عندما امتزج بالرذيلة كما سمعنا العروس تقول ذلك في بداية السفر: إن إهمالها في حراسة كرمها قد جعلها سوداء (١: ٥). الله الذي يصنع كل الأشياء بحكمته يهتم بما حل بالعروس من قباحٍ منظر غير لائق.

إنه ينسب لها جمالاً جديدًا لم يكن قبلاً لها، لكنه يقودها ثانيًا لحالة النعمة الأولى بإزالة السواد الذي حل بها خلال الخطية مغيرًا لونها إلى آخر بلا دنس.

بعد صب الذهب الأول يلاحظ الخبراء من الصيّاغ كم يزداد الذهب جمالاً بعد عملية تنقيته.

وعند سبك الذهب للمرة الثانية، إذ لم يتنقَّ بما فيه الكفاية بالمقارنة بالصبة الأولى فإنه يلاحظ أن الذهب يزداد جمالاً، غالبًا ما تتكرر العملية ذاتها مع ملاحظة التحسن الذي يحدث في كل مرَّة بدقة.

لذلك فإن المرافق للذهب المشوب أي العروس يُضفي على الروح بريقًا إذ ينقيه خلال عمليات تنقية خاصة.

في العظة السابقة (الثالثة) يشهد بأن جمال عروسه يشبه الفرس.

لكنه الآن يقول إنها صارت تشبه العذراء في جمالها: "**ها أنت جميلة يا حبيبتي، ها أنت جميلة، عيناك حمامتان**" [ع١٥]. إن النشيد يعلمنا خلال هذه الكلمات كيف أن العروس قد استعادت جمالها باقترابها من الجمال الحقيقي الذي كانت قد انفصلت عنه قبلاً.

لأن العريس يقول: "ها أنت جميلة يا حبيبتي"، أي أنه يود أن يقول لها: إنك قبلاً لم تكوني جميلة. إذ قد ضللت عن الجمال الأول بِاتحادك بالرذيلة مما جعلك قبيحة المنظر.

هذا يعني أن الإرادة الحرة إذا ما أخذت اتجاهًا ما فإنها إنما تميل إليه.

فإذا ما استحوذ الغضب على الإرادة الحرة يصير الإنسان سريع الغضب، وإذا ما غُلب بالشهوة تأسره اللذة.

وإذا ما مال الإنسان إلى الجبن، الخوف، أو أي وجع آخر فإن الطبيعة البشرية تأخذ شكل كل منها على الجانب الآخر.

فإذا ما استبدلت الطبيعة البشرية الغضب وفقدان العزاء والجسارة وعدم المخافة وما شابه ذلك واكتسبت بدلاً منها الصبر والطهارة والسلام والحرية ففي

هذه الحالة تبرز طبيعة كل من هذه الفضائل في صميم الروح وتصير ساكنة ومتحررة من الشهوات.

لذلك فإن الفضيلة والرذيلة إنما هما مضادتان ولا يمكن أن يجتمعا معًا في الإنسان ذاته في آن واحد.

لأن الذي قد رفض ضبط النفس يتحول إلى الفسق في سلوكه.

إن من يعتبر حياة النجاسة كشيء بغيض فإن لهذا السبب ذاته قد يتحول عن الشر، ويحيا فيما بعد حياة صالحة وعفيفة.

هكذا الحال مع كل الفضائل الأخرى.

إن الإنسان المتواضع قد قطع نفسه عن الكبرياء، ومن يمدح نفسه باطلاً قد نبذ نفسه عن التواضع.

وهل نحتاج أن نشير إلى أن غياب أحد الضالين يدل ضمنًا على أن الآخر قد ثَبتّ وجوده؟ بما أننا خلال إرادتنا الحرة نستطيع أن نصير كما يحلو لنا.

وهكذا يحق للكلمة أن يقول للعروس التي قد صارت جميلة: "ها قد نبذتِ الشركة مع الشر ودنوتِ مني.

وخلال دنوكِ من الجمال الأصلي قد صرتِ أنت ذاتك جميلة.

قد صرتِ جميلة المنظر كشبه الجمال الأول كما في مرآة." حقًا أن الطبيعة البشرية كمثل مرآه تنطبع عليها صور مختلفة بحسب الشكل الذي تتخذه النفس خلال إرادتها الحرة.

إذا ما عُرض الذهب أمام المرآة فإن المرآة يظهر عليها شكل الذهب وتعكس لمعان مادة الذهب.

وإذا ما عرض أي شيء كريه فسوف تظهر صورته الكريهة على المرآة كمثال ضفدع، سلحفاة، أم أربعة وأربعين، أو أي شيء كريه للنظر.

إذن فإن المرآة تعكس ما يعرض أمامهما.

وهكذا الروح أيضًا، عندما تتنقى من الرذيلة خلال الكلمة حينئذ يستقبل داخليًا مدار الشمس ويسطع بأشعتها المنعكسة.

لذلك فإن الكلمة يقول للعروس: قد صرِت جميلة باقترابك من نوري، بدنوِّك مني، إذ قد اِتحدْتِ بجمالي، "ها أنت جميلة يا حبيبتي" (١: ١٥).

ثم يصمت العريس، وإذ يرى جمال عروسه قد ازداد، يكرر كلماته: "ها أنت جميلة". وقد أسماها "يا حبيبتي"، والآن وقد لاحظ جمال عينيها يقول: "عيناكِ حمامتان" عندما قورنت العروس بالفرس حينئذ مُدحِ خدَّاها وعنقها (١: ١٠).

أما الآن وقد ظهر جمالها الذاتي امتدح جمال عينيها.

يقول العريس إن عينيها حمامتان وهذا يحمل المعنى الآتي: عندما تكون العينان صافيتين حينئذ تعكس صورة من ينظر إليها بوضوح.

يقول خبراء الظواهر الطبيعية إن العين ترى من خلال استقبال انعكاس الصور المنبثقة من الأشياء المرئية.

لذلك فإن جمال العروس يُمتدَح لأن صورة الحمامة منطبعة في عينيها.

عندما يتطلع إنسان ما إلى أي شيءٍ، يستقبل في ذاته صورة هذا الشيء.

إن الإنسان الذي قد تخلى عن الحياة الملموسة، أي اللحم والدم يتطلع إلى الحياة الروحية. كما يقول، فيسلك في الروح، وبالروح يميت أعمال الجسد. هذا الإنسان قد صار كليًا في الروح، فلم يعد الإنسان إلى الطبيعة الجسدانية. لهذا توصف النفس التي تخلصت من أهواء الجسد أن صورة الحمامة تظهر في عينيها، وهذا يعني أن خاتم الحياة الروحية يشع نورًا من داخلها. تصبح العين النقية. النفس التي حصلت على صورة الحمامة قادرة على رؤية الجاذبية الروحية للعريس. تنظر العروس إلى عريسها، عندما تكون صورة الحمامة في عينيها، فترى جماله الروحي. كذلك لا يستطيع أحد أن يقول: يسوع رب إلا بالروح القدس. وتقول العروس: "**ها أنتَ جميل يا حبيبي**" [ع١٦]، وبما أنه لا يظهر لي شيء جميل الآن لأني قد اِبتعدت عن كل شيء كنت أظن سابقًا أنه صالح، أما الآن فإن حكمي على الخير والجمال صار حكمًا بعيدًا عن الخطأ. وإنني لا أرى الجمال وأي شيء آخر إلا فيك، فلا التصفيق أو العظمة أو القوّة في هذه الدنيا تعادل ما أراه فيك من جمال. لأن الذين يكتفون بالحواس، قد يروا الدنيويات جميلة ولكنها ليست كذلك في حقيقتها. كيف أي شيء جميل إذا كانت تنقصه المادة؟

تظهر الأشياء في هذه الدنيا كأن لها قيمة في عقول من يفكرون في ذلك فقط. ولكنك جميلة حقًا بل أنت أصل الجمال ومادته، فأنت ثابتة على الدوام، فتزهرين باستمرار وليس في موسم واحد ثم تسقط أزهارك. ففي خلال حياتك الأبدية يظل جمالك ثابتًا. اسمك هو "الحب لجميع البشر". أنت هو نبع يهوذا، ويصبح الشعب إخوة لمن يأتون إليك من الأمم. لذلك فأنت مستحق أن تُعرف باسم المحبوب من كل الذين يرغبون أن يكونوا لك إخوة لله الذي حل في الجسد.

تصف العروس العريس بأن ظله على الفراش: "**سريرنا أخضر**" [ع١٦]. أي أن الطبيعة البشرية تدرك أو سوف تدرك أنك تظللها برعايتك. "لقد أتيت" قالت العروس، "أنت الجميل الذي يظلل فراشنا". لأنه إن لم "يخيم ظلك علينا على هيئة خادم" (فيقول ٢: ٧)، عندما تكشف لنا عن أشعة بهائك الإلهي، فمن يستطيع أن يتطلع إلى عظمتك البهية؟ "وقال لا تقدر أن ترى وجهي. لأن الإنسان لا يراني ويعيش" (خر ٣٣: ٢٠). لقد أتيت إلينا الآن كشخص رائع ويمكننا استقباله. أتيت إلينا متجسد كإنسان لتخفي عن عيوننا أشعة ألوهيتك. كيف اِمتزجت الطبيعة التي تدوم إلى الأبد بالطبيعة التي تموت؟ إن ظل جسده عمل كوسيط يمنحنا النور نحن الذين كنا نعيش في الظلمة: تستعمل العروس كلمة فراش (سرير) لكي تُفسر بحاسة تصويرية اِتحاد الطبيعة البشرية مع الله. بنفس الطريقة يضمنا الرسول بولس العظيم كأبكار مع المسيح ويعمل هو كمرافق للعروس. ويقول إن اندماج شخصين في وحدة كجسد واحد هو سر عظيم كاِتحاد المسيح مع الكنيسة. حيث يقول: "يصير الإثنان جسدًا واحدًا" ثم يضيف: "هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول هذا من نحو المسيح والكنيسة " (أف ٥: ٣١-٣٢).

تسمى العروس البكر هذا الاِتحاد مع الله "فراش" لأنه سرّ. ولم يكن من الممكن أن يحدث هذا، لولا أن الله ظهر لنا مختفيًا في جسد إنسان. وهو لم يكن فقط العريس، ولكنه أيضًا البيت ومادة البناء. إنه يضع يقفا لهذا البيت ويزيِّن هذا

العمل بمواد ثابتة لا تفسد مثل خشب الأرز والسرو الذي يقاوم عمليات التحلل. ولا يضعف بمرور الزمن ولا يهاجمه الحشرات ولا ينال منه الفساد. وتُستخدم لأعمدة الأرز الطويلة للسقف بينما يستخدم السرو في أعمال التغليف الذي يُزيِّن الجزء الداخلي من البيت. ويقول النشيد: "**جوائز بيتنا أرز وروافدنا سرو**" [ع١٧]. إن المعاني الخفية وراء هذه الأخشاب تتضح لمن يتبعون ما جاء في النص. يدعو الله حدوث التجارب المختلفة في الإنجيل بكلمة "مطر" ويقول عن الرجل بنى بيته على صخر: "نزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعن على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسسًا على الصخر" (مت ٧: ٥).

يجب أن تكون لدينا دعامة من أعمدة الأرز حتى نقاوم الشر الذي ينزل كالمطر. فهي تمثل الفضائل التي لا تسمح بأن تشملنا الإغراءات، فهي قوية وثابتة ولا تلين للإغراءات الشيطانية. ويمكننا الاستفادة من الدرس هنا إذا ما قارناه بما يقابله في سفر الجامعة. حيث يقول المتكلم في الجامعة: "بالكسل الكثير يهبط السقف ويتدلى اليدين يكف البيت" (جا ١٠: ١٨).

فإذا كانت الأخشاب التي تدعم السقف رفيعة وضعيفة، وكان صاحب المنزل مهمِلاً ولا يرعى المبنى، فإن السقف سوف لا يمنع المطر من التسرب إلى داخل المنزل. ويؤدي إلى اِنحناء أخشاب السقف التي لا تتحمل وزن مياه المطر الساقطة عليه، ثم ينكسر أعمدة الخشب الضعيفة التي لا تتحمل الوزن الإضافي وتنفذ المياه المتجمعة على السقف المنحني إلى داخل المنزل. وهكذا فإن المطر، يُخرج الرجل من منزله عندما يزداد تدفقه، كما جاء في سفر الأمثال (أم ٢٧: ١٥). لذلك تشجعنا الرموز الموجودة في المثل (جا ١٠: ١٨) أن نكون حازمين ضد هجمات الانفعالات حتى لا ننحني تحت ثقلها، فتدخل المياه إلى قلوبنا وتفسد كل الكنوز المخزونة هناك.

يرمز أرز لبنان الذي زرعه الله، حيث تبني فيه العصافير أعشاشها ويكون مأوى للطيور الكبيرة، إلى الفضائل. إن الأرز دعامة لمنزل العرس ولحجرة العروس حيث تعيش فيها النفوس التي تشبه العصافير، التي تنجوا من شراك الصيادين وتبني أعشاشها، وتجد فيها الطيور الكبيرة ملجأ لها، كما يقول الكتاب (مز ١٢٣: ٧). يقول المهتمين بدراسة عادات الطيور أن طائر أبو قردان عنده كراهية للاجتماع الجنسي ولا يمارسه إلا عند الحاجة ويكون مصحوبًا بعلامات حزن وصرخات. ويظهر لى أن النص يشير إلى النقاوة خلال هذا المثال. تنظر العروس في نشيد الأناشيد إلى أعمدة الأرز في حجرة العرس الطاهرة وترى خشب السدو المزيَّن الذي يزيد المنظر جمالاً وأناقة. ويذكر النص أن تغليف السقف كان من خشب السدو. وتعني كلمة التغليف، تثبيت قطع الخشب بإحكام في شكل هندسي لتجميل سقف الحجرة. ماذا نتعلمه من هذا؟ لخشب السدو رائحة جميلة وله مناعة ضد التحليل وهو مفيد في إنتاج الكثير من أعمال الخشب الفنية لأنه خفيف وسهل التشكيل ويصلح لأعمال "الأويمة". نتعلم من هذا الدرس أنه يجب أن نغرس الفضيلة في نفوسنا من الداخل على أن لا نهمل أن يكون منظرنا الخارجي حسنًا فيلزم أن نعتني بما هو شريف أمام الله والناس (٢ كو ٥: ١١).

حتى يروا الناس أعمالكم الصالحة ويمجدوا الله. وهكذا نشجع الناس ونكسب سمعة طيبة من اللّين في الخارج (١ تي ٢: ٧). لكي ننير بالأعمال الطيبة أمام الناس ونسلك سلوكًا طيبًا أمام من في الخارج، هذا هو "التغليف" الذي ينتج من رائحة المسيح الذكية والذي يرمز إليه خشب السرو. الذي شُكل بمهارة بواسطة حياة صادقة ومضبوطة. عرف المهندس الماهر بولس كيف يعبر عن الأمور في انسجام بديع "وليكن كل شيء بلياقة وحسب ترتيب" (١ كو ١٤: ٤٠).

ينمو الجمال بداخلنا إذا طبقنا ما شرحناه الآن بدقة، وسينتج من طول وعرض طبيعتنا شجرة مزهرة نقية ذات عبير ذكي. وتسمى زهور هذه الشجرة النرجس الذي يشير جماله إلى ضياء النقاء والطهر. وتشرح العروس هذا عندما تقول لوصيفاتها: "بعد مجيء العريس إلى فراشنا" - خلال تجسده - الذي شيَّدني كبيت لنفسه وعمل لي سقفًا من أرز الفضائل وزيّن السقف بالرائحة الذكية للسرو. لقد أصبحت زهرة وسط الطبيعة تختلف لونًا ورائحة عن بقية الزهور. لأنني نشأت نرجسة في الوديان. وكما جاء في النص "أنا **نرجس شارون سوسنة الأودية**" [ع١]

رأينا فيما سبق أن النفس زُرعت في عرض الطبيعة البشرية. (عندما نسمع كلمة "حقل" نفهم أنه عرض الطبيعة البشرية لأن لها القدرة على استيعاب مجموعة كبيرة جدًا من الأفكار والكلمات والتعاليم). لذلك فالنفس التي يزرعها راعي طبيعتنا تزدهر كرائحة طيبة، وتشرق كزهرة نقية في حقل طبيعتنا. وهذا الحقل حتى لو سميناه وادي بالمقارنة بالحياة في السماء، هو في الحقيقة حقل، والنفس التي تنمو فيه لا يمنعها أحد من أيد نكون زهرة. ويرتفع النبات الأخضر إلى أعلى في هذا الوادي الواسع إلى مثل اِرتفاع نبات النرجس. وتعلو أغصان النبات النرجس الخضراء إلى مثل ارتفاع نبات الغاب ثم تبرز الزهرة على القمة. فتوجد مسافة ليست قصيرة بين الزهور والأرض. والسبب في ذلك حسب رأيي، أن جمالها يظل نقيًا طالما هي مرتفعة إلى أعلى وليست ملوثة بملامسة الأرض.

لذلك تنظر عين العريس العادلة على العروس التي أصبحت نرجسة أو ترغب في أن تكون نرجسة. (كلا التفسيرين صحيح: إما أن العروس تفتخر بأنها أصبحت فعلاً كما ترغب، أو تسأل الزارع أن تكون زهرة تنمو من خلال حكمته في وديان وجود البشر إلى جمال النرجس). وترى عين العريس الصادقة العروس في حالتيّ وصولها أو عدم وصولها إلى ما ترغبه. ويوافق على أن يجعلها نرجسة لا تختنق بأشواك الحياة التي يسميها "البنات". إني أعتقد أن هذا ينطبق على قوى الشر المضادة للحياة البشرية، ويُعرف أبوهم بأنه مخترع الشر.

"**كالسوسنة بين الشوك كذلك حبيبتي بين البنات**" [ع٢]. إننا نرى تقدمًا عظيمًا في ارتفاع النفس، كانت الخطوة الأولى في الارتفاع هي مقارنة العروس بالخيل التي حطمت قوى المصريين. وكانت الخطوة الثانية عندما أصبحت العروس رفيقًا للعريس ومقارنة عيونها بالحمامة. وتتكون الخطوة الثالثة في تسمية العروس ليس كرفيق ولكن "بأخت" الرب. "كل من يعمل مشيئة أبي الذي في السموات، هو أخي وأختي وأمي" (مت ١٢: ٥٠). فعندما تصبح النفس

زهرة لا تجرحها التجارب الشائكة خلال تطورها إلى نرجسة، وتنسى الناس وبيت أبيها وتنظر إلى أبيها الحقيقي. لذلك تسمى أخت الابن لأنها حصلت على هذه العلاقة بواسطة روح التبني وابتعدت عن ملازمة بنات الآب الكاذب. وهكذا تصبح أكثر سموًا وتنظر إلى السر من خلال عيون الحمامة. وأعني بذلك أنها تعمل ذلك بواسطة روح النبوة. إنها ترى الآتي: "**كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبي بين البنين**" [ع٣]. فإذا رأت العروس؟ يطلق الكتاب المقدس كلمة "غابة" على الناحية المادية من الحياة البشرية الممتلئة بكثير من الانفعالات. وهنا تعيش الحيوانات المخربة في داخل شقوقها. أنهم عاجزون في وضح النهار وتكمن قوتهم في الظلمة. وتخرج الحيوانات من مخابئها بعد غروب الشمس ومجيء الليل كما ى النبي (مز ١٠٤: ٢٠). لذلك فالحيوان الوحيد الذي يتغذى في الغابة الكثيفة قد دمر جمال الطبيعة البشرية. وكما يقول النبي: "يفسدها الخنزير من الوعر ويرعاها وحش البرية" (مز ٧٩: ١٣). من أجل هذا نمت شجرة التفاح وسط الأشجار الكثيفة، ولأنها مصنوعة من الخشب فإن لها مادة تشبه الطبيعة البشرية وجربت بكل وسيلة حين كانت بلا خطية. (عب ٤: ١٥). وتختلف شجرة التفاح عن غيرها من الأشجار لأنها تحمل فاكهة تعطي عذوبة للنفس وهذا يجعلها تختلف عن غيرها من الأشجار كاِختلاف النرجس عن الأشواك.

يبهج النرجس حاستيّ النظر والشم، وعلى جانب الآخر تُفرِّح شجرة التفاح ثلاث حواس وهي: جميلة يُنظر إليها، ولها رائحة ذكية، وفاكهتها ذات طعم حلو. ترى العروس فرقًا بينها وبين سيدها لأنه بكونه نور، فهو مسرَّة لعيوننا، ورائحة ذكية لأنوفنا، وحياة لمن يأكله. يقول الكتاب: "هذا هو الخبز الذي نزل من السماء. ليس كما أكل آباؤكم المنّ وماتوا. من يأكل هذا الخبز فإنه يحيا إلى الأبد" (يو ٦: ٥٨)، تصير الطبيعة البشرية كاملة وتتحول إلى زهرة من خلال الفضيلة، إنها لا تزوِّد الراعي بالغذاء لكنها توفر زينة لنفسها. فهو ليس بحاجة إلى صلاحنا، ولكننا نحتاج إلى صلاحه. كما يقول النبي: "قلت للرب أنت سيدي. خيري لا شيء غيْرك" (مز ١٥: ٢).

لذلك تنظر النفس النقية إلى عريسها وهو على هيئة شجرة التفاح بين أشجار الغابة. وهي تبحث لكي تُطعم على نفسها؟ جميع أغصان الأشجار البرية بالغابة، وتُعدهم لكي يزهر والإنتاج ثمارًا مماثلة. لقد فهمنا أن البنات (الأشواك) هم أطفال الأب الكاذب، وأنهم نموا مع الزهرة واِرتقوا إلى جمال النرجس. هكذا عندما نسمع أننا نقارن الأشخاص بأشجار الغابة، فإننا نفهم أنهم لا يرمزون إلى أصدقاء العريس بل إلى أعدائه. جميعكم أبناء ظلمة وأبناء غضب (١تس ٥:٥). ولكن الله يغيِّرهم إلى أبناء النور والنهار من خلال الشركة مع الثمرة، لذلك تقول النفس التي تدربت حواسها: "**وثمرته حلوة لحلقي**" [ع٣]. إن الثمر ما هو إلا تعاليم الله، كما يقول النبي: "كلماته حلوة لحلقي أكثر من الشهد لفمي" (مز ١١٨: ١٠٣). "**كالتفاح بين شجر الوعر**..." [ع٣]. تزداد حواس النفس حلاوة حسب كلمة العريس عندما تظللنا شجرة التفاح وتحمينا من لهيب الإغراء، وتمنع تأثير أشعة الشمس الحارقة على رءوسنا العارية. ولكن لا يمكن للنفس أن تنتعش في ظل شجرة الحياة إلاّ إذا

كان عندها اشتياق ورغبة كبيرة، لذلك توجد الرغبة بداخلك لكي تخلق شعور جارف نحو شجرة التفاح، التي يتعاظم الاِستمتاع بها لمن يقتربون منها. فتنتعش العين برؤية جمال التفاح، وتستنشق الأنف رائحتها الذكية، ويتغذى منها الجسم، ويتمتع الفم بمذاقها الحلو، وتبتعد عنا حرارة الجو ويصبح ظلها مثل مقعد مريح لتجلس عليه النفس، بعد أن ترفض كرسي المرض الخطير (الخطية).

ثم تقول العروس **"ادخلي إلى بيت الخمر وعَلَمُه فوقي محبة. اِسند بأقراص الزبيب. انعشوني بالتفاح فإني مريضة حبا"** [ع٤].

آه كيف تشبَّه النفس بالحصان الذي يجري على الطريق المقدس. كيف تقفز وتجري في قفزات متجهة إلى ما يقع أمامها ولا ترجع إلى الخلف. وبالرغم من ذلك فهي لا زالت عطشانة. لقد أصبح عطشها شديدًا لدرجة أنها لم ترتوِ بكأس الحكمة. فلم يكف الكأس كله ليطفئ ظمأها. إنها تبحث لكي تذهب إلى بيت الخمر نفسه لتضع فمها على البرامي التي تخرج منها فقاقيع الخمر والكرمة التي غذَّت العناقيد، وأخيرًا لترى راعي الكرمة الحقيقية الذي اِهتم بالعناقيد وجعلها حلوة. ولا يلزم هنا أن نشرح بالتفصيل جميع هذه العناصر فالمعنى الرمزي لكل منها واضح. ترغب العروس أن تعرف السر الخاص بملابس العريس التي صار لونها أحمر نتيجة للمشي في معصرة العنب. ويقول النبي عن هذا السر: "ما بال لباسك مُحمَرّ وثيابك كدائس المعصرة" (إش ٦٣: ٢)؟

من أجل هذا وأسرار أخرى شبيهة به ترغب العروس أن تكون داخل البيت الذي يحوي سر الخمر. وبعدما دخلته، ابتدأت في القفز إلى أعلى لكي تصل إلى ما هو أعظم لأنها. كانت تبحث لكي تقع في الحب. وتبعا للقديس يوحنا، الله محبة (١ يو ٤: ٨). إن خضوع النفس لله هو الخلاص، كما يشير داود (مز ٦١: ٢). **"أدخلني إلى بيت الخمر وعَلَمُه فوقي محبة"** [ع٤]. تقول العروس ضع حبه فوقي إني خاضعة لحبه فكلا الجملتين لهما نفس المعنى.

نتعلم هنا من العروس نظرية معرفة وهي حبنا الذي نقدمه لله ومعاملتنا للناس. يجب أن نعمل كل شيء بنظام خصوصًا ما يتعلق بالحب. فلو اِتبع قايين الترتيب الصحيح، أي لو أبقى ما احتاجه لنفسه ثم وهب الباقي لله (تك ٤: ٧). كان يجب على قايين أن يقدم المولود الأول من قطيعه، ولكنه أبقى لنفسه الأحسن وقدم الباقي لله.

إنه من المهم أن نعرف ما هو ترتيب الحب، والوصايا هي التي تقودنا، لذلك كيف يحب الشخص الله ثم الجار والزوجة والعدو لئلا يضيع الترتيب في ممارسة الحب ويتغير اتجاهه إلى عكس ما أريد له. يلزم أن تحب الله من كل القلب والروح والقوة والشعور والجار كنفسك (تث ٦: ٥). وإذا كان لنا نفوسًا نقية فيجب أن نُحب زوجاتنا كما أحب المسيح الكنيسة. وعلى جانب الآخر، إذا كنا خاضعين للانفعال، فيجب أن نحب زوجاتنا كما نحب أجسادنا كما يحثنا الرسول بولس المرجع في هذه الأمور (أف ٥: ٢٥). يجب أن لا نجازي أعداءنا شرًا بشر ولكن نجازي الظلم بالعمل الطيب.

والآن نلاحظ أن الكثير من الناس تختلط عليهم الأمور ويمارسون الحب بلا

ترتيب، فحبهم غير متزن وينقصه الاتجاه الصحيح. فيحبون المال والشهرة والنساء - بعض الأحيان بانفعال - بكل أرواحهم وقوتهم. ويظهرون أنهم قد يضحون بحياتهم مسرورين من أجلها. ولكنهم يحبون الله فقط على سبيل التظاهر. وقليلاً ما يظهرون حبًا لجارهم الذي كان يجب أن يظهروه للأعداء، أو لمن يكرهونهم، واِتجاههم هو أن يردوا شرًا أعظم مما وجه إليهم. لذلك تقول العروس: "أعطي أمرا للحب بداخلي، حتى أقدم لله ما يحق له، وحتى لا أفقد المقياس الصحيح لكل شيء آخر". ويمكن أن نفهم النص أيضًا كالآتي: بالرغم من أني قد قُدم لي الحب أولاً، فإني جابهت عدوى نتيجة لعصياني، ولكني الآن تصالحت مع العريس وارتبطت معه بالحب. اثبتوا في داخلية هذه النعمة المرتبة، والتى لا تتغير يا رفاق العريس، خلال رعايتكم واِهتمامكم احفظوا بحزم ميولي نحو الأفضل.

وبعدما قالت العروس هذه الكلمات اِنتقلت إلى أمور أكثر سموًا، وهي أنها تبحث في أن تدعمها الروائح الذكية حتى تحفظ بما عندها من صفات جيدة. "اسندوني بالروائح الذكية" [ع٥]. يا لهذا السند الفائق! كيف تكون الروائح الطيبة أعمدة لدعم المنزل؟ كيف يُرفع السقف المكوّن من مواد ذات أوزان ثقيلة على الروائح الذكية؟

غرسَ الله الفضائل فينا بأنواعها المختلفة، ولكن ليس واضحا أن كلا منها سُمي حسب عملها. لأن عمل الفضيلة ليس فقط معرفة الخير والمساهمة في فعله، ولكن أيضًا التمسك به وعدم الحياد عنه. لذلك فالشخص الذي يرغب أن تدعمه الروائح الذكية يهدف إلى مثابرة في الفضيلة. الروائح الذكية هي الفضيلة لأنها منفصلة عن كل روائح الخطية الكريهة.

إن الجزء التالي في النص أيضًا لهو فائق، وهو بالتحديد الدعم الذي ترغبه العروس لبيتها. إنها لا تطلب شجيرات تحمل أشواكًا أو قشًا أو دريسًا، أو كما يقول الرسول ليس خشبًا أو دريسًا أو قشًا (١ كو٣: ١٢)، وهي المواد التي تبنى بها المنازل. إنها طلبت بدلاً من ذلك تفاحًا لكي يكون دعامة قوية لسقف هذا البيت. وهي تقول: "**أنعشوني بالتفاح**" [ع٥]، وذلك لكي تكون هذه الفاكهة الكل في الكل لها (أنظر ١ كو٣: ١٢). الجمال، الرائحة الذكية، والمذاق السكري، الشبع، والتمتع بظلها، كرسي للراحة، عامود صلب وسقف للوقايه.

إن الجمال يُفلاحِ الناظرين والرائحة الذكية متعة لحاسة الشم والتغذية لازمة للجسم وتشبع حاسة التذوق، والظل يُنعش بعد حرارة الشمس، والكرسي يُريح من التعب، وسقف المنزل حماية للسكان، والعامود يعطي دعامة وثباتًا، وشجرة التفاح الجميلة تزيِّن السقف. إنه لمنظر بديع حقًا عندما تُعرض ثمار التفاح بعد نضجها فألوانها الحمراء والبيضاء تعطي العين منظرًا جميلاً متعدد الألوان تتدرج فيه من الأحمر الداكن إلى الفاِتح ثم الوردي والأبيض. ويصبح هذا المنظر رائعًا لو رفعنا هذا العرض إلى أعلى. إنه ليس مستحيلاً أن ننجز ذلك في عمل الخير الروحي، لأن مثل هذا النوع من الثمار ليس ثقيل الوزن فلا ينجذب ناحية الأرض، لأن مثل هذا العمل يميل طبيعيًا إلى أعلى.

فالفضيلة تنمو إلى أعلى وتنظر لما هو فوق. لذلك، ترغب العروس أن يُزيّن

سقف منزلها بجمال ثمرات التفاح. ماذا يتضح لنا من النص هنا؟ طبعًا ليس فقط المنظر الجميل للتفاح على السقف. ما هو الطريق إلى الفضيلة الذي يوجد في هذه الكلمات إن لم نقتبسه من التفسير المناسب لها؟

ما هو اقتراحي إذن؟ إن الواحد الذي ظهر في غابة طبيعتنا البشرية بسبب حبه للبشر، أصبح تفاحة باشتراكه معنا في الجسد (اللحم والدم). وكل من هذه (اللحم والدم) يقابله أحد ألوان التفاح. فاللون الأبيض يمثل لون اللحم أما اللون الأحمر فيمثل الدم. لذلك، عندما تفرح النفس في الأمور السمائية فإنها ترغب أن ترى تفاحًا على السقف، وهكذا ترى ما هو فوق وتركز على التفاح، فيقودها هذا إلى الطريق السمائي للحياة حسب تعاليم الإنجيل. الذي جاء من الأعالي والذي هو فوق الجميع. أرانا الطريق من خلال ظهوره في الجسد، فقد كان لنا مثالاً عاليًا لكل فضيلة وصلاح. وكما قال السيد المسيح: "تعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩). وقد تكلم الرسول في نفس الموضوع عندما تحدث عن الاِتضاع، ودعوني أقرأ النص لأوضح الحقيقة العامة: يقول بولس ينظرون إلى أعلى "فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح أيضًا. الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب فله أن يكون معاملاً لله. لكنه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد" (في ٢: ٥). لقد شاركنا حياتنا بالجسد والدم وبإرادته أخذ هذا. تقول العروس، "اِنعشوني بالتفاح"، حتى أبقى باستمرار ناظرة إلى أعلى، فأرى على الدوام صور الفضيلة واضحة في عريسي. ففيه أرى الوداعة، الخلوّ من الغضب، التصالح مع الأعداء، حب الذين يسببون له الضيقات مقابلة الشر بالخير كما أرى القوة والنقاء والصبر وليس به أي أثر للمجد الباطل أو الخداع.

وبعد ما قالت ذلك، مدحت العروس رامي الرمح على تصويبه الدقيق، لأنه رماها بسهمه. فقالت العروس: "**إني مجروحة حبًا**" [ع٥]. تعني هذه الكلمات أن سهام العريس قد نفدت إلى داخل قلبها. إن مُصوّب هذه السهام هو الحب (١ يو ٤: ٨)، الذي يرسل "سهمه المختار" (إش ٤٩: ٢)، الابن الوحيد، إلى هؤلاء الذين يخلصون، ثم يغمس سن السهم الثلاثي في روح الحياة. وسن السهم هو الإيمان، وبواسطته يقدم الله مُصوِّب السهم، وكذلك السهم معًا إلى القلب، كما يقول السيد المسيح: "إن أحبني أحد يحفظ كلامي، ويحبه أبي وإليه نأتي، وعنده نصنع منزلاً" (يو ١٤: ٢٣).

لذلك فالنفس التي ارتفعت إلى درجات إلهية عليا ترى بداخلها **سهم الحب العذب الذي جرحها**، وتفتخر بهذا الجرح قائلة: "إني مجروحة بالحب". أيها الجرح الجميل، والسهم العذب، الذي أدخل الحياة إلى قلبي! فلقد فتح نفاذ السهم بابًا ومدخلاً للحب، وهي التحول الخيالي من رمي السهام إلى فرح العرس.

كلنا يعرف كيف يقبض رامي السهام على القوس وتعمل يداه المضبوطة، فتمسك اليد اليسرى بالقوس، بينما تجذب اليد اليمنى الوتر المرن، وهكذا يتحرك السهم إلى الخلف بطرفه المشقوق. ثم توجِّه اليد اليسرى السهم إلى الهدف. ذكرنا سابقًا أن العروس كانت الهدف، والآن ترى نفسها كأنها السهم في يديّ صاحب القوس. فيمسك بيده اليمنى بطريقةٍ ما، وبطريقة أخرى بيده اليسرى...

الله هو العريس ومصوِّب السهم، وهو يعامل النفس النقية كالعروس، يصوِّبه سهمه نحو هدف طيب. لذلك فهو يسمح لعروسه أن تشارك أبديته التي بلا فساد، وينعم عليها بسنين وحياة طويلة بيده اليمنى. ويعطيها بيده اليسرى هبة حياته الأبدية، وعظمة الله التي لا يشاركه فيها من يبحثون عن العظمة في العالم. من أجل ذلك تقول العروس: **"شماله تحت رأسي"** [ع٦]. لأن هذه هي الطريقة التي يُصوَّب بها السهم إلى هدفه. **"ويمينه تعانقني"**. وكأن العروس تقول إن يمين الله تستقبلني وتسحبني إلى الخلف، لكي تريح رحلتي إلى أعلى حيث يوجهني دون أن أنفصل عن يد حامل القوس. وفي نفس الوقت سوف أحمل بعيدًا بعمله في التصويب وإني أشعر براحة بين يدي حامل القوس: تقول الأمثال عن صفات هذه الأيادي: "في يمينها طول أيام، وفي يسارها الغنى والمجد" (أم ٣: ١٦).

تخاطب العروس بنات أورشليم السمائية. تعبر بواسطة تشجيعهن على هيئة قسم بأن الحب قد يتضاعف ويزيد باستمرار حتى يتمم إرادة ذاك الذي يريد أن الكل يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تي ٢: ٤). ويقول النص: **"أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألاّ تُيْقِظن ولا تُنبِّهن الحبيب حتى يشاء"** [ع٧]. فالقسم هو ما ينطق مع ضمان صدقه. ويعمل بطريقتين: فإمَّا إنه يؤكد الحقيقة لمن يسمهونه، أو يُلزم الشخص الذي أقسَم بأن لا يكذب. وكما تقول المزامير: "أقسَم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه. من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك" (مز ١٣٢: ١١). في هذه الحالة ويتأكد صدق الوعد بالقَسم.

عندما كان إبراهيم متهمًا بأن ابنه يجب أن يتزوج من عائلة نبيلة (تك ٢٤: ٢-٩)، أمر خادمه أن لا يختار امرأة كنعانية محكوم عليها بالعبودية كزوجة لاسحق حتى لا يتلوث دم أحفاده النبيل باختلاطه بدم سلالة العبيد. أراد إبراهيم أن يتحد ابنه بالزواج من امرأة تعيش في موطنه الأصلي، لذلك ألزم عبده بأن يُقسِم بأن يعمل حسب ما أوصاه لابنه بغير إهمال.

لذلك كان العبد مقيدًا بوعده لإبراهيم لكي يرتب الزواج المناسب لاسحق.

وكما قلت قبلاً أن القَسَم يعمل بطريقتين في النص الحالي تتقدم الروح نحو الأعالي كما رأينا. وفي نفس الوقت تنصح النفوس التي لم تصل بعد إلى نفس المستوى إلى طريق الكمال، وتستخدم القسَم ليس لكي تؤكد لهم التقدم الذي وصلت إليه، ولكن تقودهم من خلال القسم إلى حياة الفضيلة. وتأمرهم أن يحفظوا حبهم متيقظًا وساهرًا إلى أن يتحقق إرادته الصالحة، أي إلى أن يخلص الجميع ويدركون الحق (أنظر ١ تي ٢: ٤).

إن قَسَم إبراهيم كان على فخذه (تك ٢٤: ٢، ٩)، وحدث بواسطة "مقدرة وقوة الحقل" لذلك يقول النص: **"أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألاّ تيْقظن ولا تُنبهن الحبيب حتى يشاء"** [ع٧]. ثم معنى كلمة "قوى" و "مقدرة"، وهل يختلف معنى كل منها عن الآخر أم لها نفس المعنى. ثم يتلو ذلك أن نبحث عن معنى إثارة وإيقاظ الحب. لقد سبق تفسير العبارة "حتى يشاء".

يتضح أن السيد يعني بكلمة "حقل" العالم (مت ١٣: ٣٨).

سينتهي شكل هذا العالم لأنه بطبيعته غير ثابت. وهذا واضح في سفر الجامعة الذي يعلن أن مرئي أو متحرك باطل (جا ١: ٢). ما هي إذن قوة هذا "الحقل" العالم؟ ما هي القوة التي لا تسمح بالفكر وتمتعه بواسطة القَسَم على بنات أورشليم لينقُضْنه؟ إذا نظرنا إلى الحقيقة الظاهرة لهذه القوة، فإن الجامعة ترفض مثل هذا الفرض. (جا ١: ٢)، يُسمي "باطل" كل شيء نراه، ويعيش في الواقع المرئي. الباطل ليس له مادة، وما ليس به مادة ليست له قوة. وقد نحصل على إشارة عن معنى النص من استعمال صيغة الجمع لكلمة قوة. نجد توضيحًا للكلمات من هذا النوع في الكتابات المقدسة، فعندما تستعمل كلمة قوة في صيغة المفرد فإنها تعني قوة الله بينما حينما تُستعمل في صيغة الجمع فإنها تعني قوة الملائكة. فمثلاً "المسيح" قوة وحكمة الله (١ كو ١: ٢٤). يوضح هنا استخدام كلمة قوة بصيغة المفرد على ألوهية السيد المسيح. وعلى الجانب الآخر نجد في (مز ١٠٣: ٢١) "باركوا الله في جميع قواته"، وهنا توضح صيغة الجمع الطبيعة الروحية للملائكة. إن التعبير "المقدرة" التي تُستخدم مع كلمة قوة تركز أكثر على المعنى. ويعمل الوحي الألهى في بعض الأحيان على جعل المعنى أكثر تأكيدًا باستخدام كلمات لها نفس المعنى. خذ كمثال التعبير الآتي: "الرب صخرتي وحصني ومنقذي. إلهي صخرتي به أحتمي. تُرس وقرن خلاصي وملجأي. أدعو الرب الحميد فأتخلص من أعدائي" (مز ١٨: ٢-٣). فكل كلمة تعبر عن نفس المعنى، ولكن اسستعمال الكلمتين معًا يُعطي تأكيدًا للعبادة. لذلك فاستخدام صيغة الجمع لكلمة قُوى وكلمة مقدرة بنفس المعنى تشير إلى طبيعة الملائكة. لذلك فالقَسَم يُلزم النفوس التي لا تزال في مرحلة التلمذة لكي يؤكد لهم ما قد درسوه. إنهم سوف لا يُقسمون بالدنيا الزائلة، ولكن بالطبيعة الملائكية الدائمة باستمرار. إنهم يُشجعون لكي يكونوا متنبهين للملائكة الذين يؤكدون الحياة الثابتة والمستمرة للفضيلة.

لقد وُعدنا بحياة مشابهة لحياة الملائكة بعد القيامة من الأموات، والذي وعدنا بذلك هو صادق. لذلك يجب أن تكون الحياة في هذا العالم مرحلة للترتيب للحياة التي نترقبها. وبالرغم من أننا نعيش في الجسد خلال مرورنا في الحقل هذا العالم، يجب أن لا نعيش حسب الجسد ولا نتبع أساليب الحياة في هذا العالم، بل نفكر بعمق في الحياة الآتية أثناء وجودنا في هذه الحياة. لذلك تُثبِّت العروس النفوس التي تدربها من خلال القسم، أثناء حياتهم في "حقل" هذا العالم. وسوف يُوجِّهون نظرهم إلى "القُوى" ويقلِّدون النقاء الملائكي بواسطة اِنفصالهم عن الجسديات. وهكذا ينمو الحب ويتجدد، أي أنه يرتفع ويزدهر باستمرار إلى نمو عظيم. لتكن مشيئة الله العظيمة "كما في السماء كذلك على الأرض" (مت ٦: ١٠)، عندما نأخذ طبيعة الملائكة. هذا هو ما نفهمه من "أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيايل الحقول ألاّ تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء". وإذا وجدنا نصًا آخر يقرِّبنا من الحق الذي نبحث عنه، ليتنا نستقبله كنعمة وبركة ونشكر الله الذي يكشف لنا بواسطة الروح القدس الأسرار المخبَّأة في المسيح يسوع ربنا له المجد والعزة إلى الأبد آمين.

العظة الخامسة

يقودنا نشيد الأناشيد الآن إلى رغبة في التفكير بعمق في الحُسن العظيم. ولكن تتألم نفوسنا عندما نعرف أنه لا يمكننا الإلمام بهذا الحُسن. كيف لا يأسف أي شخص عندما يكتشف أن الارتقاء إلى هذا الحُسن صعب المنال، إذ ترتفع النفس الطاهرة النقية بواسطة الحب لكي تشارك في هذا الحُسن، ولكن يظهر أنها للآن لم تتمكن من الحصول على ما تبحث عنه، كما يقول القديس بولس (في ٣: ١١).

عندما وصفت ارتقاء العروس في العظات السابقة، ذكرت أنها نالت النعمة. لقد تعرفت على التفاحة ذات المذاق الحلو، وفرَّقت بينها وبين الغابة الغير مثمرة. لقد اشتاقت إلى ظل عريسها، واستمتعت بمذاق فاكهته الحلوة ودخلت إلى الحجرات الداخلية لفرح. ولقَّبت هذا الفرح "بالخمر" الذي يُفرِّح قلوب من يشربونه (مز ١٠٤: ١٥). وبعد ما ثبتت العروس في الحب زادت قوته بدعم الروائح الزكية من التفاح الذي كان يظللها، ثم اِستقبلت سهم الحب في قلبها وتلا ذلك أيادي مُصَوِّب السهم، وأباحت هي نفسها سهما مُصَوَّبًا إلى معرفة الحق بواسطة الأيادي القوية لمُصَوِّب السهم (مز ١٢٧: ٤).

لقد فهمت أن العروس تمت تربيتها وتعليمها بواسطة أساليب عديدة، فقد وصلت إلى أعلى قمة السعادة. غير أنه يظهر لي أن ما قد أُنجِز قبلاً كان مقدمة فقط لارتفاع العروس نحو الفضيلة. ولا تُسمَّى العروس الدرجات التي ارتفعتها من قبل إنجازًا أو معرفة واضحة للحق، ولكنها تُسمِّيها "صوت" العريس الذي تريده. أي أنها تتمكن من سماع ومعرفة صوته، ولكنها لا تتمتع بصحبته ولا تعرفه. فإذا ارتفعت العروس إلى مثل هذه المستويات - (لأن بولس ارتفع إلى السماء الثالثة ٢ كو ١٢: ٢) - ولم تحصل بعد على ما كانت تبحث عنه كاملاً، فيا ترى ما هو حالنا؟ في أي مستوى نضع أنفسنا، لأننا لم نقترب حتى من الأبواب الخارجية لمكان المعرفة المقدس.

يمكن معرفة الصعوبة التي تواجهها العروس في إدراك العريس مما تقوله "صوت حبيبي" وليست هيئته أو وجهه أو جسمه، ويشير ذلك إلى ما تبحث عنه. ولكن صوته يعطيها فقط فكرة عن المتكلم. لذلك يُعطي النص العديد من الصور عن العريس وليس صوره واحدة، لأن العروس ليس لديها صورة واضحة عنه. تفكر العروس أنها تدرك صورًا مختلفة لعريسها في الأوقات المختلفة وتقول: "**أنظر لقد جاء**" [ع٨]. لا يقف العريس دون حركة ولا يبقى بالقرب منها حتى تتمكن من رؤيته وتتعرف عليه. بدلاً من ذلك ينسحب قبل أن تصل العروس لكي تتعرف عليه: "يقفز على الجبال، مسرعًا على التلال!! فتتخيله كأنه غزال في أحد الأوقات أو كذكر صغير للغزال الأحمر في أوقات أخرى "**حبيبي هو شبيه بالظبي أو بِعُفْرِ الأيائل. هوذا واقف وراء حائطنا يتطلع من الكُوى يُوَصْوِص من الشبابيك**" [ع٩]. لذلك فهيئته تختلف من آن لآخر.

تُسبِّب لي هذه الأشياء الألم إذا فُهمت بمعناها اللفظي وتجعلني أشك أني

سوف لا أصل إلى فهم حقيقي للأمور المقدسة. ولكن يلزم أن نضع آمالنا في الله الذي يقوي هؤلاء الذين يعظون ويفسرون الأخبار المفرحة. كما يلزم أن نرى كيف يمكننا تطبيق دراستنا للنص الحالي على تأملاتنا السابقة. يقول النص "صوت حبيبي" ثم يضيف بعد ذلك مباشرةً: "أُنظر هو يأتي" ماذا نفهم من ذلك؟ يُحتمل أن هذه الكلمات تنبئ عن إعطاء كلمة الله التي عرفناها بواسطة الإنجيل. لقد أعلنها الآنبياء مُسبقًا، ثم وضحت من خلال ظهور الله في الجسد يحمل الصوت المقدس شهادة على هذه الأعمال وإنجازاتها، كما أنه يرتبط بكلمة الوعد كما يقول النبي: "ذَكَرْنا يا الله رَحْمَتك في وسط هيكلك" (مز ٤٨: ٩). "صوت حبيبي" هذا هو ما سمعناه. "أُنظر ها هو يأتي"، هذا هو ما رأته أعيننا. "الله بعدما كلَّم الآباء بالأنبياء قديمًا بأنواع وطرق كثيرة" (عب ١:١)، هذا هو الصوت الذي سمعناه: "كلَّمنا في هذه الأيام الأخيرة في ابنه الذي جعله وارثًا لكل شيء الذي به أيضًا عمل العالمين" (عب ١: ٢). هذا هو ما تكلموا به: "أُنظر، هو آت يقفز على الجبال ويمشي على التلال". فهو يُشبه من ناحية المقارنة بغزال، ومن ناحية أخرى يقترب في الشكل من ذَكَر صغير للغزال الأحمر. تشير كلمة الغزال إلى حِدَّة الإبصار لأن الغزلان معروفة بقوة إبصار خارقة. ويشتق اسمها من الكلمة اليونانية التي تعني يبصر أو قوة إبصار خارقة تمسح البادية كلها. لذلك فالواحد الذي يمسح ويرى الكون كله، هو الله الذي خلق الكل ويرى الكل. وبما أن الله قد ظهر في الجسد ليحطم قوى الشر بحياته، لذلك فالواحد الذي نظر من السماء إلى الأرض، يُشَبَّه بالغزال. وعلى الجانب الآخر يُشَبَّه الله بذَكَر الغزال الصغير الذي يعبر على الجبال والتلال بقفزاته. أي أنه يدوس ويسحق أعمال الشر التي لإبليس. ويتكلم الكتاب المقدس عن الجبال التي اهتزت بقوة الله. وكما صاغها داود، أنها أُزيحت إلى "قلب البحر" (مز ٤٦: ٢) وغُمِرت في قاع البحر العميق. تكلم السيد المسيح عن الجبال في مناسبة شفاء الصَرَع، "لو كان لكم إيمان مثل حبة الخردل لكنتم تقولون لهذا الجبل (الذي يرمز إلى الصَرَع) اِنتقل من هنا إلى هناك فينتقل، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم" (مت ١٧: ٢٠). ولما كان ذكر الغزال الأحمر الصغير قادرًا على تحطيم الحيوانات البرية وتهرب الثعابين ذعرًا من صوت تنفسه ومن لونه الأحمر، لذلك يُقارن العريس، الذي يراقب من أعلى كل شيء، بالغزال، ولكنه أيضًا يشبه ذَكَر الغزال الأحمر الصغير في قفزاته التي يحطم بها كل القُوى المضادة، التي يرمز لها النشيد بالجبال والتلال.

سُمِع صوت العريس عندما تكلم الله من خلال الآنبياء وبعد الصوت جاء كلمة الله قافزًا فوق الجبال التي في طريقه وأخضع كل القوى الثائرة صغيرها وكبيرها تحت قدميه، وجعلها من مريديه، بسيْره على التلال. ويرمز الفرق بين الجبال والتلال بالقُوى العظمى والقُوى الصغرى المضادة، التي سُحِقَت وتحطمت بقوة وسلطان كلمة الله. فقد سُحِق الأسد والوحش الأسطوري والحيوانات الكبيرة وأيضًا الصغيرة مثل الحيات والعقارب. دعني أذكر لكم مثالاً. لقد كان في الجموع التي تجمعت حول السيد المسيح "جبال أي شياطين". لقد كانوا جماعات اليهود في أرض جرسين وفي أماكن أخرى كثيرة حيث امتلأوا تكبُّرًا ورفعوا أنفسهم ضد

الطبيعة البشرية. وكان بينهم جبال وتلال، أي شياطين صغيرة وأخرى كبيرة. ولكن ذكر الغزال الأحمر الذي داس الحيّات والذي أعطى لتلاميذه طبيعته قال لهم: "ها أنا أعطيكم سلطانًا لتدوسوا الحيات والعقارب وكل قوة العدو ولايضركم شيء" (لو ١٠: ١٩). ثم داس عليهم جميعًا وطاردهم بعيدًا وذلك ليُمَكِن من ارتفعوا إلى أعلى بالفضيلة أن يحتفظوا بمكانتهم العليا، فلا تُخيفهم قمم تلال الشر. يظهر أن جبال الله (Bethel) بأنها بيت الله ولذلك يذكر [ع٨] "**يأتي ظافرا على الجبال**"

إن عين النفس النقية الطاهرة تستقبل هذه الاشياء وتفهمها بفرح وتقفز قفزات مقدسة فوق تلال القوى المقدسة. وتتكلم عَمَّا سيحدث في المستقبل وكأنها كانت حاضرة فيه. وتعتبر آمالها محققة لأنها تعتقد بحزم في وعد النعمة. لأنها تقول أنه يقفز على الجبال بسرعة ورشاقة وينتقل مرتفعًا من تل إلى تل. يُظهر نفسه لنا وهو واقف خلف الحائط متكلمًا مع عروسه من خلال الفتحات الضيقة في الشبابيك. ويقول النص، "أُنظر، أنه يقف خلف حائطنا، يتطلّع من الكُوى يُوَصْوِص من الشبابيك". إن ما يقوله النص بمعناه اللفظي كالآتي يتكلم العريس من خلال الشبابيك مع العروس التي تسكن في الداخل ولا تمنعهم الحائط التي تفصلهم من المحادثة لأن رأس العريس تنظر من الشبابيك بينما تُبصر عيناه من الكُوى إلى داخل المنزل. إن التفسير الروحي لهذه الفقرة قريب من التفسير الذي سُقناه من قبل. يرفع النص في نشيد الأناشيد الطبيعةَ البشريةَ إلى الله بطريقة مُعينة وبنظام: أنه ينير بصيرتنا أولاً بالنبوءات وبأوامر الوصايا. (فنفهم أن الشبابيك ترمز إلى الآنبياء الذين أضاءوا لنا الطريق بنبوءاتهم، أما الكُوى فترمز إلى أوامر الوصايا المتشابكة. ومن خلالها يدخل النور الحقيقي إلى الداخل.) أما الضوء الساطع فيأتي بعد ذلك عندما يظهر النور الحقيقي إلى هؤلاء الجالسين حسب طبيعتنا البشرية. تنير الكتابات النبوية والوصايا نفوسنا من خلال ما نتخيله كأنه شبابيك أو كوى ثم تحفز فينا رغبة قوية لرؤية الشمس خارج المنزل وأخيرًا، نصل إلى ما نرغبه لأنه أصبح حقيقة. دَعوُنا نستمع إلى ما يقوله الواحد الذي يكلمنا من وراء الحائط، أي الكنيسة من خلال الشبابيك والكُوى: "**أجاب حبيبي وقال لي قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي. لأن الشتاء مضى والمطر مّر وزال. الزهور ظهرت في الأرض. بلغ أوان القَضْب، وصوت اليمامة سُمع في أرضنا. التينة أخرجت فَجَّها، وقعال الكروم تُفِيح رائحتها. قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي**" [ع١٠-١٣].

ما أجمل أن يصف خلق الربيع حُسن هذا الفصل. يقول داود: "أنت نصبت كل تُخُوم الأرض، الصيف والشتاء أنت خلقتهما" (مز ٧٤: ١٧). هو الذي أزاح كآبة الشتاء، وأعلن أن الأمطار التي أرهقتنا قد مضت. ثم أشار إلى أن الحقول قد أينعت وازدانت بالزهور. وأن الزهور تفتحت وجاهزة لمن يقطفها ليعمل منها مجموعات للزينة أو لتجهيزها لاستخلاص العطور. إن صدى الصوت يجعل الفصل ممتعًا، ويتردد غناء الطيور في بساتين الفاكهة، ويصل صدى صوت اليمامة الشجي إلى آذاننا. ويتكلم العريس أيضًا عن شجرة التين والكرم التي يُنبئ مظهرها الحاضر بالفرح بما ستنتجه في المستقبل القريب. فيظهر التين الصغير وغيره

على الفروع الملساء وكلاهما يمتع حاسة شمنا بالرائحة الزكية. وهكذا يُظهر الكتاب المقدس مقدار الفرح في وصفه لصورة الربيع الغنية. إنها تضع الكآبة جانبًا ونتمتع بجمال الوصف. إنني اعتقد أنه بالإضافة إلى ذلك، يلزم لنا ألاَّ نتوقف في وصف هذه الأشياء التي تُدخل السرور إلى النفس. وبالأحرى يجب أن تقودنا هذه إلى الأسرار التي تتضح من خلال هذه الكلمات حتى نكشف ما تخفيه من كنوز.

وماذا نقول نحن الآن؟ كانت الطبيعة البشرية في وقت من الأوقات متجمدة خلال الوثنية فتحولت طبيعة الإنسان القادرة على التغيير إلى الطبيعة التي لا حياة فيها كالأصنام التي كانوا يعبدونها. يقول الكتاب: "مثلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها" (مز ١١٥: ٨).

ولا يمكن تلافي هذا الأمر لأن كل الذين ينظرون إلى الله ويحفظون وصاياه يكتسبون صفات الطبيعة الإلهية، بينما الذين ينحازون إلى الباطل أي الأصنام يتحولون إلى ما يعبدونه ويصيرون حجارة بدلاً من بشر.

وبما أن طبيعتنا تحولت إلى حجارة بواسطة عبادة الأصنام وأصبحت مُجمدة في الوثنية الباردة وغير قادرة على التقدم، بزغت شمس البر (ملا ٤: ٢) في هذا الشتاء القارس وحفزت ظهور الربيع. وأزالت رياح الجنوب الدافئة آثار البرد وأدخلت أشعة الشمس المشرقة الدافئة في كل الأرض. لذلك، فالجنس البشري الذي كان قد تحول إلى حجارة بواسطة البرد، قد يشمله الدفء بواسطة الروح القدس، أشعة كلمة الله، وهكذا يصبح مرة أخرى مثل المياه التي تمنح الحياة الأبدية (يو ٤: ١٤). "المُحوِّل الصخرةَ إلى غدران مياه الصَوَّان إلى ينابيع مياه" (مز ١١٤: ٨).

أعلن يوحنا المعمدان هذا بوضوح لليهود عندما قال: "إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم (مت ٣: ٩). سمعت الكنيسة هذه الرسالة من الكلمة الله بِاستقبالها العظيم للحق من خلال شبابيك الآنبياء ومن الكُوى التي تنفذ منها أشعة الوصايا. وفي نفس الوقت فإن الحائط الرمزي للتعليم - أعنى الوصايا - اِستمر في مكانه، مُكوّنًا ظلاً لما سيأتي من أشياء طيبة. أنه لم يُظهر الصورة الواقعية لهذه الحقائق. فقد وقف الحق خلفه مختبئًا على هيئة رموز. وصل نور المسيح الكلمة إلى الكنيسة أولاً من خلال الآنبياء ثم بشهادة الإنجيل فزال كل ضباب الرموز وسقط الحائط، الذي كان يفصلنا عن النور. واتصل الهواء داخل المنزل بالنور السماوي وأصبح من غير الضروري أن يصلنا الضوء عن طريق الشبابيك، لأن النور الحقيقي أضاء الداخل إضاءة كاملة بأشعة الإنجيل. لذلك يصرخ كلمة الله إلى الكنيسة من خلال الشبابيك محفزًا إيَّاها لكي ترفع إلى أعلى من قد سقط على الأرض. قائلاً: قوموا الآن من سقطاتكم، أنتم من انزلقتم وسقطتم في الخطية. لقد وقعتم في شرك الحية وسقطتم على الأرض بعد عصيانكم. اِنهضوا إلى أعلى.

قال العريس: "لا يكفي أن تقوموا من سقطتكم على الأرض، ولكن يجب أن تتقدموا في عمل الخير وتصلوا إلى آخر الطريق في الفضيلة. " نتعلم هذا من مثال المفلوج في الإنجيل (مت ٨: ٦)، فلم يقل السيد المسيح للمفلوج أن يحمل سريره

فقط، بل أمره أن يمشي. إنني اعتقد أن هذا النص يوضح التقدم والسير نحو الكمال. يقول المسيح: "قم وتعالى". ما هي القوة التي تكمن في هذا الأمر؟ حقًا إن صوت الله هو صوت القوة (مز ٦٨: ٣٤). يقول: "أعطوا عِزًّا لله على إسرائيل جلاله وقوته في الغمام". ثم يقول: "لأنه قال فكان، هو أَمَرَ فصار" (مز ٣٣: ٩). انظر أيضًا ما يقوله العريس لعروسه: "انهضي ثم تعالي"، وفي الحال يتحول أمره إلى حقيقة، وفي نفس الوقت تستقبل العروس قوة كلمة الله، فتقف وتتقدم نحوه، وتقترب من النور. ويشهد كلمة الله عندما يراها ويقول: "أجاب حبيبي وقال لي: قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي" (نش ٢: ١٠).

ما هو ترتيب الكلمات هنا؟ كيف ترتبط كل كلمة بالأخرى؟ كيف تُحفَظ تسلسل الأفكار دون أن تنكسر السلسلة؟ تسمع العروس الأمر وتتقوى بكلمة الله، ثم تنهض وتتقدم إلى الأمام وتقترب وتُصبح جميلة وتُسمَّى حمامة. كيف يرى الشخص منظرًا جميلاً في مرآة إلا إذا عكست المرآة صورة شيء جميل؟ الطبيعة البشرية هي أيضًا كذلك، ولم تكم طبيعةً جميلةً إلا بعد أن اقتربت من الجمال الحقيقي وتم تغييرها بواسطة صورة الحب الإلهي. تستمر الطبيعة البشرية على صورة الحية طالما بقيت راقدة على الأرض أخذت صورتها. ولكن الآن نهضت الطبيعة البشرية وقامت ورفعت وجهها إلى أعلى لكي تُبصر الخير، وأدارت ظهرها للشر، وأصبحت فرِحةً مسرورَة لما تنظر إليه. أي إلى الجمال الأبدي. لذلك صارت الطبيعة البشرية مُضيئة عندما اقتربت من النور. وفي هذا النور أخذت شكل الحمامة الجميل، وأعنى الحمامة التي تنبئ بحضور الروح القدس.

تكلم الكلمة وسمَّاها "جميلة" بسبب قربها منه، وحمامة لأنها جميلة. ويستمر النص في تقرير أن حُزن الشتاء لا يملك بعد على نفوسنا، لأن البرد لا يمكن أن يواجه أشعة الشمس. "لأن الشتاء قد مضى والمطر مَرَّ وزال" (نش ٢: ١١).

يُطلق النصُ الكثيَر من الأسماء على الشر حسب تأثيره المختلف: فيسميه الشتاء، المطر، نقط المطر ويرمز كل اسم لنوع مختلف من الإغراءات. تُشير كلمة الشتاء إلى مجموعة الشرور. إن الذي يزدهر، في الشتاء يختفي الآن. إن الأوراق الخضراء الجميلة التي تُزيِّن الأشجار تسقط من الفروع وتختلط بالأرض. ويتوقف غناء الطيور الشجي، ويهرب العندليب. وينام عصفور الجنة وتذهب اليمامة إلى عشها. فكل شيء يشبه حزن الموت. وتشبه فروع الأشجار العِظامَ التي تُعرَّى من اللحم، فهي عارية ومنظرها مؤسف عندما يُقارن بمنظرها وهي تحمل الأوراق والأزهار.

فكِّر أيضًا فيما يحدث للبحر من أحداث مفزعة في الشتاء. إذ ترتفع المياه من الأعماق وتكوِّن قمم الأمواج التي تشبه الجبال حيث ترتفع المياه وكأنها صخور عمودية ثم تنكسر هذه الأمواج الواحدة تلو الأخرى على الشاطئ وكأنها آلات حربية.

يتراءى لي أن آثار الشتاء وكل ما يشبهها لها مع أني تصويرية. فما هو الذي يذبل ويضيع خلال هذا الفصل؟ ما هو الذي يُسقط من الفروع ويُذرَّى على الأرض؟ ماذا يشير إليه سكوت الطيور؟ ما هو ارتفاع الأمواج؟ ما هو المطر؟ ما هي نقاط

مياه المطر؟ كيف يتوقف المطر؟ ترمز هذه العناصر إلى معنى الشتاء وكأنها عناصر حية وتعبر عن نفسها.

والآن لا يسعني إلا أن أفسر كل عنصر من هذه العناصر على حدة وأرى أن معانيها واضحة بما فيه الكفاية. اِزدهرت الطبيعة البشرية عندما كانت في الجنة وكانت تتغذى بمياه الينابيع الموجودة بها. وازدان الإنسان بأزهار الأبدية بدلاً من الأوراق، ولكن لما حل شتاء العصيان جفت الجذور وسقطت الأزهار إلى الأرض فتجرَّد الإنسان من جمال الأبدية، وجفت خضرة الفضائل وبرد حب الله للإنسان لازدياد عصيانه، وهكذا ارتفعت قمة الانفعالات التي أنتجت الرياح التي أدت إلى تحطم سفينة النفس.

ولكن بعد مدة جاء من منح الربيع لنفوسنا. فأمر ريح الشر التي أهاجت البحر أن تسكن: "وقال للبحر اُسكت أبكم. فسكت الريح وصار هدوء عظيم" (مر ٤: ٣٩). فأصبح كل شيء هادئًا، وابتدأت حياتنا في الازدهار وازدانت بالبراعم والأزهار، وتمثل الأزهار الفضيلة في حياتنا التي تُثمر في مواسمها. لذلك يقول كلمة الله: "**لأن الشتاء قد مضى، والمطر مرّ وزال. الزهور ظهرت في الأرض. بلغ أوان، القَضْب وصوت اليمامة سُمع في أرضنا**" [ع١١-١٢].

يقول العريس: "اُنظروا فإن المروج مزدهرة بأزهار الفضيلة. هل ترى هذا النقاء في جمال النرجس العبق؟ هل ترى ورد التواضع والبنفسج الذي يمثل رائحة السيد المسيح الزكية؟ لماذا إذن لا تعمل تاجًا من هذه الزهور؟ فهذا هو موسم قُضب الزهور وتعمل فرعًا تاجًا لتزين به نفسك. قد حلّ موسم التقليم". يشهد بذلك صوت اليمامة أي أنه يشبه، "صوت صارخ في البرية" (مت ٣:٣) فيوحنا المعمدان هو اليمامة. هو الذي تقدم هذا الربيع المنير الذي أنبت لبني البشر الزهور الرائعة للقضيب، وقدمها لكل من رغب في جمعها. أنه هو الذي بيَّن لنا "ويخرج قضيب من جذعه يسىَّ" (إش ١١: ١)، "هو حمل الله الذي حمل خطية العالم" (يو ١: ٢٩). وهو الذي أوضح لنا الندم على الخطية والحياة حسب الفضيلة. يقول النص: "سُمع صوت اليمامة في أرضنا": وهي تنادي "يا أرض" هؤلاء الذين أُدينوا لخطيتهم، هؤلاء الذين يُطلِق عليهم الإنجيل حياة الضرائب والعاهرات، الذين سمعوا صوت يوحنا المعمدان بينما البقية لم تقبل تعاليمه. أما عن التين، فيقول النشيد: "**التينة أخرجت فجَّها، وقُعال الكروم تُفيح رائحتها. قومي يا حبيبتي يا جميلتي وتعالي**" [ع١٣].

يجب أن نفهم النص كالآتي: يستمد التين الماء من أعماق الأرض عندما يكون الجو حارًا فتتجمع كمية معينة من السائل في الشجرة التي تُخرِج الماء الزائد عن الحاجة من خلال أطراف الأغصان. تتكرر هذه العملية مرات عديدة إلى أن تنتج الشجرة الثمار المغذِّية في الوقت المناسب بعدما تتخلص من المواد الغير مرغوب فيها والزائدة عن حاجتها. وتُنتج الشجرة نوعًا من التين (يعرف بالتين البدائي أو مقدمة التين)، ويُسمى "التين الصغير" وقد يأكله من يريد، وهو ليس بالثمار الحقيقية، ولكنه مقدمة لها. غير أنه يعطي فكرة عن ماذا يكون شكل الثمرة الكاملة النضج، لأن ثمار التين المبكرة يقول النص، هي علامة على الثمار

التي تؤكل.

وصف النشيد الربيع الروحي للعروس، هو الفصل الذي يأتي بين كآبة الشتاء وفرح الثمار في الصيف. لهذا السبب يُعلن بالتفاصيل الدقيقة انقضاء شرور (الشتاء)، غير أنه لا يُفصح تمامًا عن ثمار الفضيلة الكاملة. وسوف يكشف عن هذه في الوقت المناسب عندما يحل فصل الصيف. أنت تعرف بالتأكيد من كلام الله ماذا يعني الصيف: "الحصاد هو انقضاء العالم والحصَّادون هم الملائكة" (مت ١٣: ٣٩). ويوضح النص الآن الآمال التي تزدهر بواسطة الفضيلة، والتي تأتي ثمارها كما يقول النبي في الوقت المناسب (مز ١: ٣). تشبه الطبيعة البشرية شجرة التين التي سبق ذكرها. فإنها تجمع ماء الشر خلال فصل "الشتاء" الروح. لذلك فالواحد الذي يجلب لنا "ربيع" الروح ويرعى نموِّنا يُلزم طبيعتنا أن تنفض خارجًا كل ما هو غير نقي وزائد ليس من خلال الأغصان، ولكن من خلال الاعتراف. ثم يضيف لحياتنا علامات مُميزة للنعمة التي نفوز بها من خلال الحياة النقية، كما يعلن عن ظهور التين الكامل النضج بعد ظهور التين الصغير. هذا هو المعنى المقصود مِنْ " أنتجت شجرة التين الصغير"

وهذا أيضًا هو المعنى المقصود من الكرمة المزدهرة، التي يُفرِح خمرها القلب (مز ١٠٤: ١٥)، وفي يوم من الأيام يملأ كوب الحكمة. وسوف يقدم مجانًا لهؤلاء الذين يشربون من المواعظ العالية ويستمتعون بها وكأنهم سكارى منتشين بوعيّ جميل. وأعني به الغيبة التي يمر بها الشخص بثبات من دائرة الماديات إلى الروحانية المقدسة. والآن تزهر الكرمة بواسطة براعمها ويخرج منها عبير عطر حلو ناعم يملأ الجو ويحيط بنا.

وأنت تعرف هذه الرائحة الزكية من القديس بولس (٢ كو ٢: ١٦)، وتعرف كيف تنطبق على كل الذين يُخَلَّصون.

يوضح كلمة الله هذه الأشياء للعروس كتذكار لأيام الربيع الجميلة للنفس. ثم يحفزها على التمتع بما يوجد أمامها: ويشجعها قائلاً: "التينة أخرجت فجَّها وقُعال الكروم تُفيح رائحتها. قومي يا حبيبتي ياجميلتي وتعالي".

ما هذا التعليم العظيم الذي يكشفه لنا الله في هذه الكلمات!

إن الكاتب المُلهم لا يكرر هذه الآية كلمة بكلمة دون سبب. يوضح التكرار أنه يوحي بتعليم مهم. يقول النص: أن الطبيعة الأبدية المباركة تعلو فوق كل إدراك وتشمل كل الأشياء في داخلها وهي غير محدودة. لأنه لا يوجد اسم أو مبدأ يمكنه أن يضع حدودًا لها: ليس الوقت أو المكان أو اللون أو الشكل أو الصورة أو الحجم أو الكمية أو الحدود أو شيء آخر. فأي خير نلم به يتبع طبيعة الله ويوجد في اللآنهاية وغير محدود بمقياس. لأن الشر ليس له مكان بينما الخير ليس له حدود.

يوجد بالطبيعة البشرية المتغيرة الخير والشر ويتبادل وجودهما لأن عندنا القدرة على اختيار أيّا منهما، وهما متناقضان. والنتيجة أنه يتبادل وجود الخير فينا مع الشر، ويُصبح الشر حاجزًا للخير. فجميع نشاطات نفوسنا تظهر متعارضة، وهي تشجب وتحدد بعضها البعض. وعلى الجانب الآخر تظهر الطبيعة الإلهية بسيطة، نقية، متجانسة (متوافقة) ثابتة، غير متغيرة وهي دائمًا على ما هو عليه (غير

المحوى غير المستحيل)، وهي تستمر غير محدودة في الخير، لأنها لا يمكن أن تشترك مع الشر. وهي لا تعرف حدودًا لأنها لا تحتوي على متناقضات أو مضادات، لذلك حينما يجذب الله نفسًا بشرية لكي تتحد معه، وذلك لما له من وفرة السمو في الخير، **تستمر النفس أولاً في النمو باشتراكها فيما هو أعظم منها، ولا تقف أبدًا عن النمو**. والناحية الثانية التي تستفيد منها النفس هي أن الخير الذي تشارك فيه النفس يظل كما هو (غير محدود). لذلك فكلَّما استمرت النفس في المشاركة تعرف أكثر، وبوضوح أن هذه المشاركة جعلتها ترتفع في السمو إلى أفاق عُليا.

نحن نرى الآن العروس والكلمة يقودها إلى أعلى درجات الفضيلة، إلى علو الكمال.

في البداية يرسل لها الكلمة شعاعًا من نور من خلال شبابيك الآنبياء وكُوى الوصايا. ثم يشجعها على أن تقترب من النور وتصير جميلة بواسطة تحوُّلها إلى صورة الحمامة في النور. وفي هذه المرحلة تأخذ العروس من الخير بقدر ما تستطيع. ثم يرفعها الكلمة لكي تشارك في جمال أعلى لم تتذوقه من قبل. وبينما هي تتقدم تنمو رغبتها في كل خطوة، لأن الخير غير محدود أمامها. وتشعر باستمرار مع حلول العريس معها أنها قد ابتدأت صعودها للتوّ فقط. لذلك يقول الكلمة للعروس التي أقامها من النوم: "انهضي". وإذ جاءت إليه يقول لها: "تعالي"، لأن الشخص الذي دعاها للنهوض بهذه الطريقة في استطاعته أن يقودها إلى الارتفاع والنهوض بها إلى مستوى أعلى.

الشخص الذي يجري نحو الله ستكون أمامه مسافات طويلة. لذلك يجب علينا أن نستمر في النهوض ولا نتوقف أبدًا عن التقرب من الله. لأنه كلما قال العريس "انهض" و "تعال" فإنه يعطي القوة للارتفاع لما هو أفضل. لذلك لابد أن تفهم ما يأتي بعد في النص. عندما يحفِّز العريس العروس الجميلة لكي تكون جميلة، فهو يذكرنا حقًا بكلمات الرسول الذي يطلب منا أن نسلك سلوكًا فاضلاً **لكي نتغير من مجدٍ إلى مجدٍ** (٢ كو٣: ١٨). وهو يعني بكلمة "مجد" ما فهمناه وحصلنا عليه من بركة في وقت من الأوقات، ولا يهم مقدار ما حصلنا عليه من مجدٍ وبركةٍ وارتفاعٍ، لأنه يُعتقد أننا حصلنا على أقل مما نأمل في الحصول إليه. ولو أنها وصلت إلى جمال الحمامة بما قد حققه، إلا أن العريس يأمرها بأن تكون حمامة مرة أخرى بواسطة تحوّلها إلى شيء أحسن. فإذا حدث ذلك فإن النص سوف يُظهر لنا شيئًا أحسن من بهذا الاسم "حمامة".

"**يا حمامة في محاجئ الصخر في سِتْرِ المعاقل، أريني وجهك، أَسْمِعِيني صوتك، لأن صوتك لطيف، ووجهك جميل**" [ع١٤].

ما هذا الصعود إلى الكمال الذي تُظهِره هذه الكلمات؟ يلزم أن يكون اشتياقنا للأحسن دليلنا. فهو يقول: "تعالي بنفسك" ليس لأنك حزينة أو لأنك محتاجة، ولكن تلقائيًا بنفسك، مؤكدة بتفكيرك الشخصي رغبتك في الخير غير منقادة بالحاجة إليه. **فالفضيلة يجب أن تكون غير مفروضة وإرادية**، ومنزهة عن كل حاجة مادية. كان هذا الحال مع داود الذي أدرك أن الله يفرح فقط

بما عمله بتلقائية ووعد أنه سوف يقدم ذبائحه بتلقائية. وهكذا مع جميع القديسين الذين قدموا أنفسهم بتلقائية إلى الله ولم يكونوا أبدًا منساقين بحاجة في أنفسهم.

يجب الآن أن تُظهِروا استعدادًا كاملاً أنكم ترغبون أن ترتفعوا إلى ما هو أحسن. وعندما تُنجِزون هذا يقول لكم العريس أنكم ستدخلون إلى "ملجأ الصخرة بالقرب من الحائط" وإذا أردنا أن نوضح ما عبَّرت عنه الرموز، يصبح المعنى كالآتي: يوجد ملجأ واحد للنفس البشرية، وهو الإنجيل المجيد. ومن يدخل هذا الملجأ لا يحتاج أن يتعلم بواسطة الأمثلة والرموز لأن الحق يوضح الغموض في رسالة الوصايا. لا يمكن لمن يفهم عقيدتنا أن ينكر أن الإنجيل هو الصخرة، إذ أن فقرات عديدة تعلم أنه صخرة.

يمكن تفسير هذا كالآتي: إذا كنتِ، أيتها النفس قد نظرت جميع الوصايا وتطلعتِ عقليًا من خلال شبابيك الآنبياء على الأشعة الساقطة عليك، فلا تهربي بعد ذلك إلى ظل الحائط، لأنها تكون فقط ظلاً للخير الذي يحل في المستقبل، فهي إذن لا توفر صورة صادقة للحقيقة. فلابد أن تعبر من الحائط إلى الصخرة القريبة منها. والصخرة قريبة من الحائط لأن الوصايا كانت الحائط الذي حفظ الإيمان بالإنجيل، وتعاليم الوصايا مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بتعاليم الإنجيل. مثال: لا تزن ولا تشتِهِ ولا تتنجس بالقتل، ولا تنجس قلبك بالغضب. ولما كان ملجأ الصخرة يقع قريبًا من الحائط فالمسافة بين الحائط والصخرة قصيرة. ويحدث تطهير من الخطية في كل من الحائط والصخرة، فيوجد خروف في كل منهما ودم وعبور، وهكذا في كل شيء آخر يتعلق بالحائط والصخرة لأنهما مرتبطان ببعضهما. إلا أن الصخرة روحية بينما الحائط أرضي، لأنه مصنوع من الطين الأرضي. وعلى الجانب الآخر لا يوجد بصخرة الإنجيل طين لحمي في تعليمها. يُختَن الرجل ولكنه يظل كاملاً ولا يعاني ضررًا في جسمه. ويحفظ السبت في عدم الوقوع في الخطية ولا يتوقف عن عمل الخير لأنه تعلَّم: "أن الوصايا تحُضّ على عمل الخير في السبت" (مت ١٢:١٢) مثل هذا الرجل يتناول طعامه دون الامتناع عن بعض الآنواع، ولكنه لا يمس أي شيء نجس أو غير نظيف. لقد تعلم بواسطة الصخرة: "أن كل ما يدخل الفم لا ينجس الإنسان" (مت ١٥: ١٧). يرفض الصخرة كل الملاحظات الجسدية للوصايا ويتسامي بمعاني الكلمات إلى الدائرة الروحية والعقلية. وكما قال بولس عن: "الوصية الروحية" (رو ٧: ١٤). لأن الشخص الذي يرفض الوصية يأتي إلى "ملجأ الصخرة" إلى الإنجيل، وهو قريب من الحائط المادي.

نادى الكلمة بهذه التعاليم من خلال الشبابيك إلى عروسه، وهي الحمامة، استجابت له بجمال، لأنها استنارت بشعاع الفهم وتعرفت على الصخرة وهو المسيح. وهو يقول: "**أريني وجهك، اسمعيني صوتك لأن صوتك لطيف ووجهك جميل**" [ع١٤].

يمكن تفسير معنى هذه الآية كالآتي: لا تكلمني من الآن فصاعدًا برموز الآنبياء والوصايا. وحتى أراك اِظهر لي نفسك حتى آتي إلى داخل الصخرة، الإنجيل، وأترك خلفي حائط الوصايا. وحتى أسمعك اِجعل صوتك يرن في أذني. فإذا كان صوتك حلوًا جدًا من خلال شبابيك الآنبياء، فكم تكون رؤية وجهك الجميل

مُجْلِبةً للحب والسعادة؟

فهمت العروس السر في صخرة الإنجيل التي قادها إليها الكلمة بطُرق عديدة ومختلفة (عب ١: ١١). بينما كان عند الشبابيك. والآن ترغب العروس في ظهوره في الجسد، حتى يمكن رؤية الله في الجسد ويتكلم عن الوعود الإلهية للسعادة الأبدية لكل من يستحقها. لاحظ توافق كلمات سمعان مع رغبة العروس: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك" (لو ٢: ٢٩-٣٠). رأى سمعان مثل ما أرادت العروس أن ترى. وهؤلاء الذين اِستقبلوا صوت المسيح الحلو تعرفوا على نعمة الإنجيل وصرخوا: "فأجابه سمعان بطرس: يا رب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك" (يو ٦: ٦٨).

اِلتمست العروس أن ترى العريس النقي الذي وافق؟؟، لذلك فسوف يُظهِر نفسه علانية. ويحفِّز العريس الصيادين لكي يصطادوا الثعالب حتى لا يتلفوا أشجار العنب: "**خذوا لنا الثعالب الثعالب الصغار المُفسِدة الكروم لأن كرومنا قد أقلعت**" [ع١٥]. سوف يزدهر ثمر العنب إذا ما أزيلت الثعالب التي تتلفها... امسك الثعالب الصغيرة التي تتلف كرم العنب لأن كرمنا يعطي عنبًا طريًا. من الممكن أن نحترم نبل هذه الأفكار. ولنَرَ ما هو العجب في العظة الإلهية التي تحتويها النص؟ ما هو تأثير القوة الإلهية في معنى النص؟ يتكلم النشيد عن هذا القائل، "ماذا يعطيك وماذا يزيد لك لسان الغش"، ويقول عنه النبي: "سهام جبار مسنون مع جمر الرتَم" (مز ١٢٠: ٤). ويقول أيضًا: "يكمن في المُخْتَفي كأسد في عَرِّيسه" (مز ١٠: ٩). هو حية عظيمة، ضَلَّت وعصت الله، جهنم بفمه مفتوحة هو حاكم قوي الظلمة وله سلطان الموت. كما تصفه النبوءات الكثيرة بصفات أخرى، فلقد حطم الحدود بين الأمم التي كانت مستقرة حسب أمر الله القوى العالي (تث ٣٢: ٨)، وذلك بين ملائكة العد يدين. وهو يقبض على العالم كما يمسك شخص بعُشّ طائر، ويخطفها بعيدًا كالبيض من عشه. وقال أنه سوف يضع عرشه فوق السحب ويصبح مثل القوي العالي. يقول عنه كتاب أيوب أنه مرعب ومخيف (أي ٤٠: ١٨، ٤١: ٧)، عظامه نحاس وأطرافه قضبان حديد وأحشاؤه حجارة صلبة أتثخن جلده بالحراب، ورأسه بأسنة الرمح. يذكر الكتاب هذا وغيرها. هذا هو الرئيس القوي لقوى الشر. ولكن ماذا تقول القوة الحقيقية الوحيدة عنه؟ أنه ثعلب صغير وسوف يصغر ويُستهزئ بكل من هو مع الشيطان وأعوانه جميعهم. ويناديهم الله بنفس الاسم ويحفز الصيادين ضدهم. وقد يكون الصيادون هم قوى الملائكة الذين يرافقون الله عندما يظهر على الأرض. فيذهبون مع ملك العظمة والنعمة ويُظهرونه إلى من لا يعرفونه. من هو ملك المجد؟ "الرب القدير الجبار، الرب الجبار في القتال" (مز ٢٤: ٨) وقد يكون هؤلاء الصيادون "أرواحًا خادمة مرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب ١: ١٤)، أو قد يكونوا الرسل الأطهار أُرسِلوا لكي يصطادون هؤلاء الوحوش" (مت ٤: ١٩). لأنهم لا يقدرون أن ينجزوا عملهم في اصطياد الرجال أو يمسكوا بالنفوس التي خلصت بشباك كلماتهم، إلا إذا أبعدوا هذه الوحوش من أماكن اختبائها، وينتزعوا هذه الثعالب الصغيرة من قلوب الرجال حيث يختبئون. وعندما تتوقف الثعالب الصغيرة عن الاختباء في

قلوب الناس استعدادًا للخروج والقتال، يُوجد الرسل مكانًا لابن الإنسان حيث يسند رأسه لأنه يقول: "ليس له أين يسند رأسه" (مت ٨: ٢٠) يمكن أن نتعرف على مجد القوة الإلهية الذي لا يمكن التعبير عنه من الأوامر التي أعطيت حسب النص لأي من الصيادين. لأن الله لا يقول: اِصطاد الخنزير البري في الغابة والذي يخرب الكرم والرِيأ والخنزير البري الذي يعيش وحيدًا أو الأسد الثائر أو الحوت العظيم أو ثعبان الأعماق. سيوضح الكلمة لصياديه ما هي القوة التي يمتلكها الذين يقفون ضدنا بسرد أنواع الوحوش التي سبق ذكرها. وبدلاً من ذلك تقول أن جميع هذه القوى الأرضية التي نحارب ضدها مثل الرئاسات وأصحاب السيطرة، والقوى الكونية للظلمة، والأرواح الشريرة كلها هي "الثعالب الصغيرة"، وهي كائنات بائسة ومتشردة بالمقارنة بما عندكم من قوة. إذ انتصرتم على مثل هذه القوى، فإنكم ستحصلون على النعمة التي تكون لكم. ستبتدئ كرم طبيعتنا البشرية في حمل عناقيد العنب وزهور حياة الفضيلة. "أقبض على الثعالب الصغيرة التي تفسد كرم العنب لأن كرمنا ينتج عنبًا طريًا".

سمع الكرام بِاهتمام إلى الأوامر الإلهية مثل المرأة التي قال عنها داود، أِتك مثل كرمة مثمرة (مز ١٢٨: ٣). أنها رأت نفسها بعيدة عن القوة المدمرة لهذه الوحوش بواسطة قوة من أمرها، وفي الحال وهبت نفسها لراعيها الذي أزال الحائط الحاجز. فلا يحجز حائط الوصايا الاِتحاد بينها وبين الواحد الذي ترغبه. وهي تقول: "**أنا لحبيبي وحبيبي لي الراعي بين السَوْسن. إلى أن يفتح النهار، وتنهزم الظلال أرجع وأشبه يا حبيبي الظبيْ أو غفر الأيائل على الجبال المشبعة**" [ع١٧]. أي أنها عرفته وجهًا لوجه، الواحد الذي يعيش منذ الأول، ومن أجل خلاصي جاء في صورة إنسان إني استريح فيه وأسكن. لأنه هو الراعي الصالح الذي يرعى غنمه ليس بالعُشب بل بالنرجس النقي. حقيقة إنهم لا يتغذون على العشب، فالعشب هو الغذاء الصحيح للحيوانات الغير عاقلة، ولكن الإنسان عاقل ويتغذَّى على الكلمة الحقيقي. أما إذا اكتفى الإنسان بالعشب، فسوف يتحول إلى عشب "كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل" (إش ٤٠: ٦)، طالما هو جسد. أما إذا تحول الشخص إلى روح وولد من الروح، فلا يتغذى بعد ذلك على العشب بل يتغذى على الروح، التي ترمز إليها بنقاء النرجس ورائحته الزكية. وسيتحول إلى نرجسة نقية وعَطرة، فلقد تغيّر حسب المادة الطيبة التي يأكلها. هذا هو اليوم الذي أرسل فيه أشعته إلى الأرقام، وبالأحرى، أنه "استنشق إلى الأمام" لأن الصوت الإلهي يسمى هذا "زفيرًا" وهو اِنتشار الأشعة بواسطة الروح القدس. وبواسطة نوره تختفي ظلال الحياة. ويُسرع هؤلاء الذين لم تُضأ عيون نفوسهم بواسطة نور الحق، وراء تلك الظلال. وهم يعتبرون الظلال، الباطلة كأنها حقيقة بينما ينظرون إلى الحق على أنه غير موجود. ولكن هؤلاء الذين تغذوا على النرجس، أي الذين نمت وترعرعت نفوسهم على تغذية عطره ونقائه، قد خلَّصوا أنفسهم من كل مظاهر الظلال والخداع التي يسعى الناس إليها أثناء هذه الحياة. لقد أصبحوا أولاد النور والنهار، وسوف يتعرفون على المادة الحقيقية للأشياء.

وترى العروس هذه الأشياء وتحفز الكلمة لكي يحقق لها آمالها: "**إلى أن**

يفيح النهار وتنهزم الظلال ارجع وأشبه يا حبيبي الظبيْ أو غُفر الأبائل على الجبال المشبعة" [ع١٧].

"شكله مثل غزال الذي يعرف أفكار الناس ويقرأ ما في قلوبهم. أبيد ابن الشر كما يحطم ذكر الغزال الصغير الحية. أنت ترى الجبال الفارغة لحياة الإنسان ومعظمها وِدْيانًا وليست قمم. "لذلك يجرى بسرعة على الجبال التي أصبحت وِدْيانًا، لأن من يرفع نفسه ضد الحق يصبح حفرة وليس جبلاً، شقًا عميقًا في الأرض وليس ارتفاعًا. ويقول إذا أسرعت في الجري على هذه؛ "كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمة ينخفض ويصير المعوج مستقيمًا والعراقيب سهلاً" (إش ٤٠: ٤). هذا ما تقوله النفس التي غذاها الكلمة ليس على الأشواك أو العشب، ولكن على عبيق النرجس الجيد للحياة النقية. ليتنا نحن أيضًا نمتلئ ونتغذى على مثل هذا النرجس بواسطة الكلمة، الذي له المجد والقوة إلى الآبد آمين.

العظة السادسة

مرة أخرى تتبين لنا بعض التعاليم العالية من تفسير هذه الفقرة من نشيد الأناشيد. تعلمنا العروس بالأمثلة خلال تجاربها خاصًا ما يعرف المُحبين بمجد وعظمة الله التي تفوق كل وصف ونتفهمها الآن (واعتقد أنه يلزم أن نفهم ما يتضمنه النص ثم نوفِّق كلمات الوحي الإلهي حسب طريقتنا في تفسير ما سبق). ونستطيع أن نقول بإيجاز أن هذه الفقرة من النشيد توحي بأن الخليقة تنقسم إلى قسميين واضحين: أحدهما حسِّي ومادي والآخر عقلاني وروحي. والحسِّي هو ما نفهمه بواسطة الحواس أما العقلاني فهو يفوق ما يُفهم بواسطة الحواس. فالعقلاني غير محدود وغير مُقيَّد بينما المادي محدود لأن كل مادة محدودة بنوعها وكميتها. فأي شيء له كتلة وشكل ومظهر يحدد فهمنا. لذلك فإن الشخص الذي يختبر الخليقة المادية لا يمكن أن يفهم شيئًا خارج حدودها باستخدام قدرته على التخيّل.

أما القسم الثاني من الخليقة وهو العقلاني الروحي، فلا قيود عليه وليس له حدود ولا يحوطه أي شيء. وإضافة إلى ذلك تمتاز الطبيعة الروحية بأن لها ناحيتين: أولاً يظل الخالق (الغير مخلوق) ثابتًا دائمًا كما هو. لذلك فهو لا يسمح أن يتغير الحق نقصًا أو زيادة. أما الناحية الثانية فهي تخص الخليقة وتنظر دائمًا إلى بدايتها والهدف الأول لها. بالمشاركة فيما وراء الحدود. تظل الخليقة ثابتة في الخير، ومن وجهة نظر مُعيّنة، فهي خُلقت بينما تتغير باستمرار إلى الأحسن في نموها وكمالها. فهي ليست محدودة، ولا يمكن أن نوقف نموها إلى الأحسن، غير أن حالتها الراهنة من الجمال حتى ولو كانت عظيمة وكاملة، إلا أنها بداية فقط إلى مرحلة أحسن وتفوق الحدود. وهكذا تتحقق كلمات الرسول: "أيها الإخوة إني لا أحسب نفسي أني قد أدركت، ولكني أفعل شيئًا واحدًا إذا أنا أنسى ما هو وراء، وامتد إلى ما هو قدام" (في ٣: ١٣). إن الخير الذي هو أعلى مما قد حصلنا عليه يشد انتباه الذين ساهموا فيه ولا يسمح لهم بالنظر إلى الماضي، لأنهم يتمتعون بما هو جدير، أما الأشياء الدنيا، فقد مُسحت من ذاكرتهم.

هذا هو معنى الكلمات العروس، ولكن قد حان الوقت لكي نسترجع النص الموحى به من الله ونوفِّق معه ما قد درسناه. "**في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته. إني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع أطلب من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته. وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسي؟. فما جاوزتهم إلاّ قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي، فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي، وحجرة من حبلت بي**" [ع١-٤].

كيف يمكنا أن نجد المعنى الروحي في النص كما وجدناه في الفقرات السابقة؟

لقد عرفنا معنى خاصًا لكا مرة ترتفع فيها العروس في الخير، وكانت دائمًا

تتقدم إلى الأمام ولم تبقى دون تقدم فيما حصلت عليه من خير. فمثلاً حين قورنت بالحصان الذي هزم طغاة المصريين، ثم بسلسة وعقد وهي حُلي للرقبة. ولما لم تقنع بهذا اتجهت بعزيمة قوية إلى ما هو أعلى. فمن خلال عطر الناردين تعرفت على رائحة الله العطر. ولم تكتف بهذا، ولكنها أخذت ما ترغب فيه وعلقته بين نهديها الروحيين، على هيئة صرة عطرة. ونتيجة لوضعها في مكان القلب خرجت تعاليم مقدسة.

تتكلم العروس عن ثمرة، هي راعي الكرم نفسه، وتسميه عنقود العنب، بينما يفوح من ازدهارها رائحة ناعمة ذكية وخلال نمو العروس وتقدمها في درجات الارتفاع الروحي يطلق عليها صفة الجمال وتصبح رفيقة للعريس، وتقارن جمال عيونها بعيون الحمامة. وتتقدم العروس أكثر إلى الأمام وتزداد رؤيتها نقاء، وتفحص جمال كلمة الله بدقة، وتتعجب من نزوله على هيئة ظلال إلى الفراش هذه الحياة الدنيا، مختفيًا في الطبيعة المادية للجسم البشري.

وتصف العروس بعد ذلك بيت الفضيلة، فسقفه من خشب الأرز والسروّ التي لا يصابها العفن أو الفساد. وتعني العروس بهذه التعبيرات اِتجاه نفسها الثابت والغير متحّول نحو الخير. ثم توضح تغيُّرها إلى الأحسن بالمقارنة فتظهر كأنها نرجسة بين الأشواك. ومرة أخرى ترى العروس الفرق بين العريس وغيره من الأشخاص، وسط غابة من الأشجار الغير مثمرة. لقد جاءت العروس تستظل بظل عريسها، ودخلت منزله، حاملة الروائح العطرة، مدعمة بالتفاح، تتلقى سهمه المختار في قلبها من خلال جرح مذاقُه حلو، ثم تصبح مرة أخرى سهمًا في أيادي ضارب السهام. فبيده اليسرِّي يصوِّب طرف السهم إلى الهدف، بينما تجذب اليمنى السهم إلى الخلف ناحيته.

وتظهر العروس وكأنها وصلت إلى الكمال فتخبر رفيقاتها الملحة وتثير حبهن بقسم من الذي ينكر أن هذه النفس التي ارتفعت إلى مثل هذا المستوى. قد وصلت إلى حدود الكمال؟

ولكن آخر ما وصلت إليه العروس من تقدم يصبح بداءة لمرحلة أعلى من التقدم. وتعمل جميع هذه الأمثلة كصوت يأمر النفس أن تفكر (سماويًا) بإمعان في الأسرار. وتبتدئ العروس في رؤية عريسها المراد، ولكنه يظهر لعيونها في شكل آخر، كظبي أو ذكَر غزال أحمر صغير، غير أن هذه ليست العريس من وجهة نظرنا، وهو لا يظهر ثابتًا في مكان واحد، بل يقفز على الجبال ويجري على التلال من القمم العليا إلى التلال الصغيرة.

وتستقر العروس مرة أخرى في حالة أحسن عندما تأتيها دعوة ثانية تحفِّزها على ترك ظل الحائط وتذهب إلى ضوء الشمس المباشر، وتستريح في ملجأ الصخرة القريب من الحائط، وتفرح في الربيع، وتجمع الزهور الجميلة الجاهزة للقطب في موسم الأزهار الكامل. وجميع الأشياء الأخرى في هذا الفصل تؤدي إلى الابتهاج مع أصوات الطيور ذات الآنغام البديعة. وتصير العروس أكثر كما لا من خلال كل هذه الاشياء وتقول أنها مستحقة دون مواربة لترى وجه عريسها وتسمعه مباشرة دون وسطاء.

إنه من حق النفس أن تفرح لأنها وصلت إلى مراكزًا عاليًا أثناء صعودها إلى قمة رغباتها. ما هو أعظم من سعادة من يصل إلى رؤية الله؟ ولكن ما حققته هو بداءة لما تأمَّل فيه بعد ذلك. ومرة ثانية تسمع عريسها يشجع الصيادين لكي ينقذوا الكروم الروحية ويتعقبوا الحيوانات - هذه الثعالب الصغيرة - التي تُخرب الفاكهة. ومتى تحقق هذا يتحد العروسان: الله في النفس، والنفس مرة أخرى تسكن في الله. تقول العروس: "حبيبي لي وأنا له الراعي بين السوْسن"، هو نفسه الذي غيَّر الحياة الإنسانية من خيال الظلال إلى قمة الحق. لاحظ الارتفاع الذي صعدت إليه العروس، متقدمة من قوة إلى قوة كما يقول النبي (مز ٨٤: ٧)، وتظهر كأنها حصلت على قمة أمانيها. ما هو أعلى من أن تكون في المحبوب ويكون هو في نفسك؟ تشعر العروس باضطراب وحزن لأنها لم تحقق رغباتها وتظهر اِنزعاج نفسها عندما تصف كيف وجدت ما تبحث عنه.

عندما نفكر بعمق في هذه الفقرة، يتضح لنا أنه لا يمكن وضع حدود العظمة الطبيعية الإلهية. ولا يمكن لأي مستوى من المعرفة أن يحد فهمنا للموضوع. ويمنعنا من التقدم إلى الأمام. ولكن عندما يرتفع العقل إلى أعلى من خلال فهمه للحقيقة السامية، يجب عليه أن يعلم أن أي كمال للحقائق التي وصلت إليها الطبيعة البشرية ما هي إلا بداءة لأمورٍ أكثر علوًا. لنستعرض باِهتمام ما يقدم للاختبار ولنكن واعين أن وصف حجرة العرس وعناصر الزواج هي النقاط التي سوف نفكر فيها بعمق. سوف ننقل معانيها إلى مستوى روحي نقي حتى يقدم لنا النص المبادئ والتعاليم. لذلك يقول النص أن العروس هي النفس، وأن العريس هو الله الذي تحبه النفس بكل قلبها وروحها وقوتها. وبعدما تصل العروس، كما تفتكر، إلى قمة آمالها، وهي الاِتحاد بمن تحبه، تطلق كلمة "سرير" على المشاركة الأحسن في الخير، وعلى كلمة "ليل" وقت الإظلام. وتوضح العروس لنا أنه "بالليل" يتم التفكير بعمق في الغير مرئي ومثل ما حدث لموسى في ظلام حضور الله (خر ٢٠: ٢١).

وقال النبي عنه "جعل الظلمة سُتره، حوْله ضباب المياه وظلام الغمام" (مز ١٨: ١١).

تتعلم العروس، بعدما وصلت إلى هذه المرحلة، أنها لا زالت بعيدة عن الكمال، وأنها لم تقترب منه بعد. "والآن بعدما صرتُ مستحقة لهذه الحقائق، اَستريح على سرير كل ما قد فهمته. وعندما أدخل إلى المملكة الغير مرئية بعدما تركت كل الفهم المبني على الحواس، أجد نفسي محاطة بالليل الإلهي، وأبحث عنه في السحاب. فهل أحببت الواحد الذي أرغبه، حتى ولو هرب من أفكاري؟ "لأني بحثت عنه في سريري بالليل"، حتى أعرف مادته التي يتكون منها، أولها وآخرها، ولكني لم أجده. وناديت عليه بالاسم على قدر ما كان في قدرتي أن أجده وهو بدون اسم. ولكن معنى أي اسم سوف لا يساعدني أن أجد الذي أبحث عنه.

تقول العروس: كيف اَكتشف الذي يعلو كل اسم بواسطة أن أطلق عليه اسم؟ لقد ناديته ولكنه لم يرد عليَّ، وبعدها علمت أن عظمة مجده وطهارته ونقاؤه ليس لها آخر. لذلك تنهض العروس مرة أخرى وتتجوَّل في الروح خلال

المملكة الروحية الغير محدودة التي تُسميها "مدينة" حيث يوجد رؤساء وقوى مهيْمنة، وعروس تمسك بمقاليد الأمور.

وتسمي "مكان السوق" الاجتماع الجاد لجموع السمائيين وتسمي "الشوارع" الجموع الغفيرة التي لا تُعد، وكأنها ستجد محبوبها بين هؤلاء. وبينما تجوَّلت العروس في كل هذه الأماكن نظرت بدقة إلى جموع الملائكة.

ولما لم تجد من كانت تبحث عنه بين هذه الجموع الطيبة، فكرت في نفسها: "هل يمكن أن أمسك حبيبي؟" وقالت لهم: "هل رأيتم من أحبته نفسي؟" إلا أنهم آثروا السكوت، دليلاً على أن الواحد الذي تبحث عنه غير محدود، وبعد ما جازت العروس هذه المدينة التي تفوق الخيال ولم ترى حبيبها بين جموع الروحيين، وتركت كل شيء وجدته. وتبينت أن بحثها عن حبها يُعرف فقط في استحالة فهم كيانه، وأن كل علامة تصبح عائق لكل من يبحثوا عنه. لذلك تقول العروس "فما جاوزتهم إلا قليلاً" تركتُ كل مخلوق ومررت على كل كائن يمكن فهمه في الخليقة، وبعدما أوقفتُ كل قدرة على الفهم، وجدت حبيبي بالإيمان. وسوف لا أتركه يذهب بعدما عرفته بالإيمان حتى يأتي إلى حجرتى.

والحجرة" هي القلب الذي يتحول إلى مسكن مقبول لله عندما يرجع إلى الحالة التي كانت بها في البداية والتي كانت فيها "من عرفتني". نحن نكون على صواب بفهمنا "أمنا" أنها الأصل في وجودنا.

والآن يجد ربنا أن نذكر مرة أخرى الكلمات المقدسة حتى تتوافق مع ما قد تم تفسيره. "**في الليل على فراشى طلبت من تحبه نفسي، طلبته فما وجدته. أني أقوم وأطوف في المدينة في الأسواق وفي الشوارع، أطلب من تحبه نفسي. طلبته فما وجدته. وجدني الحرس الطائف في المدينة فقلت أرأيتم من تحبه نفسي؟. فما جاوزتهم إلا قليلاً حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي**" [ع١-٤].

بعد ذلك تتكلم بحب إلى بنات أورشليم اللآتي أشار إليهن النص على أنهن أشواك، بينما قارن العروس بالنرجس. جعلت العروس بنات أورشليم يرتفعون إلى مستوى مساو في الحب حتى تتحقق فيهم رغبة العريس، وذلك بواسطة قسم "للقوى" الدنيوية؟. إن ما ذكر سابقًا هو العالم الذي توجد فيه "الفضائل" و"القوى" وإرادة الشخص الذي يحب بكل قلبه ونفسه، ولا توجد حاجه لكي نتكلم بإسهاب على هذه الأمور، لأننا شرحنا ما يتضمنه معاني هذه الكلمات. وإذا كنا نرتفع بطريقة ما مع الحمامة التي تحلق في الأعالى، لأمكننا سماع صوت أصدقاء العريس متعجبين على هذا الصعود من الصحراء. وهو يثير تعجبًا كبيرًا لكل من يشاهدوه، لأن الصحراء نفسها هي التي أنتجته كتقليد للأشجار الجميلة التي تزرع في الصحراء بواسطة بخار العطر، وكان هذا العطر هو المرّ وبخور البلسم. ويتصاعد دخانها على هيئة سحابة من مسحوق التوابل المطحون. وترتفع في الجو وتنتشر مع الهواء بدلاً من ذرات التراب مُعطية رائحة عطرة ومكونة سحابة عمودية من الذرات.

نقرأ في النشيد الآن الفقرة الآتية: **"من هذه الطالعة من البرية كأعمدة من دخان معطرة بالمر واللبان وبكل أذرَّة التاجر"**؟ [ع٦]. إذا تمعن أي شخص في هذه الكلمات بدقة، سيجد فيها الحقيقة التي أشرنا إليها سابقًا. يخفي الممثلين في بعض المسرحيات مظهرهم بأنواع عدة من الأقنعة فلا تظهر حقيقة شخصياتهم. فالممثل الذي يظهر الآن كعبد أو مواطن عادي قد يظهر بعد قليل كأمير أو جندي قد يرمي إلى قائد، أو قد يلبس الروب الملكي. لذلك يتحول الأشخاص الذين يتقدمون في الفضيلة من مجد إلى مجد (٢ كو ٣: ١٨). إنهم لا يستمرون دائمًا في نفس الشخصية، ولكن قد تضيء شخصية مختلفة أثناء حياتهم، وهذه تعقب الأولى نتيجة لتقدمهم في الخير.

لذلك يتعجب أصدقاء العريس مما يرون. فأولاً يرون العروس جميلة كامرأة، ولكن بعد فترة يمجِّدون جمالها بمقارنته بالذهب المطعم بمسامير من الفضة.

إنهم لا ينتظرون إلى مميزاتها السابقة، ولكن يضفون عليها علوًا في اتسامي. إنهم لا يعظمون فقط ارتفاعها ولكن أيضًا العمق الذي نهضت منه.

هذا هو ما يكوِّن عمق انبهارهم: هي تصعد وحدها وتُقارن بحديقة أشجار، لأنه قد ظهر وكأن عمودًا قد ارتفع (من البرية) ثم أصبح أكبر مما كان.

يستمد هذا العمود وتغذيته ليس من أرض خصبة مروية، ولكن من أرض جافة مقفرة. أين تتثبَّت جذور هذه الأعمدة وكيف تنمو؟ إن الجذور هي مساحيق العطور، المساحيق التي يرويها دخان البخور معطِّرًا هذا البستان بقطرات عطرة. يمتلئ النص بمثل هذا المديح للعروس. تسأل رفيقات العروس بعضهن البعض عن العروس وكأنها ظهرت في شكل متغيّر عما عرفوه من البداءة. يشهد التغير العظيم للعروس إلى الأحسن على تقدمها في الفضيلة، ويُعبر ذلك عن أحد نواحي المديح لها في النص.

قال، من شاهدوا العروس من قبل سوداء بعد مجيئها من الصحراء، أنهم تعجبوا جدًا من التغير الغير عادي، فلقد أصبحت كنبات مُزهر جميل.

كيف أزالت العروس لونها الأسود؟ كيف يلمع وجهها الآن مثل الثلج المتساقط؟ يظهر أن الصحراء هي السبب في هذه الأشياء فهي التي جعلتها تنمو إلى مثل هذا الجمال. أنه ليس بالصدفة وليس بحادثة أنها ارتفعت إلى هذا السمو، ولكنها حصلت على جمالها بمجهودها، الشخصى بالمثابرة والعزم. لذلك عطشت نفس النبي (مز ٤٢: ٢) إلى الينبوع المقدس، لأن جسده كان كصحراء جافه فكان عطشه للينبوع المقدس. يشهد صعود العروس من الصحراء أنها ارتفعت إلى هذا السمو بواسطة عزمها ومثابرتها التي جعلت أصدقاء عريسها يتعجبون. فقالوا عنها أن جمالها متعدد الصوّر ـن ـحد صوّره تعجز عن التعبير عنه تعبيرًا كاملاً. قارنوا أولاً جمالها بالعمدان. فلم تقارن بشجرة واحدة فقط بل بعدد كبير منها، وكأنما فضائلها المختلفة المتعددة يمكن وصفها ببستان.

ثم يُقارن جمال العروس بدخان البخور العطر وليس هذا فقط، ولكن بدخان البخور المخلوط بالمر ومجموعة الأعشاب العطرة، وكأن جمالها لا يمكن أن يُوصف إلا بإتحاد هذه العطور جميعها بوضع المر على أجساد الموتى قبل دفنها،

أما مجموعة الأعشاب المعطرة فهي تُعتبر مقدسة وتوهب كأنها رائحة الله، لذلك يُعتبر مقارنة جمال العروس بخليط هذه العطور مديحًا آخر لها. إن الذي يرغب في تكريس حياته لعبادة الله لا يمكن أن يُعطَّر بمجموعة الأعشاب العطرة المقدسة، إلا إذا تحول هو نفسه إلى مرّ، أي إلا إذا أمات أعضاءه على الأرض (كو ٣: ٥)، بأن يُدفن مع الذي ذاق الموت لأجلنا، وأن يأخذ المر الذي كان على جسد المسيح في القبر لكي يُحنط به أعضاء جسده. ومتى تم إنجاز ذلك فإن كل العطور التي تنتج من ممارسة الفضيلة أثناء الحياة، تُطحن لكي تعطي "المسحوق العطر"، وكل من يستنشقه يصبح معطَّرًا ويمتلأ بروح العطر.

عاين أصدقاء العريس جمال العروسة وجهزوا حجرة العريس النقية وكانوا هم مرافقي الشرف للعرس المقدس، وأشاروا على العروس أن ترى جمال الفراش الملكي، لأنهم أرادوا أن يحفزوا فيها الرغبة في الزواج المقدس النقي. والآتي هو وصف للفراش الملكي للعرس المقدم للعروس من النشيد: "**هوذا تخْتُ سليمان حوله ستون جبارًا من جبابرة إسرائيل. كلهم قابضون سيوفًا ومتعلمون الحرب. كل رجل سيفه على فخذه من هول الليل**" [ع٧-٨]. لم يذكر التاريخ شيئًا عن هذا اللتَخْت، لذلك فقد يتضح معنى الوصف السابق من خلال ما كُتب عن: ممتلكات سليمان العينية، وحكمته وغيرها مما آتي وصفه بالتفصيل في النص (١مل ٧: ٣٨-٥٠)، ولم يُذكر أي شيء غير عادي عن هذا اللتَخْت. ولذلك يجب أن لا نتمسك بالمعنى اللفظي للنص. بل نحوِّل اِنتباهنا من المناظر المادية إلى التفسير الروحي العميق.

من هو الذي زيّن تخت فرحه بواسطة ستون رجلاً مسلحين ومدربين في أعمال الحرب المخيفة؟ ما هي السيوف المثبته على جانبيّ كل رجل، وما هو الرعب الذي يضرب أفكارنا المظلمة؟ (لأن النص يذكر الرعب المخيف الذي ينتج من بعض أنواع الخوف من الظلام ويشير هذا إلى الجنود المسلحين). لذلك يجب أن نختبر هدف هذه الكلمات الروحي حسب ما قدمناه قبلاً. إذن ما معنى هذه الكلمات؟ يحتمل أن يكون في الجمال المقدس المبدع شيء مخيف يجعله مختلفًا عن الجمال الجسدي. لذلك تجذبنا رغباتنا إلى ما هو مُسر للنظر وناعم للّمس، وما هو غير مرتبط بأي شيء مخيف أو مرعب. وعلى الجانب الآخر فإن الجمال الباقي مخيف ومرعب وهو في نفس الوقت لا يخاف.

ولما كانت رغبتنا في الأشياء الجسدية في أعضاء الجسم ترتبط بالانفعالات والتلوث مثل عصابة اللصوص، تهاجم العقل وتأسره وتلغي إرادته، وهكذا تصبح عدوة الله، كما يقول الرسول: "لأن اِهتمام الجسد هو عداوة لله، إذ ليس هو خاضعًا لناموس الله لأنه أيضًا لا يستطيع" (رو ٨: ٧). لذلك ينبع حب الله مما هو مضاد لرغبة الجسد. فإذا كانت الرغبة الجسدية هي الضعف والارتخاء والكسل، فإن حب الله يتكون من قوة مخيفة ومرعبة. إن الغضب الذي لا يلين يُخيف كمين الرغبة الجسدية (من؟؟)، وهكذا يكشف جمال النفس ويظهرها نقية فلا تتلوث بالمتعة الجسدية. لذلك يُحاط تخت الملك للعرس برجال مسلحين متمرنين على المعركة. يخيف منظر السيف على الفخذ ويسبب الرعب ضد الظلام وضد

أفكار الظلام وضد كل ما هو مختفي في الكمين لكي يطلق سهام في الظلام على مستقيمي القلوب (مز ١١: ٢).

تدمر أسلحة الحراس الواقفين حول اللتَخْت الرغبات الغير نقية، كما يظهر من النص: "**كلهم قابضون سيوفًا ومتعلمون الحرب، كل واحد سيفه على فخذه من هول الليل**" [ع٨]. إنهم حقيقة يعرفون كيف يدخلون في الحرب ضد الجسد والدم بالسيوف المثبتة على أفخاذهم. إن الشخص الذي يعرف المبادئ الإلهية وأسرار الكتاب المقدس يفهم ذلك من كلمة "فخذًا" ويعرف أن كلمة السيف ترمز إلى كلمة الله. إن الذي ربط نفسه بهذا السلاح المخيف، أعني بسيف المثابرة والقوة، هو المحبوب الذي يرقد على سريره النقي، هو واحد من "أقوياء إسرائيل" يستحق أن يكون من ضمن الستين. ونحن لا نشك أن هذا الرقم له أهمية روحية، ولكنه يتضح فقط لهؤلاء الذين تكشف لهم نعمة الروح القدس أسراره الخفية. لذلك نقول بالصدق أن الفهم اللفظي للنص يكفي كما في حالة موسى الذي أصدر قانون الفصح. يؤكل اللحم الظاهر ولكن يترك ما يختفي داخل العظم (خر ١٢: ٩). فإذا رغب أحد في النخاع المختفي للنص، لنتركه يبحث عنه عند ذاك الذي يكشف عن الأسرار المختفية لمن هم يستحقون. إلا أننا يجب أن لا نعطي الآنطباع على أننا سنترك النص دون اختبار وتمحيص، وسوف لا نهمل أمر الله، الذي يحفزنا على أن نفتش الكتب (يو ٥: ٣٩).

لذلك دعنا نفهم ماذا يقصد النص من الستين رجلاً مسلحًا. عندما أمر الله موسى أن يستلم إثنتي عشر عصا على حسب عدد أسباط بني إسرائيل، اِزدهرت واحدة منها فقط وكانت هذه أكثر اِستحقاقًا من الآخرين (عد ١٧: ٢). ومرة أخرى، أخذ يشوع بن نون حجارة من نهر الأردن، بعدد أسباط إسرائيل (يش ٤: ٩). لم ترفض واحدة منها لكنها جميعًا حملت شهادة للسر الذي حدث على نهر الأردن.

تشير هذه الكلمات إلى معنى عظيم لأن النص يظهر أن الناس تقدموا نتيجه اتكاملهم في الحق. ففي بدايه حياتهم حسب الوصايا، واحده فقط من العصى التي تمثل الأسباط أنتجت أوراقًا وحملت أزهارًا، بينما رفض الباقي وجفت دون أن تنتج ثمارًا. وعندما مر الوقت وأصبح الناس أكثر دقه ومثابرة على فهم قانون الوصايا تمكنوا من فهمها وقبلوا الختان الثاني الذي أمر به الرب يشوع (يش ٢: ٥-٩). لأن سكاكين الصوان أزالت كل شيء غير نظيف. (سيفهم كل مستمغ متقبل للكلمة ويعني أهميه ما ترمز إليه الصوان والسكين). لقد تدعمت حياة الفضيلة في الناس حسب الوصايا فلم يرفض حجر واحد باسم أحد أسباط الإسرائيليين وحيث أننا نتوقع زيادة السلوك في الخير بتقدم الوقت فحقيقة قد قويت الفضيلة في إسرائيل. ويحكي لنا نشيد الأناشيد الآن أنه لم تؤخذ حجر أو عصا من كل سبط من أسباط إسرائيل، وبدلاً من ذلك حصلنا على خمس محاربين أقوياء متمرنين على المعركه ويحملون سيوفًا ويقفون حول اللتَخْت المقدس. ولم يرفض أي واحد منهم لأن كل سبط اختار خمس محاربين ٥×٢١=٦٠. لذلك فمن الضروري أن يكون عندنا خمس رجال حرب مخيفين من كل سبط مسلحين ليكونوا حراسًا للتخت الملكي. وإذا لم يكن هذا ممكنا لما كان عندنا العدد ستين. كيف نجرؤ أن ندرس

بقيه هذا النص؟ لماذا يقف خمس حراس مسلحين من كل سبط حول اللتَخْت المقدس. كيف يظهر كل واحد من الخمس حراس كمدافع مخيف بالسيف على فخذه؟ هل من المعقول أن يظهر رجل واحد كخمسه محاربين مسلحين؟ إنهم يرمزا إلى الحواس الخمس، لأن كل محارب يظهر سيفه لكي يرهب العدد. يلقي سيف العين دائمًا نظره على الله لكي يرى بصدق ولا يتلوث أبدًا برؤيه أي شيء غير نظيف. ومثل؟؟ يستمع سيف السمع إلى وصايا الله ولا يستقبل أبدًا الكلمة الباطلة. وهكذا يمكننا أيضًا أن نُسلح كل من الذوق، اللمس،الشم بسيف المثابرة والتعقل مغلقًا كل حاسه بالسلاح.

وذلك للدفاع عنا ضد الصدمات والخوف من أعداء الظلمه، لذلك فاليل والظلام هي الوقت التي تحاك فيها المؤامرات ضد أنفسنا. ويقول النبي أنه خلال هذا الوقت تتأهب وحوش الحقل لكي تقتنص بقسوة غذاءها من قطيع الله: "تجعل ظلمه فيصير ليل. فيه يدب كل حيوان الوعر الأشبال تزمجر لتخطف ولتلمس من الله طعامها" (مز).

لذلك تمثل إسرائيل كل المخلصين (لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون (رو ٩: ٦) ولكن هؤلاء الذين ينظرون إلى الله ويحفظون وصاياه هم فقط الذين يحملون هذا الاسم. الرجل الذي ينظر إلى الله لا يعير الخطيئه اِهتمامًا بحواسه "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. فإنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدروا أن تخدموا الله والمال" (مت ٦: ٢٤). لذلك فاللتَخْت الملكي الواحد هو لجميع المُخلَّصين. فإذا رأى القلب النقي الله فإنه يُسمى إسرائيل بِاستحقاق، ويُسمى بهذا الاسم روحيًا الأسباط الإثنى عشر. التي جُمعت بروعة في العدد ستين. يوجد خط واحد للمعركة وجيش واحد وتخت واحد، أي أنه توجد كنيسة واحدة وشعب واحد الذي سيصبح عروس واحدة، متحدة في انسجام في شركة جسد واحد تحت إمرة قائد واحد وزعيم واحد، العريس الواحد.

وعلى الجانب الآخر، يرمز اللتَخْت إلى الراحة للمُخلَّصين. نحن نعلم من الله الذي يقول لمن يقرع بدون خجل على الباب خلال الليل: "فيجيب ذلك من داخل ويقول لا تزعجني. الباب مغلق الآن وأولادي معي في الفراش. لا أقدر أن أقوم وأعطيك" (لو ١١: ٧). حقًا هل يطلق كلمة "أولادي" على هؤلاء الذين وصلوا إلى مرحلة من النمو خالية من الانفعال بواسطة أسلحة العدالة. يُعلمنا هذا المثال أن الخير الذي نصل إليه بمجهودنا ومثابرتنا وليس إلا الخير المغروس في طبيعتنا منذ البدء.

عندما يربط الشخص سيفه على فخذه، يعني أنه وهب حياته للفضيلة، ورفض الانفعال يصبح إيبيا لا يضطرب بالانفعالات، لأن مرحلة الطفولة المبكرة لا تتأثر بالانفعالات، لذلك نتعلم أن المحاربين حول اللتَخْت الملكي والأطفال فقى اللتَخْت لهم نفس المعنى، فكلاهما غير خاضعين(خاضعان) للانفعالات. فالأطفال لم يجرِّبوا بعد الانفعالات، بينما المحاربين قد تغلبوا عليها وأزاحوها بعيدًا عنهم. فلم يعرف الأطفال الانفعالات بينما المحاربون قد رجعوا إلى حالتهم الأولى بتحولهم إلى أطفال بعد خُلوّهم من الانفعالات. وقد توجد النعمة في كل من الثلاثة:

الأطفال والمحاربون والإسرائيليين.

وكإسرائيلي يتمكن من رؤية الله بقلبه النقي، وكمحارب يحرس تَخْت الملك، أي يحرس قلبه، في حالة خالية من الانفعال وفي نقاء، وكطفل، يستريح على أريكة النعمة في المسيح يسوع ربنا له المجد الآن وإلى الأبد آمين.

العظة السابعة

يُعتبر الملك سليمان نموذج للملك الحقيقي في كثير من النواحي. ويتكلم الكتاب المقدس عنه مشيرًا إلى أعماله الحنة في كثير من النواحي. ويعني اسم سليمان "السلام" وهو الذي بنى المعبد وكانت حكمته عظيمة لا تقاس، وحَكم إسرائيل وكان عادلاً بين الناس وهو من نسل داود، وزارته ملكة أثيوبيا. تشير هذه وأمثلة أخرى مشابهة رمزيًا إلى سليمان، وتصوَّر مقدمًا قوّة الإنجيل ومَنْ عنده السلام؛ الذي حطم العدو، وسمره على الصليب، ونحن كنا أعداؤه غير أنه، صالح كل العالم لنفسه، "جعل البعير قريبين بدمه، ولأنه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدًا، ونقض حائط السياج المتوسط، أي العداوة مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا صانعًا سلامًا" (أف ٢: ١٣-١٥).

من هو باني المعبد، الذي وضع أساساته على الجبل المقدس، أي على الأنبياء والرسل؟ هو بناه كما يقول الرسول (أف ٢: ٢٠) على أساس الرسل والأنبياء، وهم أحجاره الحية. وينسجم محيط الحجارة الدائري مع الجدران حسب ما يقوله النبي ذكريا (زك ٩: ١٦). وتوضع بترتيب خاص يجعلها وحدة كوحدة الإيمان وبنموهم في رابطة السلام قد يكوِّنوا معبدًا مقدسًا، مسكنًا للرب في الروح. يشير سليمان في حكمته إلى الحكمة الحقيقية ولا يعارض أي شخص يدرس التاريخ والحق هذه حقيقة. يشهد التاريخ أن سليمان فاق حدود الحكمة البشرية. حيث حفظ المعرفة لكل الأشياء في قلبه. فسبق جميع من عاشوا قبله ولم يماثله أي واحد ممن عاشوا بعده. إلا أن الله هو أصل القوة والحق والحكمة ويقول داود: "ما أعظم أعمالك يا رب. كلها بحكمة صُنعت" (مز ١٠٤: ٢٤). ويفسر الرسول المزمور السابق قائلاً: "الكل به وله قد خُلق" (كو ١: ١٦) أي أنها خلقت من خلال حكمة الله.

شهد أعداء الرب يسوع المسيح أنه هو الملك، ملك إسرائيل، حيث كتبوا فوق رأسه على الصليب "هذا هو يسوع ملك اليهود" (مت ٢٧: ٢٧). ونحن نقبل هذه الشهادة حتى ولو يُفهم منها أنها تُضعف شمول قوته وتحدّ من ألوهيته على الإسرائيليين. يحمل العنوان المكتوب على الصليب شهادة بألوهية المسيح، ليس على اليهود فقط، بل على جميع الناس. هو ملك على كل الأرض ويحكم على كل أجزائها.

يشير حب سليمان وحماسه المتدفق نحو الحق والعدل إلى العدل الحقيقي لكل الأرض: "لأن الآب لا يدين أحدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو ٥: ٢٢)، ثم "أنا لا أقدر أن أعمل من نفسي شيئًا. كما أسمع أدين ودينونتي عادلة، لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني" (يو ٥: ٣٠). هذا أدق تعبير للإدانة (للحساب): فلا يخضع في حكمته لفكرة طارئة أو خيالية ولا لميول عاطفية، ولكن يسمع أولاً لمن سيحاكمون ثم يحكم. وإلا سوف لا تكون لقوة الله تأثيرها، لأن الحق لا يسمح بالظلم أو بتغيير مسار المحاكمة نحو العدل. لقد أنبأ سليمان عن

المسيح الذي جاء من نسل داود حسب الجسد كما أشار الكتاب بذلك (رو ٩: ٥).

زارت ملكة أثيوبيا سليمان بعد ما سمعت عن حكمته، وقدمت له هدايا من الذهب والأحجار الكريمة والعطور (١ مل ١٠: ١-٣)، ويتضح سرّ هذه الزيارة من دراسة عجائب الإنجيل. لأنه من لا يعرف أن الكنيسة جاءت من مجتمع الظلمة بين الأمم عابدي الأصنام، الذين عاشوا بعيدًا عن معرفة الله وكانوا منفصلين عنه بخليج الجهل العظيم. ولكن عندما **أضاءت نعمة الله** وحكمته، وأرسل النور الحقيقي أشعته إلى من كانوا في الظلمة وظلال الموت. أغمضت إسرائيل عيونها للنور، ورفضت أية مشاركة في الخير. لكن الأثيوبيين أسرعوا إلى الإيمان من بين الأمم، والذين كانوا بعيدون اقتربوا بعدما غسلوا أنفسهم من الظلمة بالمياه المقدسة. لقد اقتادهم الروح القدس إلى الله وقدموا هدايا للملك: بخور النسك والعبادة وذهبًا لمعرفة الله الملك وأحجارًا كريمة للوصايا وعمل الفضيلة.

سأبتدئ الآن بفحص كلمات النشيد كالآتي: **"الملك سليمان عمل لنفسه تختًا من خشب لبنان. عمل أعمدته فضة وروافده ذهبًا ومقعده أرجوانًا ووسطه مرصوفًا محبة من بنات أورشليم"** [ع٩-١٠]. كما توقع سليمان سرّ الله فإنه يُظهر اِهتمامه بنا عندما يقودنا في العربة التي تجرها الخيول: يظهر الله في قديسيه بطرق عديدة على حسب مقدرة كل واحد منهم واِستحقاقه. ويمكن اِعتبار مكان معين أنه لله: فأحد الأشخاص يكون منزلاً، وشخص آخر عرشًا، وثالث كرسيًا للقدم. لنجعل شخصًا عربة تجرها الخيول أو حصانًا ممتازًا مدربًا لكي يستقبل هذا الراكب (الله). وبينما هو يكمل طريقه يقوده الله أثناء سيره إلى الأمام.

نعرف الآن شيئًا عن العربة التي تجرها الخيول، والمصنوعة حسب حكمة سليمان من خشب لبنان، ومزينة بدقة في كل أجزائها بالذهب والفضة والأرجوان والأحجار الكريمة وحب الصانع. لا يتمكن أن يصل كل واحد إلى المقدرة على الحب، إلاّ إذا عرف(ما تشكيلها؟؟) في حياته على أنه إحدى بنات أورشليم اللآتي ذُكرن سابقًا، وهم أحرار. يتضح مما سقناه سابقًا أن الشخص الذي يسكن فيه الله، هو أريكة يجلس عليها الله. ومثل هذا الشخص لا يعيش لنفسه بعد ذلك، بل المسيح يعيش فيه، ويعطي برهانًا أن المسيح يتكلم من خلاله، حسب قول الرسول الطاهر بولس (٢ كو ١٣: ٣). فيسمى هذ ا الشخص بجدار أريكة مولودة من المسيح ويحملها المسيح.

ولكن ذلك ليس موضوع دراستنا، ولكن مهمتنا هي المثابرة في فحص المواد التي ذُكرت، وكيفية تجميع الخشب مع الذهب والفضة والأرجوان والحجارة الكريمة لكي نبني العربة التي تجرها الخيول. فحتى بولس المهندس الحكيم يضع الخشب مع العشب والبوص على أنها عديمة القيمة في بناء البيت (١كو ٣: ١٢)، لأنها تفنى بقوة النار المدمرة التي تختبر المواد. نحن نعلم أن الخشب لا يحتمل ولكن قد يتغير إلى الذهب، فضة أو أي شيء آخر ذات قيمة ويقول القديس بولس: "ولكن في بيت كبير ليس آنية من ذهب وفضة فقط بل من خشب وخزف أيضًا، وتلك للكرامة وذلك للهوان" (٢ تي ٢: ٢٠). تُشير الآنية الذهبية والفضية إلى

الخليقة الغير جسدية الروحية بينما ترمز الآنية الخشبية والخزفية إلى ما أنتجه العصيان من آنية طينية، فالخطية أدت إلى خلقنا من آنية خشبية بدلاً من آنية ذهبية. يتحدد الغرض من استعمال الآنية تبعًا لقيمة المادة المصنوعة منها، فبينما تُستعمل الأواني المصنوعة من مواد ذات قيمة غالية وأغراض سامية، توضع المصنوعة من مواد رخيصة جانبًا للأغراض العادية. ولكن ماذا يقول بولس عن هذه الأمور؟ تملك الأواني القدرة حسب إرادتها الحرة على أن من الخشب إلى الذهب ومن طين إلى فضة. "فإن طهّر أحد نفسه من هذه يكون إناء للكرامة مقدسًا نافعًا للسيد مستعدًا لكل عمل صالح" (٢ تي ٢: ٢١). تساعدنا هذه الكلمات على اكتساب القدرة على فهم الكتاب المقدس.

يُشير جبل لبنان في مواضع كثيرة من الكتاب المقدس إلى قوة عدوانية، كما يقول النبي "صوت الرب مُكسِّر الأرز، ويكسر الرب أرز لبنان. ويمرحها مثل عجل لبنان، وسريون مثل فريز البقر الوحشي" (مز ٢٩: ٥-٦). كسَّر موسى تمثال العجل الذهبي إلى أجزاء صغيرة في البرية وأصبحت المياه صالحة للشرب للإسرائيليين بعد أن تحطم التمثال إلى قطع صغيرة (خر ٣٢: ٢٠). يتضح، كما يقول النبي أن الشرور لا تنتج فقط بواسطة قوة العدو، فهذه بسيطة إذا قورنت بجذور الشر الأولية، جبل لبنان، التي تغذي خشب أشجار الأرز. ففي وقت من الأوقات كنا جميعًا مثل أشجار أرز لبنان لأن جذورنا كانت مرتبطة بها حياة الشر وخداع الوثنية. ولكن بعد أن انفصلنا منها بواسطة البلطة الروحية وأصبحنا في أيادي الخالق المبدع شكلنا الله على هيئة أريكة. وحوَّل الخشب الذي قد كنا مصنوعين منه بواسطة الميلاد الجديد إلى فضة وذهب، وأرجوان وأحجار كريمة لامعة. لذلك يقول الرسول: "قسم الله لكل واحد مقدار من الإيمان" (رو ١٢: ٣). وتعطي الروح القدس قدرة التبوء بنسبة ما عنده من الإيمان، ولشخص آخر تمنحه شيئًا آخر حسب طبيعته وقدرته على اِستقبال النعمة كعين لجسم الكنيسة، أو يد أو كدعامة بدلاً من القدم. لذلك فيوجد في تركيب العربة التي تجرها الخيول، شخص يمثل عامودًا، وآخر درجة سلم، وثالث وسادة لراحة الرأس، بينما آخرون مكلفون بما في داخل الأريكة.

لم يقصد المهندس أن كل العناصر التي تستخدم في التجميل تخدم غرض واحد، ولكن كل الأجزاء تُزيّن حسب الذوق بحيث يكون جمال كل جزء مختلف عن الأجزاء الأخرى، ولكن في انسجام. لذلك تُصنع أعمدة الأريكة من فضة وقاعدتها بنفسجية بينما الرأس من ذهب. وعليها يسند العريس رأسه. أما داخل الأريكة فمزين بأحجار كريمة. لذلك تُفهم الأعمدة على أنها تتبع الكنيسة ويتكلم النشيد عن الأعمدة على أنها نقية وأن الذهب المصنوعة منه عولج بالنار لتنقيته، وأنها ارتفعت إلى علو المملكة. (إن ألفة؟؟ المميزة للمملكة هو الأرجوان). والعنصر الرئيسي حيث يسند من صنع الأريكة رأسه، هو ذهب التعاليم النقية. أما الأجزاء المخفية والغير ظاهرة فتزيّن بضمير نقي من أحجار كريمة، التي يرتبها مع بعضها الحب بواسطة بنات أورشليم. وتتطابق هذه الأريكة مع الكنيسة التي على الأرض ويمكن تقسيم أجزاءها بين أشخاص حسب وظائفهم المختلفة. كما قلنا سابقًا أن أجزاء

العربة التي تجرها الخيول يمكن مقابلتها إلى كل نظام بالكنيسة. (لذلك يقول الرسول: "فوضَع الله أُناسًا في الكنيسة أولاً رسلاً ثانيًا أنبياء ثالثًا معلمين ثم قوَّات وبعد ذلك مواهب شفاء أعوانًا تدابير وأنواع ألسنة" (١ كو ١٢: ٢٨).

إن أسماء هذه الأجزاء التي تدخل في تركيب الأريكة ترمز إلى القسوس والمعلمين وحالة الطهارة والنقاء والبكورية التي تستحق الاحترام، والتي تشع بنور الأحجار الكريمة بداخل الأريكة بواسطة نقاء الفضائل.

يكفي هذا لوصف الأريكة ويحتوي ما يلي من النص على تشجيع العروس لبنات وشليم. لقد قدم بولس العظيم نفسه للإدانة إذا لم يشارك في عمل كل الخير. لذلك يقول للشعب: "كونوا متمثلين بي كما أنا أيضًا بالمسيح" (١ كو ١١: ١). لذلك فالعروس المحبة أصبحت مستحقة للأسرار المقدسة التي لعريسها. وعندما رأت السرير أي تَخْت الملك صرخت إلى رفيقاتها - اللآتي قد يمثلن أنفس المخلصين - إلى متى تمكثن محبوسين في كهف هذه الحياة؟ اِذهبن خارج ستارة (حاجز) الطبيعة البشرية لكي تروا الملك الذي وضعته له أمه حسب قول النبي: "لأنَّك تتقدمه ببركات خير. وضعت على رأسه تاجًا من إبريز" (مز ٢١: ٣).

لا يمكن لأي شخص أن يفهم بالكامل التعبيرات التي تخص الله، مثلاً كلمة "أم" تُذكر في النشيد بدلاً من كلمة "الأب" وكلاهما لهما معنى واحدًا، لأنه لا يوجد مذكر أو مؤنث لكلمة الله - لأنه لا يمكن لأي شيء مؤقت مثل هذا أن يُنسب لله - ولكن عندما نكون واحدًا في المسيح فنحن نبتعد عن علامات هذا الاختلاف الذي للإنسان العتيق، لذلك يشير كل اسم إلى طبيعة الله التي لا يمكن التعبير عنها، لا ذكر ولا أنثى يمكن أن تفسد طبيعة الله النقية. لأجل هذا قال السيد المسيح مثل تشبيه ملكوت السموات بالمَلك الذي صنع عرسًا لابنه وأرسل عبيده ليدعوا المدعويين إلى العرس، فلم يريدوا أن يأتوا (مت ٢٢: ٢). ويقول النبي عن الله "لأنك تتقدمه ببركات خير. وضعت على رأسه تاجًا من إبريز" (مز ٢١: ٣). لذلك يقول النشيد أن تاجًا وُضع على رأس العريس بواسطة أمه. بما أن العروس والعريس واحدًا، أم واحدة وضعت التاج على رأس العريس. لا يوجد اختلاف كبير إذا سمينا ابن الله الابن الوحيد أو ابنه المحبوب. حسب رأي بولس أن كل اسم له القدرة على أن يكون من مرافقي الشرف للعروس والذي يؤدي إلى أن يسكن العريس فينا. "اذهبن إذن" قالت العروس لرفيقاتها "وأصبحن بنات صهيون من القمة العليا (لأن كلمة صهيون تعني القمة العليا) وستتمكنّ من رؤية هذا المنظر الرائع، وهو عريس مُزيّن بتاجه". وتاجه هو الكنيسة محوطة رأسه بأحجار حيه، الحب هو الشريط الذي يّزيّن هذا التاج، لأنه لايُخطئ من يُسميه "أم" أو "حب" الله محبة كما يقول القديس يوحنا (١يوحنا ٤:٨).

تقول العروس أن عريسها يفرح ويبتهج بتاج العرس المزين، لأن العريس يفرح عندما يأخذ الكنيسة كمسكن له متوّج بفضيلة أعضائها المميّزين. قد يكون من المفضل أن نطبق هذه الكلمات المقدسة على النحو الآتي: " أخرجن يا بنات صهيون وأنظرن الملك سليمان بالتاج الذي توجه به أمه في يوم عرسه وفي يوم فرح قلبه" (نش ٣:١١). لذلك اِستقبل كلمة الله حب عروسه، لأنها كلآب ترغب أن

كل الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تي٢:٤). أعلان جمالها يبدو أكثر قداسة وأكد عليه النشيد بوضوح لأن مدح جمال العروس لايرتبط بها فقط ولكن يشمل جميع الأعضاء. لذلك يقول النشيد: "هاأنت جميلة يا حبيبتي هاأنت جميلة " (نشيد ١:٤). لأن العروس قلدت حب الله لجميع البشر، وأمرت شابة صغيرة لكي تخرج خارجا مثل إبراهيم- كل شابة من موطنها وعائلتها بحسب الحواس - حتى ترى العريس الطاهر متوجًا مع الكنيسة. أصبحت العروس بحق رفيقة لجمال الله لأنها اقتربت من الله من خلال الحب. لذلك يقول لها النص أنت جميلة بقربك من الجمال بأرادتك النبيلة. يوضح تكرار المديح هنا صدق شهادة العريس. لأنه حسبل الوصية المقدسة شهادة شخصيين تُؤكد الحق. لذلك يقول النشيد: "ها أنت جميلة يا حبيبتي. هاأنت جميلة "

الكنيسة التي على الأرض هي جسد للمسيح الواحد (١كو ١٢:١٢-٢٧)، إلا أنه يوجد أعضاء كثيرين في هذا الجسد الواحد. ولكل واحد وظيفته، إذ خلق الله شخصًا لكي يكون عيون الجسد وآخر الأذنين. والبعض يقوم بعمل اليدين وآخرين ليحملوا ما تحمله الأقدام. أما قدرات الذوق والشم والحواس الأخرى بالجسم فتوجد في جميع أعضاء جسم الكنيسة على وجه العموم: الشفاه، الأسنان، اللسان، الصدور، المعدة، والبلعوم. كما يقول بولس: "وأعضاء الجسد التي تحسب أنها بلا كرامة يعطيها كرامة أفضل. والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل" (١كو ١٢:٢٣). لذلك يمدح من يتعرف على الجمال كل من يتميز به من أعضاء جسم الكني

يجب الآن أن نتناول بالبحث المديح الذي يُخصص للأطراف. ما هو أكثر قيمة وشرفًا من العيون في أعضاء جسمنا؟ فمن خلالها نستقبل النور، وبواسطتها نتعرف على الأصدقاء والأعداء، ونميّز بين ما هو لنا وما يخص الآخرين. والعيون هي المدربين والمعلمين لكل غرض كما أنها تعمل كمساعدين عطوفين لا يمكن الأستغناء عنهم لرحلة آمنه في الحياة. كما أن موضعها فوق أعضاء الحس الأخرين يوضح دورها الأكثر سموا في حياتنا أنه واضح لمستمعى لأي طرف من أطراف الكنيسة يُوجد هذا المديح للعيون: كانت عين صموئيل حارسة ومراقبة (ولذلك سُمى بالمراقب)، رتب الله عين حزقيال لكي تحرس سلامة كل من آمنوا به. وكلف الله عين ميخا الحارسة وعين موسى الفاحصة التي سميت "الله" لكي تقود الشعب إلى الفضيلة. لذلك أطلق عليهم اسم الرجال أصحاب الرؤية. ولذلك يصح تسميتهم "عيون" لكي يُنفذوا هذه الوظيفة في جسد الكنيسة إذا وجهوا نظرهم مباشرة إلى الشمس البر (ملاخى٤:٢)، ولم يصبحوا عميانا بأعمال الظلمة. فإذا تفهموا الفرق بين ما يخصهم والعناصر الغريبة عنهم وعلموا أن كل شيء مرتبط بطبيعتنا هو ظاهرى ومؤقت بينما ما يُقدم لنا خلال الرجاء يثبت إلى الأبد.

وتعمل عيوننا على التمييز الصديق من العدو حتى نحب الصديق الحقيقي بكل قلوبنا ونفوسنا وقوتنا (تث ٦:٥) ونظهر كراهيتنا إلى أعدائنا. ولكن تقودنا العين أيضًا في نشاطنا، بحفظ أعماله صحيحة، وتكون كقائد في رحلتنا إلى الله. إن وظيفة العين النقية السليمة روحيا، مثل العين الجسمية، تظهر بوضوح إلى الأعضاء الآخرين بواسطة سموّها في الحياة. من أجل هذا يبتدئ النص (النشيد)

في مدح جمال العروس بقوله "عيناك حمامتان" (نش ٤:١). يتعرف العريس على بساطة ونقاء الأشخاص في الحياة برؤية نقاء عيونهم من الشر وسماهم "حمامتان" لأن النقاء صفة للحمام بينما يمدح النشيد عيونه.

عندما تنفذ صوّر الأجسام الحقيقية من خلال نقاء إنسان العين فإن يؤدي إلى رؤية هذه الأجسام، أي أن الشكل يطبع نفسه على العين مثل المرآة "عندما يملك الشخص قوة الإبصار هذه في الكنيسة، فإنه لا يرى أبدًا ما هو مادي أو جسدي لأن الحياة الروحية الغير مادية تمتلك مشاعره، وتتشكل حياته بواسطة نعمة الروح القدس. لذلك فإن أحسن مدح توصف به العيون عندما تتوافق حياتهم مع نعمة الروح القدس، لأن الروح القدس هو الحمامة، فمدح كلا العينين ينطبق على الشخص كله ظاهريًا وروحيًا. ويضيف العريس مدحًا عظيمًا آخر: "**غير أنك ساكتة**" [ع١]. تتضح الحياة الطيبة ظاهريًا لكل واحد، أما ما هو مخفي أو سرِّي فعلمه عند الله فقط. يتضح للشخص الذي ينظر إلى الغير مخلوق، ويبحث فيما هو مخفي أن السكوت يستحق الثناء أكثر من أي شيء خارجي. يقول النص "عيناك حمامتان غير أنك ساكتة" امتدح جمال العروس الخارجي بالاندهاش منه دون كلام.

يتلو ذلك مدح جمال العروس: "**شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد**" [ع١]. من المناسب أولاً أن نبحث طبيعة الشِعر حتى نتمكن من فهم المدح الذي أضفي على العروس في هذا المجال. يقول بولس: "وأما المرأة إن كانت ترخي شعرها فهو مجد لها، لأن الشعر قد أُعطيَ لها عِوض بُرقع" (١ كو ١١: ١٥). أي أن الاحترام والتواضع قد يُصبحا كبرقع للمرأة. ويقول بولس أيضًا: "كذلك النساء يُزيِّن ذواتهن بلباس الحشمة مع ورع وتعقل لا بضفائر أو ذهب أو لآلئ أو ملابس كثيرة الثمن" (١ تي ٢: ٩). الاحترام والتواضع (أي الشعر) الذي يلزم لقداسة الله. إذًا لم يكن للنفس شعر فرأسها يكون مجالاً للعار، كما يقول الرسول.

إذا كان الرسول يُعلم هذه الأشياء عن الشعر، فقد تطبق أفكاره لمدح الكنيسة. يقول النشيد "شعرك كقطيع معز على جبل جلعاد" يقدم النص طريقة ممتازة للحياة هنا، ولكنه يُضيف أن الشعر خال تمامًا من الإحساس الحي. ولا تزيد هذه الفقرة في مدح العروس لأن الشعر ينقصه الإحساس باللذة والألم. يشعر الشعر النامي من الجسم بالألم إذا جُذب بشدة لإخراجه من جذوره، ولكنه لا يحس إذا قُص أو جُعد بالحرارة أو صُفف باحتراس. إن عدم الإحساس هو علامة على الموت. لذلك، فالشخص الذي لا يشعر بقيمة هذه الدنيا لا ينتفخ بالمجد أو الشرف ولا يحزن بالإصابة أو الفضيحة، ولكنه يحمي نفسه عندما يُجابه بأي من هؤلاء الخصوم. هذا هو المديح النبيل لشعر العروس. يُظهر نفسه أنه ميت تمامًا ولا يتحرك بأي شيء في هذه الدنيا في أي ظرف من الظروف.

يُقارن الشعر الكثيف بقطيع المعز الذي يظهر من جلعاد. هذه فقرة غير واضحة ويجب أن لا نتركها دون تفسير. نحن نظن أنه كما عمل الملك سريرًا لنفسه بواسطة تغيير أشجار لبنان إلى ذهب وفضة وأرجوان وأحجار كريمة فإن الراعي الصالح لقطيع المعز يعرف كيف يُغيّر القطيع على جبل جلعاد ويكتشف

اسم هذا الجبل المعجزة الخاصة بالأمم. فهؤلاء الذين يتبعون الراعي الصالح من الأمم يأخذون نصيبًا في جمال شعر العروس الذي يشير إلى الطهارة والتواضع والامتناع عن الأكل والشراب والملذات والتحكم في شهوات الجسد. وقد يرتبط إيليا بدراستنا عن المعز عندما مارس حياة نكران الملذات والتأمل لمدة طويلة على جبل جلعاد. عاش إيليا حياة التقشف والزهد بطريقة مدهشة ولبس عباءة من شعر المعز بدلاً من جلباب ناعم من جلد المعز. لذلك فالأشخاص الذين يأخذون النبي لهم مثالاً في حياتهم يُصبحون زينة للكنيسة متمسكين بطريقة فلسفية في حياتهم. إنهم يتجمعون في قطعان لكي يسلكوا حسب الفضيلة. إن رؤية هذه القطعان من جلعاد تزيد مدحهم لأنهم تغيَّروا من أسلوب الأمم إلى حياة فلسفية نسبة إلى الله. لم ينصح جبل صهيون الطاهر بممارسة مثل هذا النوع من الحياة ولكن الأمم ولو أنهم كانوا مكرسين للأصنام فقد تأقلموا عليها لكي يزينوا رأس العروس بفضيلتها السامية.

يضع النشيد أمامنا أسنان العروس مع ذكر جمال فمها وشفتيها وتستحق هذه الحقيقة دراستها. لماذا يمدح أسنانها قبل شفتيها؟ قد يكون السبب أنه عندما يشير إلى شكل الأسنان التي تظهر في الفم عند الابتسام ولكني أنظر إليها من ناحية أخرى، وهي أنه يمكن أن نمدح جمال الأسنان دون ذكر الفم. ولقد مدح العريس شفتيّ العروس بقوله: "شفتاك كسِلكة من القرمز وفمك حلو".

ماذا نفهم من ذلك؟ أحسن طريقة هي أن نتعلم أولاً ثم نتكلم. قال أفلاطون إن التعليم هو غذاء الروح ولا يحيد عن الحق. ويشبه في ذلك الغذاء المادي الذي يُطحن في الفم إلى أجزاء صغيرة قبل أن يصل إلى المعدة، وللنفس أيضًا القدرة على تجزئة التعاليم حتى يمكن فهمها. ويقارن النشيد الأسنان رمزيًا بالمدرسين الذين يوضِّحون ويقسمون المعلومات حتى نتمكن من فهمها. لهذا السبب يُضفي المدح جمالاً على الأسنان إذا اِرتبط معها جمال الشفتين، فلا تتمكن الشفتان من أن تُظهر جمالها في المديح بدون أن تضفي الأسنان جمالاً عليها أثناء الكلام. وسوف نفحص جمال الأسنان بالمديح الذي يتبع في الفقرة التالية.

والآن نفحص الجمال الذي يظهر في أسنان غنم الجزائر: "أسنانك كقطيع الجزائر الصادرة من الغسل، اللواتي كل واحدة متمِّم وليس فيهن عقم" [ع٢]. إذا تأملنا في المعنى اللفظي لهذه الآية لا نفهم كيف يقارن الأسنان بالأغنام المولودة. تُمدح الأسنان لترتيبها ووضعها على اللثة. كان القطيع منتشرًا في الوادي والآن تجمع القطيع للاستحمام. أنها تصف جمال أسنان العروس ولكننا لا نفهم بسهولة كيف يكون ذلك. تصطف أسنانها في صفوف بينما القطيع مبعثرًا يبحث عن المرعى. ولكن لا يُقارن حيوان يكسو جسمه الصوف كالغنم وأسنانها مُعرَّاه أن نبحث كيف ينسجم جمال الأسنان مع قطيع الغنم الذي تم غسل صوفه وقصه وتَحمِل إناثه توائم.

ماذا يمكن فهمه من هذه الكلمات؟ والأشخاص الذين يُجزئون الأسرار الإلهية إلى أجزاء صغيرة حتى يمكن فهم النص يصنعون غذاءً روحيًا مقبولاً لجسد الكنيسة. إنهم يقومون بعمل الأسنان في اِستقبال خبز النص الكثيف السميك في

الفم، ويجعلون كذاقه مقبولاً بواسطة التأمل والتفكير العميق فيه. يمكن فهم هذه الكلمات بالأمثلة الآتية: يقدم لنا القديس المبارك بولس ببساطة وبدون تعقيد جزء من الشريعة "لأنه مكتوب في ناموس موسى لا تَكُمّ ثورًا دارسًا" (١كو ٩:٩). ثم يعدل بولس معنى القانون لكي يجعله مقبولاً: "ألعل الله تهمُّه الثيران، أم يقول مُطلقًا من أجلنا. أنه من أجلنا مكتوب" (١ كو ٩:١٠-١٠). وأيضًا: "فإنه مكتوب أنه كان لإبراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة" (غلا ٤: ٢٢). هذا الخبز ليس جاهزًا لنا. ولكن كيف نقسمه إلى أجزاء صغيرة لكي نأكله؟ أنه ينقل القصة إلى العهدين، "لكن الذي من الجارية وُلد حسب الجسد ولكن الذي من الحرة فبالموعد" (غلا ٤: ٢٣)، لذلك فلقد فسر بولس القانون بتخفيف كثافته إلى قطع صغيرة وجعله روحيًا بواسطة التفكير العميق. "فإننا نعلم أن الناموس روحي" (رو ٧: ١٤). نفهم من كلام بولس حاجة الكنيسة إلى الأسنان لكي توضح تعاليمها بواسطة تجزئتها إلى أجزاء صغيرة. نحن نقول هذا متمثلين ببولس الذي يوضح لنا أسرار الكتاب المقدس. لذلك تجعل أسنان الكنيسة عشب الكلمات المقدسة الخام مجهزًا بسيطًا وخفيفًا لأجلنا. ويصف القديس بولس حياة الذين يتوقون إلى المركز السامي للأسقفية (١ تي ٣: ١-٧). ويتكلم عن الصفات التي ينبغي أن يتصف بها الأسقف. تشمل نعمة التعليم مع بقية المواهب. لذلك يرغب النشيد في الذين يودون أن يخدموا الكنيسة أن تكون أسنانهم عارية من أي حمل مادي. وعندما يُصبح ضميرهم نظيفًا من أي تلوث جسمي أو روحي، فإنهم يرتفعون باستمرار ويتقدمون ولا يتراجعون مرة أخرى إلى الأعماق التي أتوا فيها. ثم يُقدمون على إنهم يحملون توائم من الخير، أي إنهم يتصفون بكل فضيلة ويثمرون في كل الأعمال الحسنة. ويرمز حمل التوائم إلى سمعتنا الحسنة حتى نكون مثل هذه الأسنان التي تحمل التوائم، والتي تُقدم ضبطه النفس، والنبل في حياتنا.

يضف النص مدح مناسب لشفتيّ العروس بمقارنة جمالها "كسِلكة من القرمز" ويؤدي تفسيره إلى زينة حديثها الطلي. لقد تكلمنا على هذه الفقرة عندما ذكرنا أن جمال الشفتين تزينه ترتيب الأسنان، لأن فم الكنيسة يتكلم من خلال الأسنان. لذلك فالأسنان أولاً عارية ومغسولة ليست عقيمة وتحمل توائم، ثم تتزين شفتيّ العروس باللون القرمزي، بينما يوجد للكنيسة شفة واحدة وصوت واحد في اِنسجام مع الخير. يشمل جمال العروس ناحيتين: شفتا العروس تشبه سلكًا رفيعًا، وأيضًا لها لون الزهرة الجميل. وكلا الصفتان السلك الرفيع واللون القرمزي يحتفظان بجمالهما ووظيفتهما عند يُزينان فم الكنيسة. ويعلمنا مثال السلك أو الخيط الرفيع أن نكون على فكر واحد أي حبل واحد مكوَّن من خيوط عديدة. ويذكرنا اللون القرمزي بالدم الذي خلصنا، وأن نعترف دائمًا بأفواهنا بأن الدم هو الذي فدانا. تملأ الجاذبية شفاة الكنيسة عندما ينير إيمان اعترافنا ويمتزج إيماننا بالحب.

نقدم الملاحظات الآتية لكي يزداد فهمنا للتشبيه السابق فالإيمان هو السلك القرمزي الذي يتكون من الحب لأن اللون القرمزي يرمز إلى الإيمان ويُفسر السلك بالحب. يشهد الحق بأن شفتيّ العروس تتزينان بهذان العنصران. ولا تحتاج

شفتيها الجميلتان شرحًا إضافيًا لأن الرسول أوضح ما يرمزان إليه بقوهل أن هذا الكلام هو ما نعلنه عن الإيمان: "لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصت. لأن القلب يؤمن به للبرّ والفم يعترف به للخلاص" (روم ١: ٩-١٠). هذا هو الكلام البديع الذي يُزيّن الشفاه الكنيسة بالسلك القرمزي.

يفرح العريس بجمال فم عروسه واِحمرار خديها. ويُطلق على هذا الجزء من الوجه بالتفاحة نظرًا للتشابه لذلك، يقارن العريس تفاحة خدود العروس بقشرة الرمانة كالآتي: "**خدك كفلقلة رمانة تحت نقابك**" [ع٤]. يمكن فهم مدح تواضع العروس بسهولة من سياق النص. أصاغ الفضائل على كل عضو بواسطة وصف جمال الوجه ثم يمدح فضيلة المثابرة بواسطة اللون الأحمر الذي يعلو وجه العروس ويزّينها مثل الرمان. هذه الفاكهة تشبه الكعكة وجلدها رقيق لذلك فعمل المثابرة يشارك التفكير العميق، وكما يغذي ويحمي جلد ثمرة الرمان، الذي يشبه الجزء الخارجي من الكعكة المذاق الحلو لما بداخله، لأنه يحيطها تمامًا، لذلك فهو حارس خشن ومنضبط من أجل المثابرة. لذلك فمدح هذه الفضيلة له وجهان: المظهر الخارجي لحياة منضبطة مرتبة، وعمل صادق للنفس خال من الانفعال، كما يقول الرسول: "وختان القلب بالروح لا بالكتاب هو الختان الذي مدحه ليس من الناس بل من الله" (رو ٢: ٢٩). ينير التواضع هؤلاء الناس ويكسب سلوكهم الخارجي مديح الآخرين، ولكن بعيدًا عن كونك ساكنة "تحت نقابك" [ع١] فإن العجب المختفي تراه عين الله الوحيدة التي ترى الأشياء المختفية.

نتعلم من الأمثلة الآتية أن كل شيء يعمله القديسون الذين يوحي لهم الله يصبح نموذجًا ودرسًا للأشخاص الذين يسلكون حسب الفضيلة. ويصوِّر الزواج والهجرة والحروب وأدوات البناء على ما سيحدث في الحياة للأجيال الآتية. "وهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكُتبت لإنذارنا نحن الذين اِنتهت إلينا أواخر الدهور" (١ كو ١٠: ١١). نستفيد من الحرب ضد الأعداء بأن نكون أقوياء ضد الغرباء، وشوقنا العميق للرهبنة يوضح سر حياة الفضيلة. كما توضح الهجرة الأساس في حياة الفضيلة، يحفزنا الاِهتمام بإقامة المباني بأن نُظهر مسئوليتنا في بناء بيتنا بواسطة الفضائل. لذلك يظهر لي أن البرج الذي يمكن رؤيتهمن كل ناحية والذي أسسه داود واختار له الغنائم النفيسة أنبأ عن الكنيسة وصوّر هؤلاء الذين يسعون إلى الفضيلة. وعندما أُخضعت القبائل الغريبة للعبودية ارتفع مركز الملك بممتلكات القبائل الأخرى، لذلك أظهر الملك بواسطة حكمته الحياة البشرية الطيبة التي تنبأ بها داود من خلال بناء البرج الذي يرمز لحياتنا المستقبله. سيتعظم جمال جسد الكنيسة في كل عضو من أعضائها حسب عمله وموقعه في المجتمع. فمثلاً يصف النص الذين يأخذون مكان الرقبة بين الناس، بذكر برج داود الذي يُعرف بأسواره وتسمى هذه الأسوار "ثالبياث".

"عُنقك كبرج داود المبني للأسلحة. ألف مِجَن علق عليه، كلها أتراس الجبابرة" [ع٤] أقام داود هذا البرج الكبير في موقع ممتاز بحيث يتمكن المشاهد أن يراه من جميع الجهات. وقد علق عليه ألف من الأتراس والحراب.

والآن نودّ أن نفهم الغرض المقدس من هذا النص. لماذا يُقارن الرقبة - وهو عضو في الكنيسة - بهذا البرج؟ سنفحص أولاً هذا الجزء من جسمنا وهو الرقبة ثم نطبق ما يصل إليه على اسم عضو الكنيسة المسمى بالرقبة. تحمل الرقبة الرأس إلى أعلى وتعمل كقاعدة لها وتتثبَّت بين الكتفين، وتتدعم بعظام الفقرات العنقية التي تتمكن من الحركة في مجال واسع لعدم اِرتباطها بعظام القفص الصدري. تختلف عظام فقرات الرقبة عن العظام المدعمة للذراع أو الرجل، فهي مقسمة إلى فقرات تحمي ما بداخلها من النخاع الشوكي، وعليها ثقوب تخرج منها الأعصاب. ترتبط الفقرات بعضها ببعض بأربطة مرنة تسمح لها الحركة. وتوجد بالرقبة من الأمام القصبة الهوائية التي تمر بها هواء الشهيق حاملاً الأكسجين اللآزم لأكسدة المواد الغذائية، وإنتاج الطاقة اللآزمة للجسم. كما يمر بها هواء الزفير الذي يحمل بعض المواد التالفة الناتجة من أكسدة المواد الغذائية. ويوجد بالرقبة البلعوم وجزء من المريء، وهي قنوات تحمل الغذاء من الفم إلى المعدة. وتوجد بالرقبة الحنجرة وهي صندوق الصوت وتحتوي الأحبال الصوتية التي تهتز نتيجة لحركة الهواء في الحنجرة والقصبة الهوائية فتصدر الصوت. لذلك يسهل فهم رقبة جسم الكنيسة بعدما عرفنا بعض المعلومات عن التركيب التشريحي للرقبة، والتي يقارنها النشيد ببرج داود.

إذا حمل أي شخص الرأس الحقيقية لكل الخليقة، وهو المسيح: "ذاك الذي هو الرأس المسيح. الذي منه كل الجسد مركبًا معًا ومقترنًا بمؤزارة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة" (أف ٤: ١٥-١٦). لذلك فإنه بحق يستحق أن يطلق عليه اسم رقبة. فإذا فهمت قلوبنا هذه المعلومات فإن الروح تُدفئها كالنار إذا انسجمت مع كلمته، عند سماع صوته يشكل الله الصوت الإنساني ليكون أداة لتحريك كلمته إلى القلب. تقوم الرقبة بوظيفة تغذية، أعني التعليم، الذي يعطي قوة لكل أعضاء جسد الكنيسة. إن الحصول المستمر على الطعام هو الذي يحفظ بقاء الجسم، وبدونه يضعف الجسد ويضمحل.

لنجعل شخصًا يمثل عمل فقرات الرقبة المنسجم، والذي يظهر كأن كل فقرة تمثل شخصًا، وكلهم مرتبطين مع بعضهم برباط السلام لكي يكوّنوا عضوًا واحدًا متماسكًا وقائمًا، ويتمكن من الحركة بسهولة من جانب إلى جانب الآخر. كان بولس هذه الرقبة. فإذا أتيع(ما تشكيلها) أي شخص مثال بولس وأصبح إناءًا مختارًا حاملاً اسم الله (أع ٩: ١٥) ووحدت رأسه جميع أطراف جسد الكنيسة في انسجام، فإذا تكلم مثل هذا الشخص فإنه لا يتكلم من نفسه بل يتكلم كأنه الرأس، فالمسيح هو الذي يتكلم كما أوضح بولس (٢ كو١٣: ٣). لذلك تربط القصبة الهوائية والحنجرة كلمة الحق مع صوت الروح القدس العذب الشجي. وتُجمل القصبة الهوائية بالكلام المقدس، وتغذي كل أعضاء الجسد بهذه التعاليم المحببة. تعمل الفقرات بانسجام الجسد بواسطة رابطة السلام والحب. من يعلِّم الرقبة أن تنحني في تواضع، إنها تتمكن من الحركة إلى اليمين واليسار، وإلى أعلى لكي نرى الأشياء العليا كما يمكنها أن تدور بعيدًا برشاقة وتحترس من جميع حيل الشيطان.

داود قد أقام هذه الرقبة.

جهز الملك الذي جاء من نسل داود الإنسان ليكون القلعة الآمنة من السقوط. بناها داود بالنعمة وحصنها بالأتراس الكثيرة، حتى لا يتمكن العدو من الاقتراب منها بسهولة. والأتراس معلقة وليست على الأرض ويمكن رؤيتها معلقة في الهواء، ويوجد معها الحراب التي تُثير الفزع في العدو حتى لا يحاول الهجوم على البرج. إني أفكر فى أن هذا البرج بما عليه من أتراس وحراب يشير إلى الحرس الملائكي. لا يذكر النشيد ببساطة الحراب، ولكنه يضيف الرجال الأقوياء يحاربون إلى جانبنا فيغلب(ما تشكيلها) النشيد بكلمات المزمور: "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مز ٣٣: ٨). لا يمثل لي بدقة رقم الألف رقم مائة مضروبًا في عشرة، ولكنه يُشير إلى أن العدد كبير. ويُشير الكتاب في العادة إلى الأعداد الكبيرة بالرقم ألف. كما يقول داود: "مركبَات الله ربوات ألوف مكررة الرب في وسطها فصار جبل صهيون مماثلاً لجبل سينا في القداسة" (مز ٦٧: ١٨). ثم "شريعة فمك خير لي من ألوف ذهب وفضة" (مز ١١٨: ٧٢).

علمنا أن الجزء السفلي من الرقبة يرتكز على الكتفين، ويتميزان بالقوة اللازمة لذراعينا اللذين يجلبا الخلاص. يتمكن الذي يتأمل بدقة ترتيب كلمات نشيد الأناشيد من فهم نمو النفوس في الفضيلة نحو الله. فهو يعلم أن العروس قُورنت في المرحلة الأولى التي أحبها فيها العريس بالحصان الذي حارب طغاة المصريين، وكانت له رقبة جميلة مزينة بالسلاسل وحلي الرقبة، ولكنها تُلقب بالبرج لعظمتها. ويُشاهد البرج من كل الاِتجاهات ومن على مسافة كبيرة نظرًا لهندسته الرائعة المرتفعة إلى أعلى وموقعه فوق المنطقة المجاورة. وعندما يحصل هذا البرج على المركز المشترك العالي في السماء، فإنه يوضح صدق كلام الله: "لا تخفى مدينة موضوعة على جبل" (مت ٥: ١٤).

دعنا الآن نتأمل في "خشفتي ظبية" بالقرب من قلب العروس والتي تسمى بالثديين "**ثدياك كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن**" [ع٥]. يقع القلب بين الثديين ولا يوجد عنده عشب أو أشواك للرعي ولكن السوسن يبقى مزدهرًا طيلة مدة الرعي كلها. ولا تتكون للسوسن أزهارًا ولا يذبل في أوقات معينة، ولكنه يعطي طعامًا للخشفات حتى لا تسيطر ظلال الخطية على هذه الحياة. بدلاً من ذلك ينير الضوء كل مكان وتظهر كل الأشياء في النهار وتتنفس النور أينما رغبت. لأن النشيد يقول: "**إلى أن يفتح النهار وتنهزم الظلال**" [ع٦]. أنتم تعرفون من الإنجيل أن الروح القدس يحلّ حسبما يريد، وينير لهؤلاء الذين من أين يأتي وإلى أين يذهب (يو ٣: ٨). يقول النشيد: "ثدياك كخشفتيّ ظبية، توأمين يرعيان بين السوسن إلى أن يفتح النهار وتنهزم الظلال". ولكن "النهار" يشير إلى الروح القدس الذي يبث النور في كل من يحصل عليه. يجب أن لا نشك في معنى هذه الكلمات. إذا كان الروح القدس يُنتج أبناء النور والنهار أفلا يجب علينا أن نعرف أنه هو النور والنهار الذي يطرد الباطل والظلال؟ عندما تظهر الشمس لا تبقى الظلال بل تنسحب وتبتعد. إن الفرصة مواتية لكي نضيف لدراستنا للنص سرّ خشفتيّ الظبي التي تحمل توائم والتي تتغذى على السوسن

في المرعى الجيد الخصيب. أن مكان المرعى هو القلب حسب المثل الذي تكل به السيد المسيح (مت ١٣: ٣)، يزدهر كل الذين يرعون ويحصدون منه أفكار نقية. تجذب الرائحة الذكية واللون الجميل لزهور النرجس من يقطفها فرؤيتها متعة للعيون ورائحتها تُدخل البهجة للنفوس لأنها تمتلئ برائحة المسيح الذكية، بينما منظرها يوحي بالنقاء والطهر.

زال الآن غموض النص وأصبح واضحًا لنا، فعندما يفحص شخصان المعنى اللفظي والروحي للنص كل على انفراد، ثم يسيران سويًا في الحياة فإن كلا منهما يولد ميلادًا له ناحيتان: فلا تأتي الروح قبل الجسد، ولا يُخلق الجسد قبل الروح، ولكن كلاهما يُخلقان في نفس الوقت. وغذاؤهما هو النقاوة والرائحة الزكية وكل ما تجلبه الفضائل بوفرة. ولكن يوجد من يرغبون في الهدم أكثر من البناء، وهؤلاء لم ينموا على الفضيلة بل وجدوا مسرتهم في الأشواك. سمعنا عن المثل: "من ثمارهم يُعرفون. هل يجنون من الشوك عنبًا أو من الحسك تينا" (مت ٧: ١٦). وهو يسمي الخطية ما أنتجته لعنة الحيّة من حسك وأشواك. نحتاج إلى عين مُميزة لكي نقارن بدقة بين النرجس والأشواك حتى نختار كل ما هو للخلاص ونرفض ما هو فاسد. ويصير الشخص الذي له مثل هذه العين الفاحصة صدرًا حنونًا لكل الأطفال. كما كان بولس العظيم (١ كو ٣: ١-٦)، ويغذي أطفال الكنيسة المولودين حديث باللبن. لقد ذكر النشيد ثديّ العروس التوأم المولودان سويًا اللذان قارنهما. بخشفتيّ ظبي، ليؤكد أهمية وسمو هذا العضو للكنيسة. يقود كل ثدي الشخص إلى مرعى النرجس النقي بواسطة الحكم الصحيح والتمييز بين ما هو مغذي وما لايحتوي على غذاء كالأشواك. ويقوده في ذلك المبدأ المسيطر الذي يُرمز إليه بالقلب الذي يغذي الثديين. لا يبخل الثدي عن إعطاء النعمة بداخله ولكنه بعطي حلمة الكلمة لكل من هم في حاجة إليه، وهكذا يوفر الغذاء لكل أطفاله (أنظر تس ٢: ٧).

والآن تم مدح أعضاء جسد الكنيسة وسنخصص المدح في الكلمات الآتية إلى كل أعضاء الجسد بعد الموت، فالمسيح أبطل قوة الموت (عب ٢: ١٤). عندما صعد إلى مجد ألوهيته الذي كان قبل إنشاء العالم. لأن العريس يقول: "**أذهب إلى تل المر وإلى جبل اللبان**" [ع٦]. يوضح النشيد مجد الله من خلال تعب المر والبخور ويضيف الكلمات الآتية: "**كُلُّك جميل يا حبيبتي ليس فيك عيب**" [ع٧]. تعلمنا هذه الكلمات أنه لا يتمكن لأحد أن يأخذ حياتك منك. المسيح فقط له سلطان أن يضعها أو يرفعها (يو ١٠: ١٨). أنه يذهب إلى "جبل المر"، ليس بقوّته حتى يفتخر بذلك ولكن بما كسب من نعمة، بعد ما ذاق المسيح الموت عن الخطاة (ر و ٥: ٨). خلصت الطبيعة البشرية ومن وصمة الخطية بعد أن رفع حمل الله خطية العالم وحطم الإثم (يو ١: ٢٩). لذلك يقول النشيد "كُلُّك جميل يا حبيبتي ليس فيك عيب" ويضيف إلى ذلك سرّ الانفعال الذي يرمز إليه المرّ ثم يذكر خليط الأعشاب العطرة والبخور التي تُشير إلى ألوهية المسيح. إن الذي يشارك المسيح في المرّ سوف يحصل على رائحة الأعشاب العطرة والبخور، لأن الذي يتألم معه سينال المجد معه (رو ٨: ١٧) وعندما يكون في المجد الإلهي سيحصل على الجمال

الكامل، ويكون بعيدًا جدًا عن كل عيب بغيض بواسطة المسيح، ومن خلال المسيح تنفصل عن الخطية. أنه مات وقام من الأموات لأجلنا، وله المجد والقوة الآن وإلى الأبد آمين.

العظة الثامنة

عندما كتب الرسول العظيم بولس إلى كنيسة كورنثوس عن رؤيته السمائية، لم يكن متأكدًا إذا كان قد رآها بروحه فقط أم بجسده وروحه معًا. وشهد قائلاً: "أيها الإخوة أنا لست أحسب نفسي أني قد أدركت. ولكني أفعل شيئًا واحدًا إذ أنسى ما هو وراء وأَمتد إلى ما هو قدام" (في ٣: ١٣). يتضح من هذا أن بولس وحده كان يعرف ما يوجد وراء السماء الثالثة، لأن موسى نفسه لم يذكرها عندما تكلم عن خلق وأصل الكون. اِستمر بولس في الارتفاع ولم يتوقف بعدما سمع عن أسرار الفردوس التي لا يُنطق بها. ولم يسمح للسمو والارتفاع الذي وصل إليه أن يحدّ من رغبته هذه، وأكد بولس أن ما نعرفه عن الله محدود لأن طبيعه الله أبدية واسمي مما نعرفه، وليس لها حدود. أمّا من يتحدون مع الله فتنمو وتزداد شركتهم معه بِاستمرار في الحياة الأبدية ويتفق هذا مع كلمات السيد المسيح: "طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت ٥: ٨). إنهم سوف يعرفون الله بقدر ما تسمح به عقولهم من فهم، إلا أن الله الغير محدود والغير مدرك يبقى دائمًا بعيدًا عن الفهم. إن مجد الله العظيم جدًا لا حدود له كما يشهد بذلك النبي (مز ١٤٥: ٦-). يبقى الله دائمًا كما هو عندما نتطلع إليه ونفكر في علو سمائه. هذا ولقد حاول داود العظيم بكل قلبه أن يرتفع بفكره إلى الآفاق العليا. وكان دائمًا يتقدم من قوة إلى قوة (مز ٨٤: ٧). وصرخ إلى الله: "أما أنت يا رب فمتعال إلى الآبد". (مز ٩٢: ٨). وذلك يتضح أن الشخص الذي يجرى نحو الله يصبح أعظم كلما اِرتقى إلى أعلى وينمو بِاستمرار في الخير حسب مستواه في الارتفاع. ويحدث هذا في جميع العصور والله هو الأعظم ارتفاعًا الآن وإلى الأبد، ويظهر بِاستمرار هكذا لمن يقتربون منه، فهو أعلى واسمي من قدرات كل من يرتفعون.

يعلمنا الرسول بولس عن طبيعة الله المهيْمنة والتي لا يمكن التعبير عنها حيث يقول إن العين لم تر هذه العظمة حتى ولو أنها تبصرها، لأن العين لا تراه بالكامل كما هو. لكن فقط بقدر ما تستطيع أن تدركه. وأيضًا لا تتمكن الأذن من سماع كل ما يقوله كلمة الله، ولكن بقدر استطاعتها فقط، وذلك على الرغم من أنها تستمع له بِاستمرار. ولا يدخل أيضًا كلمة الله إلى قلب الإنسان بالقدر الكافي حتى إذا كان القلب النقي يراه بِاستمرار. وبالرغم من أن المرحلة التي بلغ إليها الشخص الآن أعلى في الحقيقة مما كان عليه سابقًا، إلا أن هذه المرحلة لا تحد من تقدمه، لكنها تصبح بداية لاكتشاف نعمة أعلى. فالشخص الذي يرتفع لا يقف أبدًا ساكنًا. إنه يتحرك من إحدى البدايات إلى التي تليها، وبدايات النعمة الأعلى ليست محدودة. لذلك فرغبة النفس التي ترتفع تزداد في المعرفة وفي الرغبة في الارتفاع إلى مستويات أعلى، فتستمر في النمو محققة التقدم الغير محدود.

وبعدما شرحنا هذه الأمور يلزمنا أن نفكر بعمق في الكلمات المقدسة بالنشيد: **"هلمي معي من لبنان، انظري من رأس أمانة، من رأس شنير وحرمون، من خدور الأسود من جبال النمور"** [ع٨]. ماذا نفهم إذن من هذه

الكلمات؟ يجذب ينبوع النعمة إليه كل العطشى. وكما يقول الينبوع في الإنجيل: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب" (يو ٧: ٣٧). لا يضع المسيح بهذه الكلمات حدودًا لعطشنا، ولا لتحرُكنا نحوه، ولا لارتوائنا من الشرب، ولكن يمتد أمره إلى مدى الزمن، ويحثنا أن نعطش وأن نذهب إليه. وإلى هؤلاء الذين ذاقوا وتعلموا بالتجربة أن الله عظيم وحلو (مز ٣٤: ٨)، فإن حاسة الذوق عندهم تُصبح حافزًا لزيادة التقدم. لذلك فالشخص الذي يسير بِاستمرار نحو الله لا ينقصه هذا الحافز نحو التقدم. دعنا نعيد ما يقوله كلمة الله للعروس ليشجعها: "تعالي يا رفيقتي" ومرة أخرى "تعالي يا حمامتي واِحضري نفسك في محاجئ الصخر" يستعمل كلمة الله هذه التعبيرات الجذابة للتشجيع لكي يحفِّز النفس إلى الارتفاع إليه. "كلك جميل يا حبيبتي ليس فيك عيبة". وحتى لا تتكبر النفس بهذه الشهادة ولا يتعطل صعودها إلى أعلى، يشجعها العريس حتى يحرك رغبتها في العبور فوق الحدود، "هلمي معي من لبنان" أي أنك عملت حسن باتباعي إلى هذه النقطة، لقد أتيت معي إلى جبل المرّ، لقد دُفنت معي بالمعمودية إلى الموت (رو ٦: ٤)، وذهبت معي إلى تل العشب العطري والبخور لأنك قُمت معي وارتفعت في مشاركة قداستي التي يَرمز إليها العشب العطري والبخور. ارتفعتي معي من هذه القمة إلى قمة أخرى أعلى من خلال المعرفة. لذلك يقول العريس "هلمي معي من لبنان" ليس كفتاةٍ ما زالت مخطوبة ولكن كعروس. لا يمكن لأحدٍ أن يعيش معي دون أن يتغير بواسطة الموت بالمرّ إلى الحياة في القداسة محوطًا بالأعشاب العطرة والبخور. ولا يتوقف عن الصعود بعد أن تصل إلى هذا المستوى من الارتفاع، وكأنك حصلت على الكمال. فالأعشاب العطرة والبخور ترمز إلى بداية الإيمان الذي حصلت عليه بالقيامة من الأموات، أنه بداية التقدم إلى مستويات عليا من السمو. من هذه البداية وهي الإيمان "سوف ستتحرك إلى الأمام" أي أنك ستواصل تقدمك في الارتفاع.

يقول النشيد سوف تأتي وتعبر قمة الإيمان من رأس شنير وحرمون. تُشير هذه الكلمات إلى سر ميلادنا من الأعالي. حيث ينبع نهر الأردن، كما يقولون، وتنقسم الجبال التي تعلوه إلى قمتين شنير وحرمون. ومنها ينبع النهر ويصبح بداية تحولنا إلى ما هو مقدس. لهذا السبب تسمع العروس عندما يناديها العريس قائلاً: "هلمي معي من لبنان من بداية الإيمان ومن قمة" لهذه الجبال التي تصعد منها الينابيع الروحية. ويذكر النص الأسود والنمور فيزيد ذكر هذه الحيوانات المتوحشة تمتع العروس بالأشياء المبهجة خُلق الإنسان أولاً على صورة الله، إلاّ أنه تحول إلى حيوان غير عاقل، فصار شبيها بالنمر والأسد من خلال العادات الشريرة، وكما يقول النبي: "يكمن المختفي كأسد في عرينه. يكمن ليخطف المسكين. يخطف المسكين يجذبه في شبكته" (مز ١٠: ٩). لقد تحول الإنسان إلى حيوان متوحش بعد أن صار قويًا. "مثلها يكون صانعوها بل كل من يتكل عليها" (مز ١١٥: ٨). ويصبح الشخص نمرًا بصبغ نفسه بقذارة هذا العالم. وعندما تلوثت الطبيعة البشرية انجرفت في عبادة الأوثان وأخطأ اليهود وسقطوا في غيرها من الشرور والخطايا. وبعد ذلك مرت الطبيعة البشرية خلال الأردن والمرّ والأعشاب العطرة والبخور

وارتفعت إلى مستوى عال، حتى أنها تسير الآن مع الله. لهذا السبب يزيد كلمة الله فرح عروسه بما حققته، وذلك بجعل العناصر المحزنة السابقة والتي مرت بها لبنان بداية الإيمان، قبل أسرار الأردن التي تناولناها سابقًا. وتصبح الحياة في السلام أكثر متعة بعد الحرب خصوصًا عندما نتذكر أيام الحزن، وتُنعش نعمة الصحة حواسنا عندما تستعيد طبيعتها بعد مرض مؤلم. لذلك يمنح العريس النفس التي تصعد إليه عمقًا في التمتع بالسمو ويظهر جماله لها، ويذكرها بأخطائها السابقة وهي على هيئة الحيوانات المتوحشة حتى تتمكن من الفرح في تمتعها الحالي بمقارنته بحالتها السابقة.

جهز العريس ببعد نظره نعمة أخرى لعروسه. أراد لنا كلمة الله نحن المتغيرين بالطبيعة أن لا نسقط في الشر، وأن نستخدم قدرتنا على التغيّر كطريق في صعودنا إلى مستويات أعلى بِاستمرار التقدم إلى الكمال. وهكذا يمكن أن نظل ثابتين في الخير. لذلك يذكر النشيد، وكأنه المدرس أو الحارس من الشر، هذه الحيوانات المفترسة التي تم هزيمتها فيجب أن نزداد قوة في التمسك بالخير بعد أن نبذنا الشر. وبينما نتقدم بِاستمرار نحو السمو والخير لا توجد فرصة للسقوط في الشر، لذلك يطلب العريس من العروس أن تأتي إليه من لبنان ويذَّكرها بالأسود التي قضت وقتًا في ارتباطها معها.

كلمة الله لها صوت ذا قوة واحدة. وكما أشرق النور بأمره بدء الخليقة وأسس السماء بإرادته (تك ١: ٢-٢٤) وظهرت بقية الخليقة بكلمته الخلاقة. وبنفس الطريقة عندما يأمر الكلمة النفس التي تقدمت للتقرب منه فإنها تتقوى في الحال وتصبح كما يريدها، أي تتحول إلى شيء مقدس وتنتقل من المجد الذي كانت فيه إلى مجد أعلى بواسطة التغير العظيم. لذلك يُظهر الكورال الملائكي حول العريس تعجبه للعروس ويُعبّر عن تقديره واحترامه لها قائلاً: "قد سبيت قلبي خالية من الانفعال، وتحيط بها الملائكة وتوفر لها الأخوَّة، وصلة القربى مع القوى الروحية. لذلك يقولون لها "قد سبيتِ قلبي يا أختي العروس".

تشرفت العروس بكلمة "أختي". فهي أختنا لأنها خالية من الهوى، وعروس لأنها اِتحدت بكلمة الله، نحن نفهم معنى الكلمات، قد سبيتِ قلبي، أو قد أعطيتني حياة وكأنه الملائكة قالت لها "أنت أعطيتنا قلبًا"، سوف نترك هذه الفقرة للقديس بولس لكي يشرح لنا هذه الأسرار. فيقول في رسالته للكنيسة أف عندما يشرح اِهتمام الله بنا عندما ظهر في الجسد، فلقد دخلت بذلك الطبيعة البشرية في نعمة الأسرار المقدسة "لكي يُعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين في السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة. حسب قصد الدهور الذي صنعه في المسيح يسوع ربنا. الذي به لنا جرأة وقدوم بإيمانه عن ثقة" (أف ٣: ١٠-١٢).

فمن خلال الكنيسة صارت حكمة الله المتعددة الجوانب معروفة بالنسبة للقوى الغير محدودة، واندهشت منها القوى المضادة. كيف تأتي الحياة من خلال الموت، والعدل من خلال الخطية، والنعمة من خلال النقمة، والمجد من خلال الانحطاط، والقوة من الضعف؟ علمت القوى الغير محدودة في العصور السابقة أعمال حكمة الله البسيطة، والتنظمة والتي أدهشت الدنيا. لم يكن هناك تنوعًا

قيمًا رأوه، وعمل الله الخليقة بقوته وبإحدى نبض إرادته أحضر الكائنات إلى الحياة، وكانت جميع الأشياء جميلة جدًا لأن أصولها من الجمال المقدس.

وعلى الجانب الآخر فإن الحكمة المتعددة الجوانب التي قامت من اِتحاد القوة المضادة تظهر الآن من خلال الكنيسة، فالكلمة صار جسدًا، واِختلطت بالموت، ومن خلال جروحه شفى جراحنا، وأسقط القوى المضادة بضعفه على الصليب، فلقد ظهر الغير مرئى في الجسد لكي يفدي المأسورين. هو نفسه الواحد الذي يشترى أصبح الثمن لأنه صار لنا فديّة بموته. لم يفارق لاهوت المسيح جسده في الحياة أو الموت، وأصبح عبد الكنه اِستمر ملكًا. كل هذه وغيرها من الأمثلة المشابهة هي عمل الحكمة ذات الأهداف المتعددة. تعلم أصدقاء العريس من الكنيسة التي "أعطتهم قلبًا" لكي يفهموا ناحية أخرى من أسرار الحكمة المقدسة. وإذا أردتُ أن أفكر بجرأة في رؤية جمال العريس في عروسه، وفي دهشتهم من وجوده الخفي الغير مُدرك في جميع المخلوقات. وكما يقول الرسول يوحنا: "الله لم ينظره أحد قط" (١ يو ٤: ١٢) وأيضًا يشهد الرسول بولس: "الله الذي وحده له عدم الموت ساكنًا في نور لا يُدنى منه، الذي لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه الذي له الكرامة والقدرة الأبدية آمين" (١ تي ٦: ١٦). جعل الله الكنيسة جسمه الخاص، وبناها بالحب في الذين خلصهم، ورفعهم لكي يصلوا إلى الإنسان الكامل، كما أوضح بولس الرسول: "إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله. إلى إنسان كامل. إلى قياس قامة ملء المسيح" (أف ٤: ١). لذلك لما كانت الكنيسة هي جسد المسيح وهو رأسها، فقد جعل وجهها له نفس خواص وجهه. رأى أصدقاء العريس هذا "وأعطوا قلبًا" لأنهم فكروا بعمق فيما هو غير مرئي. وبنفس الطريقة، لا يتمكن أحد أن يوجه بصره مباشرة إلى الشمس، ولكنه يتمكن من رؤية لمعانها عندما ينعكس من المياه. لذلك فالأشخاص الذين ينظرون إلى وجه الكنيسة وكأنهم مرآة نظيفة، يرون شمس البر (ملا ٤: ٢) فيتعرفون على بعض صفات الله.

قال أصدقاء العروس لقد أعطيتنا قلبًا، أي أدخلت فينا روحًا وعقلاً لكي نرى نورك. ثم كرروا هذه العبارة للمرة الثانية وأضافوا رصيدًا لكلماتهم، لقد أعطيتنا قلبا وإحدى عينيك، وملأ هذا أصدقاء العروس بالإعجاب لأن للنفس قدرتين على الرؤية: إحداهما ترى الحق والثانية يخدعها الباطل. وبما أن عين العروس النقية ترى الخير والصلاح فقط، فقدرتها الثانية للرؤية لا تعمل. من أجل هذا يضفي أصدقاء العروس المديح لواحدة من عيونها التي تراه فقط. وأعنى بكلمة "فقط" الذي نعرفه في طبيعته الأبدية الغير متغيرة الآب الحقيقي والابن الوحيد والروح القدس الله بالحقيقة واحد بطبيعة واحدة دون انفصال أو تقسيم بحسب اختلاف الأقانيم، يُقسم الأشخاص أصحاب الرؤية الضعيفة الطبيعة الواحدة لله إلى طبائع منفصلة، كما تظهر أمام عيونهم ذات الرؤية الملتوية. فيُقال إنهم يرون كثيرًا وبرؤيتهم، الكثير جدًا لا يرون شيئًا. والبعض يفكرون في الله ولكن يخدعهم التعصب للمادة. إنهم غير مستحقين لمدح الملائكة لأنهم مقيدين بالخيالات الوهمية. وعلى الجانب الآخر. يُعتبر الشخص الذي يرى الله وحده، أعمى بالنسبة

لكل شيء آخر. من أجل هذا تجعل العروس أصدقائها يتعجبون على واحدة من عيونها. يستعمل الشخص صاحب العيون الكثيرة عيونه في النظر إلى الأشياء (الفاتنة) لذلك يُعتبر أعمى، أما الشخص الذي ينظر إلى الخير والصلاح بواسطة عين النفس فله رؤية حادة تنفذ إلى أعماق الأشياء التي يراها.

تبدو الحُلية الوحيدة حول عنق العروس وكأنها صعبة التفسير لغموض النص، ولكنها ليست كذلك: "**قد سبيت قلبي يا أختي العروس، قد سبيت قلبي بأحدى عينيك، بقلادة واحدة من عنقك**" [ع٩]. تشبه "كلمة بقلادة واحدة "، كلمة "بإحدى عينيك" ونفرض بذلك أنه يقصد "بروح واحد". يملك الشخص الغير واع أكثر من روح وتستولى هذه على مكان الروح الواحد وتغير صفاته فيتأرجح بين الحزن والفرح والإقدام والخوف والجبن والشجاعة. وعلى الجانب الآخر يملك الشخص الذي يتربع كلمة الله روحًا واحدا متحدًا في حياة الفضيلة ويلزم أن نعمل توضيح في النص بربط كلمة "بالواحد" بما سبق فيتضح لنا لنقرأه "في روح واحد" أو بحالة واحدة للحياة.

يلي فكرة جديدة في الكلمات: "بقلادة واحدة من عنقك" ويمكن أن نحصل على صورة واضحة بتغيير هذه إلي "لك عين واحدة لكي تنظرين إلى الواحد، وروح واحد لأنك لست مقسمة حسب أنواع الميول المختلفة. إن وضع عنقك كامل لأنه يحمل النير المقدس (مت ١١: ٢٩). نحن نرى نير المسيح على عنقك والعين الواحدة والروح الواحد هي علامتك للخير والصلاح. من أجل هذا سوف نعترف أنك "أعطيتنا قلبًا" مع هذه العجائب: فلك عين واحدة وروح واحد وقلادة حول عنقك (نير العروس هو القلادة كما سبقت الإشارة إليها).

فهمنا أن أصدقاء العريس كملائكة يمدحون العروس. ولكي نحفظ هذا المديح من أن يتحول إلى غش أو يصبح مُبالغًا، فإن كلمة الله نفسه يؤكد حكم أصدقاء بواسطة التعبير عن شعوره الخاص، ويشهد لجمال عروسه بإضافة صفات أكثر عجبًا عند وصف جمالها الذي ينير أعضاء جسمها، وسنعود إلى هذه النقطة في العظة المقبلة إذا أعاننا الله لكي أفهم هذه الأسرار وأتعرف على جمال الكنيسة، وأعظم مجد الله ونعمته في المسيح يسوع له المجد إلى الأبد آمين.

العظة التاسعة

يقول القديس بولس: "فإن قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق". ويضيف: "لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله. متى أُظهر المسيح حياتنا فحينئذ تُظهرون أنتم أيضًا معه في المجد" (كو ٣: ١-٤). تختفي فينا الحياة حسب الجسد إذا لامتنا طبيعتنا الدنيئة ثم نقلنا طموح حياتنا من الأرض إلى السماء. كما يقول المثل: "الحكماء يدخرون معرفة" (أم ١٠: ١٤). ثم ننتظر الحياة الحقيقية، ويظهر المسيح فينا ونمتلئ بمجده ونتحول إلى حالة مقدسة. دعونا الآن نستمع إلى كلمات النشيد وكأننا متنا بالجسد فلا ننجذب إلى الكلمات ذات المعنى الجسدي. فيتحول الشخص الذي مات عن الأهواء، المعنى اللفظي لكلمات النشيد إلى معاني نقية وغير ملوثة. ولما كان فكره خاليًا من الأمور الأرضية، لذلك يُشغل باله بالأشياء العليا حيث المسيح الخالي من الهوى، والجالس عن يمين مجد الله (كو ٣: ١). دعونا الآن نستمع إلى الكلمات التي تصف جمال العروس النقي. ليتنا نستمع وكأننا لا نشارك في طبيعة الجسد وانتقلنا إلى دائرة الروح.

"ما أحسن حبك يا أختي العروس"، كم محبتك أحسن من الخمر وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب" [ع١٠]. "لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي" (مر ٣: ٣٠). وهو بكر طاهر ومرتبط بالله. ويسمى هذا الشخص الذي يشارك في حجرة العرس الطاهرة، بالعروس. ويتضح ذلك لكل من يعرف الكلمات المقدسة الموحي بها بعد البحث لفهم هذه الكلمات المقدسة، لا أرى أنها مجرد تمجيد كلمة الله للعروس. فيشرح العريس ازدياد جمالها: فلم تكن لتتزّين ينبغيّ وصايا الحق التي يرُمز إليها بثدييها، إلا إذا ما صارت أولاً أختًا للرب من خلال الأعمال الطيبة، وجددت نفسها بالزواج مع البكر بالميلاد الفوقاني، وأصبحت العروس المخطوبة الموعودة لعريسها. ويقول الذي يُسميها أخته وعروسه أن ثدييها تتحول إلى شيء أحسن وأكمل لأنهما لا يمتلئان باللبن، غذاء الأطفال، ولكنهما يفيضان بالخمر النقي الذي يفرح الأكثر كمالاً. ولم يفسد أصحاب الحانات نقاء هذا الخمر بخلطه بالماء.

تحوي هذه الكلمات، مثل فرحة العرس، شعور المحبة الدافئ بين الحبيبين اللذين يُعبران لبعضهما عن حبهما المشترك. ويُضفي العريس بكلمات مماثلة على الكنيسة التي مجدها في أقواله المبكرة. عبرت العروس في أول النشيد عن رغبتها في أن يأتي إلى فمها كلمة الله الخارج من فم الله المقدس كما هو موضح برمز القبلة. وأشارت إلى سبب هذه الرغبة وهي أن ثدييه جميلان. إنهما يفوقان الخمر واسمي من كل رائحة ذكية للأطياب والعطور: "ليقبلني بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر. لرائحة أدهانك الطيبة اسمك دهن مهران. لذلك أحبتك العذارى" (نش ١: ٢-٣). نحن نتعلم هذا من الفلسفة المقدسة التي أتت من مصادر أخرى غير فلسفة أفلاطون مثلاً وبالتحديد: يحضر الله معنا بقدر ما تُحضر أنفسنا أمامه. وشهد داود متنبئا: "طوبى للكاملين طريقًا، السالكين في شريعة الرب. طوبى لحافظي شهاداته من كل قلوبهم يطلبونه. أيضًا لا يرتكبون إثمًا، في طرقه

يسلكون، أنت أوصيت بوصاياك أن تحفظ تمامًا" (مز ١١٩: ١-٤). ويُشبِّه النبي هوشع الشخص الذي يعيش حياة البطش والقسوة، بالدب أو النمر. ويمكن فهم هذه التشبيهات الغامضة بتعاليم الإنجيل (مت ٢٥: ٣٤-٣٦). بمن يضعهم الملك على يمينه ومن يضعهم على يساره، فعلى اليمين يضع الغنم الوديعة الطيبة أما على اليسار فيضع الماعز المخيفة المتوحشة. ويؤقلم الملك نفسه على حسب اختيار هؤلاء الذين أدينوا والآن تعطى العروس استجابة موفقة عندما تغني لجمال مليكها وتضفي عليه التمجيد بكلمات مماثلة وهو يقبل ثدييها ويغيرهما للأحسن ولأنهما توقفا عن إنتاج اللبن ويعطيان الآن خمرًا يفرح القلوب الأكثر كمالاً، والذين لا يتبعون الاِهتمامًات الطفولية إنهم الآن قادرين على عمل الأعمال الطيبة بتأثير ما يشربونه من كوب الحكمة (أم ٩: ٢-٥).

أضاف النص في مدح الخمر الذي تُنتجه ثديي العروس بقوله أن له رائحة طيبة: "وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب". لابد أن نحصل على فهم جيد للأطياب من الكتاب المقدس. تعطي العطور شعورًا طيبًا لحاسة الشم. وقدَّم نوح مثل هذه الذبيحة لله وشمَّ الله رائحتها الطيبة (تك ٨: ٢١). لذلك فالذبيحة الندم وطلب الغفران والشكر وذبيحة الخلاص والتطهير والخطية. تتكون هذه الكلمات من توابل وذبائح كاملة وتقدمات تُحرق بالكامل وأعضاء من تقدمات منذورة لله مثل، صدر وأحد فصوص الكبد أو دهن الكلية، بالإضافة إلى هذه مجموعة الأعشاب العطرة والبخور ودقيق القمح المنقوع في الزيت وأنواع البخور المختلفة، وكثير من الأمثلة المرتبطة بالنار وجميعها مصنفة تحت أنواع العطور.

يرشدنا طيب عطر العروس على أن سر الحق الذي يقدمه الإنجيل هو وحده الرائحة العطرة لله. أنه يعلو على كل رائحة للشريعة لأنه لا يختفي وراء الرموز أو الظلال بل يقدم مباشرة رائحة الحق الطيبة. وإذا اتسمت إحدى التقدمات السابقة برائحة طيبة لله يكون ذلك نتيجة لمعناها العميق وليس المعنى الظاهري أو اللفظي. ويتضح ذلك من قول النبي: "لا آخذ من بيتك ثورًا ولا من حظائرك أعتدة. هل آكل لحم الثيران أو التيوس" (مز ٥: ٩، ١٣).

قدم شعب إسرائيل الكثير من ذبائح الحيوانات في العديد من المناسبات. وعندما نفكر في الدرس المستفاد من هذا الموضوع نجده يرتبط في تفكيرنا بسرّ وهو وجوب التضحية بأهوائنا. "ذبائح الله هي روح منكسرة، القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره" (مز ٥١: ١٩). لذلك تمجد ذبيحتنا لمديح الواحد صاحب الرائحة الطيبة. تشم النفس الرائحة الطيبة مثل بولس: "رائحة المسيح الطيبة" (كو ٢: ١٥)، وترتفع أعلى من كل رائحة رمزية للشريعة. وتصبح النفس عطرة الرائحة في حياتها وتشم مرّ الكهنوت وبخور الضمير الذي يتكون من الفضائل المختلفة. حياتها هي رائحة عطرة للعريس. عندما قارن سليمان الشعور المقدس بالعطر المادي للشريعة أضاف أن الفضائل تعطي رائحة طيبة وغير مادية: "وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب".

يقودنا النص التالي إلى تمجيد أعلى مما سبق ويشهد على وفرة الهبات الممنوحة للعروس، التي يعطيها الله استجابة يقظة والصلاة. يوجد(يوجه؟) كتاب

الأمثال حكمة التلاميذ (للتلاميذ؟) أن تذهب(يذهبوا؟) إلى النملة (لاحظ الفرق بين المعلم وتلميذه)، وتقول الحكمة لمحبيها "اِذهبوا للنحلة وتعلموا من عملها" (أم ٦: ٨). يعمل النحل في إنتاج العسل، وهو عمل نبيل لكل من الملوك وعامة الشعب الذين يستفيدون من عمل النحل بتناول هذا الغذاء الصحي. وتقول الأمثال يقدِّر جميع الناس النحلة وينظرون إليها بشرف، وبالرغم من أنها حشرة ضعيفة إلا أنها تعمل بحكمة وينظر إليها كمثال للحياة الفاضلة. لذلك تقدم لنا النحلة وكأنها تُشرِّف الحكمة.

تنصحنا هذه الكلمات بأن لا نرفض التعاليم الطيبة ولكن نستوعب من حقول الكلمات المقدسة الموحي بها ونُجمع أفكارًا من كل منها لكي نكتسب الحكمة. وهكذا نبني بداخلنا ما يُشبه قرص العسل ونحزن في قلوبنا نتيجة عمل الحب كما في خلية النحل. تخلق النظرات المختلفة في ذاكرتنا مخازن تشبه خلايا الشمع لا يمكن محوها. ويجب أن تشغل أنفسنا بالعمل النبيل في الفضيلة، بتقليدنا النحلة الحكيمة التي تنتج قرص العسل حلو المذاق ولا تؤذي أحدًا. لقد استبدلت النحلة بانشغالها فيما تنتجه أي أعمال الحياة الحاضرة بنعمة الأبدية. توزع النحلة ثمرة عملها من أجل خبز الملوك والشعب. وتصبح النفس مرغوبة لعريسها بطريقة مشابهة، فتشرفها الملائكة وتكمل قوّتها في الضعف بالتمسك بالحكمة.

تعلمنا حكمة النحلة أن نكون مثابرين وحريصين على عملنا على مثالها. تُوزع النعم الروحية المختلفة على الذين يعملون بجهد لنوالها بنسبة الحماس والجهد الذي يبذلونه. لذلك يقول العريس لعروسه: **"شفتاك يا عروس تقطران شهدًا، تحت لسانك عسل ولبن، ورائحة ثيابك كرائحة لبنان"** [ع١١]. ينظم النص بحيث يقدم أكثر من فائدة، فهو ينطبق على كل من يستمع له للبالغ والطفل، فالعسل للبالغين واللبن للأطفال. ويخاطب بولس المولودين حديثًا ويغذيهم بكلمات العطف والحنان بينما يُكلم البالغين بالحكمة المخفية عن كل العصور التي لم يقبلها هذا العصر ولا عظماؤه (كو ٢: ٦-٨). ويقول كلمة الله أن خليطًا من هذا العسل واللبن يوجدان تحت لسان العروس حيث يُخزَّن ويكون جاهزًا، لأن الشخص الذي يجب أن يتكلم لابد أن تكون عنده القوة المتعددة الجوانب للكلمة تحت لسانه، وتكون جاهزة لكل مستمع في الوقت المناسب.

يتحرك العريس نحو تمجيد أعظم بعد مدح ولسان العروس "رائحة ثيابك كرائحة لبنان". توضح هذه الآية طريق الفضيلة لكل من يرغب فيه. إن نهاية الحياة الفضلى هي التشبه بالله. لذلك يجب ممارسة الفضائل لكي ننال نقاء الروح ونخلوا من الاِرتباك الذي تسببه الأهواء، حتى نمتلئ بالسموّ الغير المحدود نتيجة للسلوك الفاضل في الحياة.

ليس لحياة الفضيلة شكل واحد، كما أنها ليست جامدة، إنها تشبه الفن في عمل جلباب بنسيج خيوط مختلفة يثبت بعضها رأسية وأخرى أفقية. لذلك يلزم لنا العديد من العناصر للسلوك في حياة فاضلة. ويعدد الرسول المقدس الثمار الكثيرة لعمل الروح وهي محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان وداعة تعفف (غلا ٥: ٢٢). نلبس هذه المميزات عندما نخلع عنا ملابس فساد هذا العالم

ونستبدله بحياة السماء عديمة الفساد. لذلك يستقبل العريس ملابس عروسه ويقارن رائحتها برائحة خليط الأعشاب العطرة والبخور. ولكنه سبق وأشار أن عطر العروس يفوق عطر كل الأطياب. ونظن أن ذلك يقلل من قيمة المديح لأن رائحة العروس كانت أحسن من رائحة كل الأطياب، والآن تُقارن فقط بواحدة منها. يقول كلمة الله: "رائحة ثيابك كرائحة خليط الأعشاب العطرة والبخور"، يُستخدم خليط الأعشاب العطرة والبخور في عبادة الله، وهو أحسن من كل الأطياب ويستحق أن يكون العطر المخصص لله. يمكن فهم هذا السر كالآتي: تشبه ثياب فضيلتك يا عروستي قداسة الله، وتشبه الطبيعة الإلهية التي تفوق الحدود في نقائها وخلوّها من الاهواء، ورائحة ثيابك يمكن مقارنتها بخليط الأعشاب العطرة والبخور المخصص لتشريف الله.

نتعلم من التمجيد الذي يضيفه العريس على عروسه ماذا؟ يعني أن نكون أختًا أو عروسا لله! وهو يقول: "**أختي العروس جنة مغلقة**" [ع١٢]. عندما يُعلق أي شخص أنه عروس متمسكة بالله، يصبح هذا الشخص أختًا لله لأنه يعمل إرادة الله، كما يقول الكتاب (مر ٣: ٣٥). دع هذا الشخص يصبح بستانًا مملوئًا بكل أنواع الأشجار المزهرة: التين الحلو والزيتون المثمر والنخيل العالي والكرم الوفير الثمر. فليس عنده شجيرات شائكة ولا قريس وبدلاً منها ينبت السرو والآسى(س؟). ويعرف داود العظيم كيف يزيّن هذا البستان كما ارتفع به إشعياء: "الصدِّيق كالنحلة يزهو كالأرز في لبنان ينمو" (مز ٩٢: ١١)، "أني مثمرة كشجرة الزيتون" (مز ٥٢: ٨) "إمرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك. بنوك مثل غروس الزيتون حول مائدتك" (مز ١٢٨: ٣): يقول إشعياء "عوضًا عن الشوك ينبت سرو وعوضًا عن القريس يطلع آسى ويكون للرب اسمًا علامة أبدية لا تنقطع" (إش ٥٥: ١٣). ويكرم النبي ميخا من يجلس تحت الكرمة: "بل يجلسون كل واحد تحت كرمته وتحت تينته، ولا يكون من يرغب لأن فم رب الجنود تكلم" (مي ٤:٤).

يشير كل نبي إلى نوع من الشجر الذي يرمز إلى سرّ وسوف لا نتناوله بالتفسير الآن. كلنا نعرف حلاوة ثمرة التين وهي ناضجة، بينما تكون مرة المذاق وهي فاجة، لا يمكن أكلها ولكن بعد ذلك تنضج إلى فاكهة جميلة يُفرح مذاقها الحلو حواس النفس. ماذا يفيد المحصول الزيتون مرّ المذاق وهو أخضر وحامضي العصارة بعد أن ينضج في الخريف؟

يعصر الزيت من الزيتون الناضج ويستخدم في الإضاءة ويدهن به الجسم لإزالة الألم ويريح التعب وينشط الرأس ويفرحها ويساعد الذين يسلكون حسب الشريعة. كيف تجعل النخلة أيضًا ثمرها صعب المنال للسارقين؟ أنها تحفظ كنزها عاليًا ولا تسقطه على الأرض. ولنتأمل جمال كرم العنب ورائحة السروّ المنعشة وثمرة الـ mystle حلوة المذاق. ويمكن أن نفهم كيف تشير هذه الأمثلة إلى الحياة الفضيلة، لو نظرنا إليها على أنها كناية عن الطهر والخير والبركة.

لذلك فالحديقة المُعتنى بها يانعة بهذه الأشجار. إنها محمية من كل جوانبها بسياج الوصايا، حتى لا يقتحمها اللصوص أو الحيوانات المتوحشة. هي محاطة بحماية الوصايا ولا يمكن أن يفسدها الخنزير من الوعر ويرعاها وحسن البرية. (مز

: ١٣). إذا حفظ شخص حديقته، يُصبح أختًا وعروسًا لمن يقول، "أختي العروس جنة مغلقة".

تحتاج هذه الجنة إلى ينبوع لكي تظل يانعة ومروية على الدوام. لذلك يُضيف العريس ينبوعًا في تمجيد عروسه قائلاً: "**عين مقفلة مختوم**" [ع١٢]. ويعلمنا كتاب الأمثال عن هذا الينبوع: "لتكن لك وحدك وليس لأجانب معك" (أم ٥: ١٧). ويشهد النشيد على ذلك بقوله "مقفلة" أي محروسة. ويعني هذا، ومن وجهة نظري، وأن فضيلة تحلينا بالتعقل والمنطق تنمو وتفيض دائمًا. ثم تتحرك حوافز أفكارنا نحو ما هو مقبول ويساعدنا ذلك في اِكتساب الخير والصلاح. أما إذا حوّل أي شخص أفكاره نحو الشر فإن فيض المياه ينسكب على الغرباء. وإذا وجهنا عنايتنا لطريق الأشواك الذي ترونه الأفكار الشريرة فإن النباتات الجيدة تجف وتذوي لأن جذورها لا تنضج عليها مياه الأفكار الطيبة. تُخيف الأختام اللصوص وتمنعهم من اِقتحام الأماكن المختومة، وهكذا تحميها منهم وكل ما لا يُسرق يبقى محفوظًا لصاحبه. لذلك يشهد تمجيد النشيد للعروس بامتيازها في الفضيلة لأن عقلها بقي سليمًا من الأعداء ومحروسًا لسيدها في النقاء والهدوء. يختم النقاء هذا الينبوع طالما كان قلب العروس يشع بالشفافية، ولم يخيِّم عليه لوشاية الأفكار الشريرة. دعنا نوضح هذا كما يلى: إن صفات نفوسنا هي في الحقيقة مميزات خاصة بنا. وقد نقتني أشياء خارجية خاصة بأجسادنا. هل يوجد تشابه بين الطبيعة الروحية والمادة؟. ينصحنا كتاب الأمثال أن لا ندع ينبوع أفكارنا يضيع هباء على ما هو غريب عن أرواحنا أي ما يخص الجسد، بل نحوله إلى حديقتنا، ونرى به نباتات الله التي توجد في الفكر نفوسنا والتي تبقى مختومة، إذ تفيض خارجًا، تختم بختم الحق وتتشكل خلال الميل الفطري للخير.

دعنا نحوّل اِنتباهنا إلى ما يتلو من تمجيد، "**أغراسك فردوس رمان مع أغراس نفيسة فاغية ونادين. نادين وكركم. قصب الذريرة وقرفة مع كل عود اللبان. مرّ وعود مع كل أنفس الأطياب. ينبوع جنات بئر مياه حية وسيول من لبنان**" [ع١٣-١٥]. تمجد هذه الكلمات الرائعة الله في علاه. ماذا تعنيه هذه الآيات؟ يعرف القديس بولس وحده كيف يُعبر عن أسرار الروح القدس (١ كو ١٤: ١). كيف تكون العروس فردوس رمان؟ كيف تأتي الفاكهة االتوتية المختارة من الرومان؟ كيف تكوّن الفاكهة التوتية المختارة العديد من الروائح العطرة والتوابل؟

يوجد في الفاكهة التوتية المختارة السروّ والنادين والكركم. وقصب الذريرة والقرفة مع كل أنفس الأطياب من لبنان. ثم تمدح الحديقة وتسمى ينبوع الحدائق، وهي حية وتفيض مياه من لبنان. فإذا كانت الحقائق التي تكلمنا عنها في السابق حقيقة فإنها تمكننا من البحث عن العمق والغنى والحكمة ومعرفة الله (رو ١١: ٣٣). سنتخذ كلمة الله المقدسة كمرشد لنا لفهم محتوى هذا النص حتى لا يفوتنا أيّا من معانيها العظيمة. توجد جميع مفردات التمجيد التي ذُكرت في السابق والتي أُضيفت حاليًا إلى مديح العروس، وتعطيها قوة حتى يرتفع قلبها إلى أعلى، أي إلى المكان الذي يُرمز إليه "بالأخت والعريس" لكلمة الله. وتربط كل هذه التعبيرات

النفس كالعروس إلى عريسها. وحسب القديس بولس (أف ٥: ٢٣) تُعتبر النفس جسد واحد عندما ترتبط بعريسها الغير قابل للفساد بينما يُشير الإنجيل للإرادة إذ تحفز النفوس إلى روح المحبة والإخاء. ثم يمدح ثديي العروس التي تقدم الخمر بدلاً من اللبن، ويتضح أن هذا المديح يخص الإنتاج، لأنه لا يُمدح من لا يُنتج.

يُصنِّف عطر العروس كأحسن أنواع العطور ولا تُصنِّف العروس بأن لها هذا العطر، إلاّ إذا كانت تسعى جاهدة في التقدم في عمل الخير. ثم يُقارن قرص العسل بكلام العروس الذي يخرج من فمها، وتجهز الحكمة خليط اللبن والعسل الذي يوجد أسفل لسانها. وليست هذه كلمات ولكنها قوة، لأن كلمة الله يقود العروس لكي تصل إلى مستويات أعلى حتى يصبح فمها ينبوع العسل ولسانها بيت الكنز، المختلط بالحكمة. حيث تفكر بعمق في أرض الموعد التي تفيض لبنًا وعسلاً (تث ٦: ٣). وعندما يرفع كلمة الله عروسه إلى هذا المستوى من خلال صعودها إلى أعلى، يقودها إلى مستوى اسمي من ذلك قائلاً أن ملابسها لها رائحة خليط الأعشاب العطرة والبخور. يشهد الإنجيل أن المسيح له هذه الرائحة العطرة (أنظر غلا ٣: ٢٧، رو ١٣: ٤١). تصل الحياة الفاضلة في النهاية إلى الشركة مع الله لأن رائحة خليط الأعشاب العطرة والبخور هي مظهر القداسة. لا يقود كلمة الله النفس دائمًا إلى أعلى بواسطة اللبن والعسل، ولكن بعد مقارنة النفس برائحة خليط الأعشاب العطرة والبخور، تصبح الحديقة (النفس) صورة من الفردوس. وحراستها ليست بسيطة كما كان الحال مع جدودنا الأوائل لكنها محمية من كل ناحية بواسطة حفظ وصايا العريس.

هل ترى الآن قدرة العروس على الصعود إلى أعلى؟ اَرني مرة أخرى الخطوة التي تلي هذه المرحلة. فالحديقة التي تحمل ثمارها المفرحة محوّطة ومحمية كما أنها أيضًا تحولت إلى نبع ماء صالح للشرب ومختوم، ولكن العروس لا تتكون من هذه العناصر، لأنها تُسرع إلى الوصول إلى شيء أعظم، وهو حديقة مزهرة من فمها. فإذا قرأنا النص العبري بتدقيق نجد أنه يعني الآتي: الفروع المزهرة الخارجة من فمك هي حديقة رمان. كلمة "الرائحة" الخارجة من فمك هي حديقة رمان. تحمل شجرة الرمان كل نوع من الفاكهة: سروّ بالناردين، كركم، قصب الذريرة والقرفة وكل نوع من الأطياب من لبنان ومرّ، وعود وأحسن الأطياب. لذلك فبمساعدة الله وحسب النعمة الموجودة بالمز تضع العروس درجات الترفي هذه في قلبها متدرجة من قوة إلى قوة (مز ٨٤: ٦-٧). يُعرف ما يصدر من فم العروس عند مرحلة كاملة من تقدمها. ويستعمل النص التعبير "يصدر" لكي يوضح الهدف الآتي: إن أي شيء يُرسل يصل إلى أيادي الواحد الذي يستقبله. يُعلمنا الرسول أن التلاميذ أُرسلوا لكي يبشروا بالحق وسمَّاهم كلمة الله بالرسل (لو ٦: ١٣)، ما الذي يصدر إذن من فم العروس؟ يتضح أن كلمة الإيمان تُصبح حديقة تنبت في قلوب الذين يتقبلونها. ويُسمى البستان الذي تنموا فيه أشجارًا كثيرة، بالحديقة.

لكي نعرف النباتات التي يزرعها كلمة الله في المؤمنين يسمي النشيد هذه بأشجار الرمان. وتصدر هذه من فم العروس. يصعب سرقة فاكهة الرومان لأن

فروع الشجرة تحمل أشواكًا حادة. وتحاط الفاكهة بغطاء سميك يصعب تمزيقه كما أن مذاقه مُرّ. وعندما ينضج الرومان في الوقت المناسب، يتمزق الغطاء الخارجي ويكتشف عما بداخله من فاكهة حلوة المذاق وجذابة للنظر وتقرب من العسل في حلاوتها، وتشبه عصارتها الخمر في مذاقها ومبهجة لبلعها. إني أفتكر أن ما تصدره العروس من فمها هو "حديقة رومان" موجودة في نفوس من يستمعون لها. لذلك يلزم أن نهتم ونعي كلمات العروس ولا نضعف ونشبع رغبات ومسرات هذه الحياة بل يجب أن نختار الحياة المنضبطة والتي يمكن بها أن نجابه الصعوبات. لذلك لا يمكن للصوص أن يحصلوا على ثمرة الفضيلة لأنها محمية بالغطاء المرّ لضبط النفس. ومحاطة بطريقة حياة حازمة وجادة، وتطرد بعيدًا كل من يحاول الاقتراب من الثمرة بوازع شرير وكأن لها أشواك حادة.

وعندما يقترب موسم التمتع بمذاق الرومان يُقدم لنا نوعًا آخر من الفاكهة لنُسرّ به تُنتجه أشجار أخرى، ليست برقوقًا أو بلحًا أو أي فاكهة أخرى للتمتع بها، ولكن أنواعًا عدة من الأطياب فيُخلط السوّ بإيداع مع النارد: أحدهما دافئ بينما الآخر ذا رائحة عطرة. لا يُمدح الدفئ إذا سببت حرارته رائحة غير مقبولة. ولكن يلزم للطهارة أن تساعد الدفئ فتشهد أننا على نار مع الروح، وأننا تطرنا من كل نوع ردئ من الدفئ.

ويوجد بين ثمار العروس أنواعًا أخرى من العطور مثل النارد والكركم، ويبقى لنا أن نتكلم عن رمز الكركم. ومن يعرف هذه الزهرة يحكم أنها لا توحي بالحرارة أو البرودة. أنها تتفادى المبالغة في كل ناحية، ولكن عندها القدرة على تخفيف الألم. ويوضح النشيد بأنه يُعلم بطريقة سريّة عن الفضيلة بواسطة الكركم ويظهر أن كل فضيلة تقع بين شرّين: نقص أو فيض الأ في الخير. مثال ذلك يمكن ملاحظة أن الشجاعة والكرم، كأنهما توجدان بين الجبن والمغامرة بينما تقع صفة الكرم بين البخل والتبذير. ويعتبر الجبن والبخل نقائض بالنسبة لمستوى الخلق العادي ولذلك فهي شر. ويتبع التبذير والتهور، الزيادة عن المعدل والكثرة الفائضة، بينما يُعتبر المتوسط بينهما من الفضائل. لذلك يتبع الكركم الفضيلة كما جاء في النشيد وذلك لقوته على تعديل وتجنب الزيادة أو النقصان في الفضيلة.

يظهر هذا التوضيح مناسبًا، لذلك أقول أن سرّ الكركم يشير بصدق إلى إيماننا. وهذه الزهرة، ذات الورقه الخارجية واللون المعتم، هي في الحقيقة ثلاثة زهور، فالزهرة الخارجية لونها معتم، وعندما تسقط البتلات التي تحيط بها تظهر ثلاث زهرات تُستخدم في العلاج الطبي. وتتشابه هذه الزهرات المختفية تحت البتلات في الحجم والرائحة والجمال والخواص. فلونها جميل ورائحتها عطرة ولها فائدة طبية. ويوجد ثلاث زهرات أخرى صفراء اللون تشبه الآولى ولكن ليس لها فائدة طبية. وقد يقطف من يجهل هذه الخواص الزهور عديمة القيمة بدلاً من المفيدة. وبالمثل يبتعد الأشخاص عن الإيمان الحقيقي عندما يختارون الأخطاء (المزيفة) المختفية بدلاً من التعاليم الصحيحة. ليختار المستمع أحد أو كِلا التفسيرين حسب حُكمه لأن لكليهما نفس المعنى إذا نظرنا إليها بطريقة معينة، إحداهما يقترح التكامل في الفضيلة ويوجه الثاني إلى الحصول على الطهارة

والقداسة. وفي الحقيقة لا تختلف الفضيلة عن القداسة.

دعنا الآن نختبر بقية العطور التي ذكرت في النص: قصب الذريرة والقرفة ومجموعة من الفواكه التوتية. والأخيرة هي الرمان التي تتبع حديقة العروس. ولقصب الذريرة رائحة أعطر من جميع الأطياب ويستعمل في ذبيحة الكهنة حسب الوصية (خر ٣٠: ٢٣). تستعمل القرفة في نواحي عديدة لقوتها الطبيعية ويصعب تصديق بعض اِستعمالاتها ويشير البعض أنه إذا وضعنا كمية صغيرة من القرفة في ماء يغلي فإنه يبرد في الحال وأيضًا، عندما توضع القرفة في حمام ساخن فإن الهواء الدافئ يصبح باردًا. ويقال أن للقرفة القوة على تحطيم أي مركب، يتكون من المادة بعد فسادها وتظهر أن الأمثلة الأخرى التي تقال عن القرفة لا يمكن تصديقها فقد قيل أنه إذا وضعنا قرفة في فم شخص نائم، فإنه لا يمتنع عن إجابة سؤال، بل يظل نائمًا ويعطى إجابة واعية وكاملة على السؤال. لا يمكن تأكيد هذه النتائج إلا بعد عمل تجارب، وإلا يكون من الحمق الاعتقاد في صحة هذه النتائج. وعلى أي حال فالقرفة تدرج في كتالوج التوتية المختارة، لأن لها أهمية روحية. لا تنمو القرفة على شجرة الرمان، لا ينمو من فم العروس أي حدائق حقيقية ولكن ذلك له معنى رمزي، واعتقد أنه لا يجب أن نهمل أي قصص عن القرفة أو أي شيء يتصل بهذا الموضوع.

يمكن أن نفهم مما سبق أن كل عنصر رمزي يوضح الحياة الكاملة حسب الفضيلة. ويمكننا أن نقول ونعلّم بأن القرفة توجد بالنفس. عندما يمتلئ الشخص برغبة جامحة أو يحترق بالغضب فإنه يتمكن من التحكم بالمنطق لكي يُطفئ نار الانفعالات. أنه يشبه إلى حد كبير النوم في هذه الحياة. فإذا وضعت القرفة، التي تساعد على التيقظ والمنطق، في فمك فإنك سوف تُظهر بوضوح الصفات التي تحفزها. ويشبه ذلك الملائكة الذين لا ينامون لأنهم دائمًا قائمين على الحراسة. لذلك فإنك تقول الصدق، وهكذا تقلد الملائكة التي لا تنام والتي لا تهرب من مواجهة الحق بواسطة خيالات غير واقعية. لذلك يمكن القول أن القرفة تنفخ في فمك لكي تُطفئ نار الانفعالات وأي غضب يغلي في قلبك، ونتيجة لذلك يُنقي المنطق والتعقل من الأوهام التي تشبه الأحلام والارتباك في الحياة الحاضرة. وكل من لا يفهم هذه الحقائق عن القرفة قد يتوهم خطأ في نص النشيد الذي يصف العروس بكلمات تبدو غير حقيقية (أو واقعية).

يتضمن الكتاب المقدس الكثير من القصص المأخوذة من مصادر أخرى. ويذكر دون تحفظ الأسماء من القصص التاريخية حتى يوضح مضمونها، مثل بنات أيوب اللائي تم مدحهن إلى أقصى حد. وتشير أسماؤهن العظيمة إلى شيء بديع: وكان اسم الأولى يميمة والثانية قصيعة والثالثة قرن هفوك (أي ٤٢: ١٤). ويتضح أن قصة قرن هفوك توجد بالقصص الأغرتعى القديم: حيث كان ماعزها البري مغرمًا بالماعز الذي كان يعيش في جزيرة كريت والذي فقد قرنه نتيجة لذلك، وفاضت منه كل أنواع الثمار. هل نصدق ما تقوله المخطوطات عن قرن هفوك؟ كلا بالتأكيد، ولكن تشير الثمار الناتجة عن الفضيلة كما هو موضح من أسماء بنات أيوب. ويسمح الكتاب المقدس باستخدام مثل هذه الأسماء الواردة في قصص

المخطوطات. ولا نتعلم من هذه التعبيرات عن المواد العطرة ولا عن مسار الشمس على الأرض: نحن نعلن أن السلوك الفاضل في هذه الحياة، هو وحدة الذي يعطي معنى الأسماء ويشير اسم قصيعة إلى النقاء والرائحة العطرة وعلى الصفات اللآزمة للحياة. بينما يرمز اسم يميمة إلى النهار، وكما يقول القديس بولس: "لأنكم كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور في الرب" (أف ٥: ٨). يصبح مديح العروس ذا قيمة عالية بالارتباط مع القرفة ومل ترمز إليه من نقاء.

يُظهر الشخص بداخله الصورة المقدسة على الدوام، متى وصل إلى النقاء وحصل على قمة المديح. ويقول أصحاب الرؤية الصائبة والملاحظة الدقيقة عن هذا النص "ينبوع جنات، بئر مياه حية وسيول من لبنان" أن غابات لبنان التي يفيح منها رائحة خليط الأعشاب العطرة والبخور ليست نوعًا واحدًا، إذ يوجد أنواع مختلفة من الأشجار وينبوع العطر حسب نوع الشجر. لذلك فالشخص الذي يتصف بالقداسة في أي ناحية من نواحي حياته يشهد بجمال غابات لبنان التي تشير إلى الصورة المقدسة.

لا يمكن لأي شخص أن ينال شركة مجد الرب دون أن يشترك أولاً في الآم السيد المسيح متشبهًا بموته (في ٣: ١٠). لذلك، فسلسلة "عطور" المديح تذكر الفاكهة التوتية للرمان. وبالإضافة إليها االمرّ والعود وبقية التوابل (العطور) الأساسية. يشترك المرّ والعود في بعض صفات قبر السيد المسيح، كما يقول الإنجيل المقدس: "وجاء أيضًا نيقوديموس الذي أتى أولاً إلى يسوع ليلاً وهو حامل مزيج مرٍ وعود مائة منًّا" (يو ١٩: ٣٩)، إن الذي دُفن ذاق الموت من أجلنا. تظهر لنا "العطورٍ الأساسية" النقاء وحياة خالية من السلوك العشوائي المغامر. ويقدم لنا عاموس نقيض ذلك كالآتي: "الشارِبون من كؤوس الخمر، والذين يدهنون بأفضل الأدهان" (عا ٦:٦). ويذكر عاموس قبل ذلك بقليل: "الآكلون خرافًا من الغنم وعجولاً من وسط الصيرة. الهاذرون مع صوت الرباب المخترعون لأنفسهم الآتي الغناء كداود" (عا ٤: ٥). لا تُخلط خمر العنب بالطين ولا يُلوث نقاء رائحة العطر بخلطه بالتوابل. غير أنه كان على الإسرائيليين أن يؤنَّبوا بواسطة هذه النبوءة لأنهم حملوا الكلمة النقية المقدسة المصفاه من كل الرواسب. وكان لديهم عطر التوابل النقي وتمتعوا بالاحتفالات الروحية في جميع العصور، وبالرغم من ذلك لم يرفضوا الاشتراك في الشرور. فغيروا الخمر الصافية إلى فضلات معكرة ونقاء العطور الأساسية إلى خليط ضار من الأفكار الشريرة. ولكن ينسب النشيد الشريعة النقية غير المزيفة إلى العروس لأنها أنتجت "العطور الأساسية".

لا تبقى العروس هنا، إنها لم تصل بعد إلى ما هو أعلى، ولم يُشير النص على صعودها، ولكن يصدر من فم العروس رمان وحدائق للأعشاب العطرة (التوابل). لقد أصبحت الآن ينبوع يفيض منها ويرى الحدائق. نحن لم نتعلم ذلك مثل ما حدث لبولس وأبلوس، إحداهما زرع والآخر رَوَى (١ كو ٣: ٦)، فكلاهما استخدم زراعة وريّ العروس الحدائق. قد يحتوي تمجيد العروس على شيء اسمي. يقول النص أن العروس هي النبع الذي لا يفيض مع النهيرات، ولكن يفيض بحدائق، لذلك عمل الرسول المقدس "الحدائق الحية" الذي عاش بينهم وعمل حديقة الكنيسة التي

ارتفعت من خلال عظاته.

بعد ذلك يرفع النشيد العروس إلى أعلى قمة للمجد، مُضفيًا عليها اسم ينبوع المياه الحيّة المتدفقة من لبنان. لقد تعلمنا من الكتاب المقدس عن طبيعة الله المعطية للحياة كنبوءة من شخص الله تقول: "تركوني أنا ينبوع المياه الحيّة" (إر ٢:). ثم يقول السيد المسيح للمرأة السامرية: "أجاب يسوع وقال لها، لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك اِعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيّا" (يو ٤: ١٠). ثم قال: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حيّ. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه" (يو ٧: ٣٧-٣٩). تقول كل من هذه الفقرات أن الماء الحي هو الطبيعة المقدسة، لذلك جاء للنشيد أن يسمي العروس بصدق بئر ماء حي يفيض من لبنان. هذا في الحقيقة يتعارض مع ما هو معروف فجميع الآبار تحتوي مياه ساكنة، والعروس فقط عندها مياه جارية في بئر عميق ومياهها تفيض بِاستمرار. من يتمكن ويستحق أن يفهم العجائب الممنوحة للعروس؟ يتضح أنها قد وصلت إلى أقصى ما تتمناه فقد قورنت بالجمال الأبدي الذي منه نشأ كل جمال. وفي نبعها تشبه نبع عريسها تمامًا، وحياته بحياتها وماؤه بمائها. إن كلمة حي وبه تحيا كل نفس تستقبله. هذه المياه تفيض من الله كما يقول ينبوع المياه الحيّة: "لأني خرجت من قبل الله وأتيت" (يو ٨: ٤٢). تحفظ العروس فيض ماؤه الحي في بئر نفسها وتصبح بيت كنز لهذه المياه الحيّة التي تفيض من لبنان أي التي تكوّن سيول من لبنان، كما يقول النص. لقد أصبحنا في شركة مع الله بامتلاكنا هذه البئر حتى نحقق وصية الحكمة (أم ٥: ١٧-١٨)، ونشرب مياها من بئرنا وليست من بئر آخر. نعمل هذا في المسيح ربنا له المجد والعظمة إلى الأبد آمين.

العظة العاشرة

تحتوي كلمات النشيد المقدسة بعض الأفكار المخفية وكأن عليها نقاب سميك تختفي وراءه فتبدوا صعبة في الفهم. لذلك يلزم أن نوجه اِهتمامًا كبيرا للنص. وفي الحقيقة نحن نحتاج مساعدة من خلال الصلاة وقيادة الروح القدس حتى لا تضيع منا المعاني مثل من يتطلع إلى معرفة أسرار النجوم. فعندما نتطلع إلى جمال النجوم البعيدة لا نعرف كيف خُلقت ولكننا نتمتع بجمالها ونتعجب للمعانها وأوضاعها في السماء. تضيء بعض النجوم التي ذكرت في الكتاب المقدس وتتلألأ وتملأ عينا النفس بالضياء، كما يقول النبي: "لأنه مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض" (مز ١٠٣: ١١). فإذا كان هذا مكان صعود نفوسنا، كما في مثال إيليا حيث تخطف عقولنا إلى أعلى في المركبة النارية (٢ مل ٢: ١١) وترتفع إلى الجمال السماوي. نحن نفهم أن المركبة النارية هي الروح القدس الذي أتى الله ليمنحها للساكنين على الأرض، على هيئة ألسنة قُسمت على التلاميذ. سوف لا نيأس من الاقتراب من النجوم، أي من البحث في الأمور المقدسة التي تضيء نفوسنا بكلمة الله السماوية الروحية.

اُنظر أعلى بعين نفسك، أنا أكلمك أيها المستمع بنفس صوت الله الذي كلم أبونا إبراهيم (تك ١٥: ٥). اُنظر إلى السماء وتطلع إلى النجوم وتأمل في سمو ارتفاعها تأمل في سلطة الملكة (أي العروس) وابحث في قوة أوامرها. إنها تحصل على رغباتها بالصوت الحقيقي لمن أعطى الوعود أنه "الله" الأمين القادر المعطي الذي عيّنه الآب على جميع؟؟؟ (لو ١٢: ٤٢). وبعدما قبلت هذه السلطة، تحكم الملكة الريح بطريقة ملكية، وتوزعها كما يتراءى لها أنه مناسب، فتأمر ريح الشمال أن تستيقظ وتهب وتنادي ريح الجنوب بلطف وتحفزها لكي تأتي إليها.

يقول النص: **"استيقظي يا ريح الشمال وتعالي يا ريح الجنوب"** [ع١٦]. يحمل أن ترتبط هذه الكلمات بأوامر قائد المائة الذي تعجب منه السيد المسيح. وقد دوّن متى البشير ذلك بقوله: "لأني أنا أيضًا إنسان تحت سلطان. لي جند تحت يدي. أقول لهذا أذهب فيذهب ولآخر إيت فيأتي ولعبدي أفعل هذا فيفعل. فلما سمع يسوع تعجب. وقال للذين يتبعون. الحق أقول لكم لم أجد ولا في إسرائيل إيمانا بمقدار هذا" (مت ٨: ٩-١٠). وهكذا فاق إيمان قائد المائة إيمان إسرائيل. لا يظهر لي أنه يجب أن نقارن قائد المائة بشعب إسرائيل في موضوع الإيمان ولكن إسرائيل نفسه. يشير الكتاب المقدس إلى صراع يعقوب. "فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب فخذه. فاِنخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر. فقال لا أطلقك إن لم تباركني.

فقال له ما اسمك. فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك. فقال لماذا تسأل عن اسمي. وباركه هناك" (تك ٣٢: ٢٤-٢٩). اشتبك يعقوب في الصراع ونجا من السقوط بمساعدة الله. ولم تكن عنده مناعة ضد

الصراع لأنه جُرح في فخذه. لقد عمل قائد المائة الذي يتكلم عنه النص الآن، على تنفيذ إرادة الملك وتذليل كل عقبة ضد رغباته. لذلك يظهر لي أن قائد المائة يستحق كل إعجاب، لأنه يعطي أوامر لجنوده فيطيعونه ولخَدمه فيقومون بكل ما يطلب منهم من أعمال. توضح كلمات قائد المائة أنه إذا طرد خادمه فإنه لا يُرجعه مرة ثانية إلي منزله بل يُعيّن خادمًا آخر بدلاً منه.

اعتقد أن النص يعلمنا أن العناصر المتضاربة تختلف في طبيعتها ولا يمكن أن توجد في مكان واحد في نفس الوقت. لا توجد شركة للنور مع الظلمة، كما يقول القديس بولس. (٢كو ٦: ١٤)، ولكن إذا انسحب كل الظلام يلزم للنور أن يأخذ مكانه، وأيضًا متى أُزيل الشرّ فإن الفضيلة تأخذ مكانه. وعند ما يتم هذا فإن قوة الجسد لا تتمكن من مقاومة الروح القدس، فإماتة الجسد تفقده معارضة الروح. فيصبح الجسد وديع الطباع في جميع الظروف وخادمًا مطيعًا لحكم الروح القدس. فعندما يختفي الجندي الخبيث القاسي وشره، يحل محله الجندي المسلح بالفضيلة، وهو يلبس درع البرّ على صدره ويحمل سيف الروح القدس ويحميه سلاح الله الكامل وخوذة الخلاص وترس الإيمان وسيف الروح (أف ٦: ١٤-١٧). لذلك يسلك الجسد كخادم للسيد وهو العقل، ويستجيب لكل أوامره في الفضيلة التي تعمل لخدمة الجسد. ويوضح النص ذلك بقوله أقول لخادمي، اِعمل هذا فينفذه.

**هل الكلام السابق متمم للكلام اللاحق؟؟؟

كرويّة، فإذا أضيء نصف الأرض بالشمس يكون النصف المقابل له مظلمًا لوقوعه في منطقة ظل الأرض. ولما كان القطب الشمالي للأرض باردًا بِاستمرار ولا تدفئه أو تضيئه أشعة الشمس، فإن القوة المتحكمة في الظلمة تُحجز النفوس وتجعلها جامدة، يسمي النشيد هذا التجمد، "الشمال" أي تأثير ظلام الشتاء. إني أسميه الشتاء الذي أشار إليه الإنجيل قائلاً: "وصلوا لكي لا يكون هربكم في الشتاء" (مت ٢٤: ٢٠). وفي الشتاء تنطفئ الصفات المزدهرة حسب الفضيلة.

أصابت الملكة حينما أمرت بسلطانها دفع ريح الشمال بعيدًا. ونادت على ريح منتصف النهار الدافئ الذي تسميه ريح الجنوب، وبواسطته يفيض تيار جارف من السرور: "تعالي يا ريح الجنوب، هبِّي على جنتي فتقطر أطيابها". وتشبِه هذه الريح القوية التي سُميت في العلية عندما كان التلاميذ فيها (أع ٢:٢) "وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم". وكأنهم نباتات حية تساعد هذه الريح حديقة الله على إنتاج الأعشاب العطرة، وتصدر نبوءات يفوح منها روائح ذكية ووصايا الخلاص للإيمان بفم الرسل ويخرج منها عطر تعاليمهم بكل اللغات. لقد جعلت ريح الجنوب هذه تعاليم المائة والعشرين رسولاً الذين كانوا نابتين في بيت الرب تفيض على كل أمم الأرض (أع ١: ١٥).

تقول العروس الآن لريح الجنوب "هبِّي على جنتي"، لأن عريسها جعلها أمًا للحدائق: ويشمل النص حدائق وينبوع. من أجل هذا يرغب العريس لحديقته، الكنيسة، التي تمتلئ بالأشجار الحيّة، أن تهب عليها هذه الريح، لكي تحمل منها روائح عطورها. ويقول النبي: "الريح العاصفة الصانعة كلمته" (مز ١٤٨: ٨). تزينت العروس بزينة الملكة البهية، وغيّرت النهيرات التي تفيض عطرًا إلى شيء أكثر جمالاً، فجعلتها تفيض من أشجار الحدائق بواسطة قوة الروح القدس. ويمكننا بهذه الصورة أن نتعلم الفرق بين العهدين القديم والجديد: يمتلئ نهر النبوة بالمياه بينما تمتلئ أنهار الإنجيل بالعطر. وكان نهر القديس بولس يحمل رائحة المسيح العطرة، ويفيض من حديقة الكنيسة بواسطة الروح القدس. والأمثلة الأخرى كيوحنا، ولوقا ومتى ومرقس وجميع الرسل الآخرين كلهم يرمزون إلى نباتات نبيلة في حديقة العروس، وعندما تهب عليها في منتصف الظهيرة تصير ريح الجنوب جميعًا ينابيع عطور لرائحة الأناجيل الذكية.

"ليأت حبيبي إلى جنته ويأكل ثمرة النفيس" [ع١٦]. أنه لتعبير جريء من نفس ممتلئة حماسًا وروعة ترتفع على كل تعجب. من تدعوه العروس لوليمتها التي تتكون من فاكهتها الخاصة؟ لمن تُجهز العروس وليمتها التي أقامتها من مصادرها الخاصة؟ من تدعوه العروس لكي يأكل مما عرضته؟ "هو الذي منه وبه وله كل الأشياء" (رو ١١: ٣٦). أنه يعطي كل شخص طعامه في حينه (مز ١٤٥: ١٥)، يفتح يده ويملأ كل كائن حي بالنعيم. هو الخبز النازل من السماء (يو ٦: ٤١)، هو الذي يعطي الحياة للعالم ويجعل المياه تفيض من نبعه الخاص للحياة. هذا هو الواحد الذي تُرتب العروس له مائدتها. وهي الحديقة التي تنبت منها أشجار حيّة. ترمز الأشجار إلينا وتُشير أرواحنا المُخلصة إلى الطعام المُقدم له. وقال لتلاميذه: "أنا لي طعام لآكل لستم تعرفونه أنتم" (يو ٤: ٣٢، ٣٤). تتميم إرادة الله المقدسة:

"فهو يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١ تي ٢: ٤). فهذا الخلاص هو الغذاء الذي يُجهز له. تعطي إرادتنا الحرة الثمرة لله وهي أرواحنا، ليقطفها من على غصنها الصغير. تمتعت العروس في البداية بثمرة التفاح حلوة المذاق قائلة "وثمرته حلوة لحلقي" (نش ٢: ٣). ثم أصبحت هي نفسها الثمرة الجميلة الحلوة التي قُدمت للراعي ليتمتع بها.

تشير الكلمات "ليأت إلى" إلى إعطاء حرية الاختيار مثل "ليتقدس اسمك" "ولتكن مشيئتك" وكما توضح هاتان الفقرتان حرية الاختيار فإن صلاة العروس "ليأت إلى" تشير إلى الله مانح ثمار الفضيلة وإلى نزول العريس من أجل حبه للبشرية. لا يمكن لنا أن ترتفع إلى أعلى السماوات بدون أن ينزل هو إلى الودعاء ويرفعهم (مز ١٤٧: ٦)، لذلك تنادي النفس التي ترتفع إلى أعلى على الله الذي لا حدود له وتصلي له لكي ينزل من علياء عظمته حتى يتمكن من يعيشون على الأرض أن يقتربوا منه. وبينما كنت تتكلم يجيب الرب "هأنذا" (إش ٥٨: ٩). سمع الرب ما كان يدور بخلد العروس، ومنحها سؤل قلبها، وأتى إلى حديقتها عندما كان ريح الجنوب يهب، والتقط ثمار أطيابها، وإمتلأ بثمار الفضيلة وتكلم عن وليمته قائلاً: "قد دخلْتِ جنتي يا أختي العروس. قطفت مرّي مع طيبي. أكلت شهدي مع عسلي. شربت خمري مع لبني. كلوا أيها الأصحاب اِشربوا واِسكروا أيها الأحباء" [ع١]. هل ترى الآن كيف تفوق عطية العريس على ما تطلبه العروس؟ أرادت العروس ينابيع من الأطياب في حديقتها وأن يهبّ على نباتاتها ريح الجنوب في منتصف النهار، وأن ينال راعي الحديقة الثمار التوتية حسب اختياره. يتضح أن كل رائحة طيبة تُدخل السرور عند شمِّها، بينما الثمار التوتية المختارة ليست في مستوى الخبز كغذاء صحي للجسم. غيّر العريس الثمار إلى أنواع أفضل عندما نزل إلى حديقة. ثم جمع منها المرّ والأعشاب العطرة. ويتبعني النبي بكل ما هو جميل في العريس (زك ٩: ١٧). جعل العريس الأشجار تُنتج الخبز الذي خلطه بعسله بدلاً من الثمار التوتية المختارة. (هنا يوجد تقرير نبوي وهو عسل العريس وغيره من المسرات. وتخلط الخمر المشتقة من الأشجار بمثل هذه الثمار، يها! إن التمتع بالإضافة إلى عطر ثمرة العروس هو المرّ المتحد مع الأعشاب العطرة. إنها تُميت أعضائنا الأرضية وتبقى وتنقي الحياة وتجعلها عطرة من أطياب الفضيلة المختلفة.

يجد الشخص الذي يبحث عن غذاء أكثر كمالاً، الخبز الذي لا يأكلونه الآن مع الأعشاب المرة كما تأمر الوصايا (خر ١٢: ٨). هذه الحياة مرة، والاختيار الأحسن يحوّل العسل إلى غذاء جامد في الوقت المناسب وتضيف ثمرة الفضيلة حلاوة إلى حواس النفس. حدث مثل هذا عندما ظهر خُبز السماء للتلاميذ بعد قيامة السيد المسيح. لقد صار طعمها حلوًا بالعسل من قرص الشهد. يقدم للشخص العطشان كوبًا من الخمر واللبن وليس مرارة على إسفنجة مبللة بالخل (مر ١٥: ٣)، كما قدم اليهود لمخلصهم كأس الصداقة على خشبة. حقيقة نحن لا نجهل السرّ الضمني وراء هذه الكلمات، أي كيف كان القديس بولس شجرة تحمل المرّ والذي كان يموت كل يوم (١ كو ١٥: ٣١)، الذي وضع نفسه تحت حكم الموت، وأصبح عطرًا الحياة لهؤلاء الذين خلصوا بواسطة رائحته الطيبة ونقاؤه وتفانيه. طحن

بولس النباتات الحيّة بالحديقة وحوّلها إلى قمح ليقدمها لله. شهد الجالس على العرش لهذا بقوله: "كنت جوعانًا فاطعمتموني" (مت ٢٥: ٣٥). إن خبز الفرح هو السعادة المحلاة بعسل الوصية. تصب العروس نباتات الحديقة المزهرة كخمر لعريسها الذي قال: "كنت عطشانًا فسقيتموني" خمر مخروج باللبن، وليس بالماء كما يفعل أصحاب محلات بيع الخمور. اللبن النقي عديم الغش هو الغذاء البسيط للبشر (١ بط ٢:٢)، أنه غير ممزوج بأي شيء آخر، ونقي من أي مصدر للشر.

وبعدما خاطب العريس العروس، قدم النشيد إلى أصدقاء العروس سرّ الإنجيل قائلاً: "**كلوا أيها الأصحاب، اِشربوا وأسكروا أيها الأحباء**" [ع١]. فالشخص الذي يعرف كلمات الإنجيل الروحية يجد أنه لا فرق بين هذه الآيه والكلمات التي قيلت عند بدء الخدمة الروحية للتلاميذ. ففي كلا الحالتين تقول الكلمات: "كلوا واشربوا" (مت ٢٦:٢٦-٢٧). ويظهر أن تشجيع العروس لأصدقائها كان أكبر مما كان للتلاميذ. لكن من يفحص النصين بدقة يتبين له أن كلمات النشيد تتفق مع ما جاء بالإنجيل. فالكلمة التي وُجهت للأصدقاء أنتجت ثمرها في الإنجيل. تتغلب الخمر على العقل ويصبح المخمور في حالة من السعادة والفرح. لذلك يُصبح ما يشجع به النشيد حقيقة بواسطة هذا الغذاء والشراب المقدس للإنجيل. لذلك يحتوي هذا الغذاء والشراب الآن ودائمًا القدرة على التغيُّر المستمر والفرح من حالة دنيا إلى حالة أحسن.

وكما يقول النبي: "لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نورًا" (مز ٣٦: ٩). فالذين يشربون من غنى بيت الله. من نهر فرحه ينتشون. وأيضًا انتشى داود العظيم لأنه خرج من نطاق نفسه إلى آفاق الفرح والسعادة الغامرة: فقد رأى الجمال الغير منظور، وصرخ بصوته الذي تقوده القوى المقدسة: "لماذا يقول الأمم أين هو إلههم" (مز ١١٥: ٢). يشرح داود بهذا التعبير كنوز الله العظيمة جدًا التي تعلو عن التعبير عنها. وقال بولس، بنيامين الجديد، وهو في نشوة السعادة والفرح العظيم: "لأننا إن صرنا مختلفين فللّه - تُعتبر النشوة والسعادة حركة ناحية الله - أو كنا عاقلين فلكم" (٢ كو ٥: ١٣). وأشار بولس بطريقة مماثلة إلى فستوس قائلاً: "لست أهذي أيها العزيز فستوس بل أنطق بكلمات الصدق والصحو" (أع ٢٦: ٢٥).

شارك القديس بطرس في هذا النوع من الغيبة عندما كان جوعانًا ومخمورًا في نفس الوقت. كان بطرس جوعانًا قبل أن يقدم له الغذاء المادي وأراد أن يتذوقه، وبينما كان أعضاء عائلته يجهزون الطعام (أع ١٠:١٠) جرب بطرس هذه الغيبة المقدسة الصاحية. وخرج من نفسه بواسطتها ورأى الرؤيا الآتية: "فرأي السماء مفتوحة وإناء نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض. وكان فيها دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء. وصار إليه صوت قم يا بطرس وإذبح وكل. فقال بطرس كلا يا رب لم آكل قط شيئًا دنسًا أو نجسًا. فصار إليه أيضًا صوت ثانية ما طهره الله لا تدنسه أنت. وكان هذا على ثلاث مرات" (أع ١٠: ١١-١٥). نتعلم من الصوت الذي ناداه في المرة الأولى أن الله الآب هو الذي يُطهر، وفي المرة الثانية أن الابن الوحيد هو الذي يُطهر وفي المرة

الثالثة أن الروح القدس هو الذي يطهر كل شيء. تحدث هذه الغيبة من الخمر الذي يقدمه الله لكل من يجلس على مائدته. فالله يُشجع بحق كل من يعيش حياة الفضيلة ويقترب منه، وليس البعيدين عنه: "كلوا أيها الأصحاب اشربوا واسكروا أيها الأحياء". "لأن الذي يأكل ويشرب بدون اِستحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب" (١ كو ١١: ٢٩)، فهو يطلق كلمة "إخوة" على المستحقين لهذا الطعام. "لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي" (مر ٣: ٣٥).

ينام الإنسان بعد ما يدخل في غيبة، وفي أثناء النوم يتم هضم الطعام وتُحفظ صحة من يشاركون في مائدة الاحتفال. لذلك تنام العروس بعد الاحتفال. ويُعتبر هذا النوم غير مألوفٍ، ويختلف عن النوم العادي الذي لا يكون الشخص فيه غير واعٍ بما حوله. وكلاهما يضادان بعضهما البعض لأن النوم والاستيقاظ يتلو أحدهما الآخر. ونرى في العروس خليط من التعارض المميّز: تقول "**أنا نائمة وقلبي مستيقظ**" [ع٢]، ماذا نفهم من هذه الآية؟ يشبه هذا النوم الموت، وفيه تتوقف كل وظائف الإحساس: فلا توجد رؤية أو سمع أو شم أو تذوق أو إحساس باللمس، ولكن ينخفض ضغط الدم. وينسى الشخص القلق أثناء النوم ويهدأ انفعال الخوف، ويقلل الغضب وينخفض القلق من التجارب المريرة، ويجعل الشخص غير واع بالشرور. لذلك، نتعلم من العروس أنها ارتفعت وتفخر قائلة: "أنا نائمة وقلبي مستيقظ".

يظهر أن الجسم يُغلب على أمره أثناء النوم وذلك بفقدانه المؤقت للحواس بينما يبقى العقل وحيدًا وغير مضطرب بالحواس. ويمكن أن نقول بحق أن الرؤية تستريح لعدم القيام بوظيفتها بينما تزدري النفس بالرؤى التي تُخيف الأطفال الصغار. إني لا أتكلم فقط على الأشياء المادية مثل الذهب والفضة والأحجار الكريمة التي تثير العيون الطامعة ولكني أقصد العجائب السماوية العظيمة: النجوم المتلألئة وما يظهر من تغيرات على كرة الشمس والقمر وأي شيء آخر مما يبهج العيون.

وجميع هذه سوف لا تبقى إلى الأبد ولكنها تتحرك وتبتعد مع دورة الزمن. ولكن عندما نفكر بعمق في عظمة الله يقل تقديرنا لهذه العجائب، وتتعب العين من النظر إليها ولا تنجذب النفس الكاملة إلى أي شيء مرئي بل تتأمل بالفكر في كل ما يسمو فوق ما هو حسن. وحتى السمع يتوقف عن القيام بوظيفته لأنه يهتم الآن بما وراء الكلام وتبتعد الروح عن حواسنا الحيوانية وهي التي تتمتع بالروائح العطرة وحاسة الذوق التي تخدم المعدة وحاسة اللمس العامة التي تنقصها الرؤية، ويظهر أن اللمس يتبع الأعمى، وإذا توقفت هذه الحواس بالنوم وبقيت دون عمل، يستمر عمل الغلب في نقاء، ويتطلع المنطق إلى أعلى دون اضطراب بعيدًا عن حركة الحواس.

يوجد للمتعة وجهان: أحدهما يتأثر بالروح الخالية عن الهوى، والثاني يتأثر بأهواء الجسد. وما تختاره منهما الإرادة الحرة، ويقوى على الآخر. فإذا اِهتم شخص بالحواس وانجذب ناحية متعة الجسم فسوف يعيش حياته دون أن يتذوق الفرح المقدس، لأن الحق يختفي بما هو دنيء. أما هؤلاء الذين يبغون وجه الله، فإن

الخير ينتظرهم، إنهم يعملون بكل جهدهم أن يبتعدوا عن كل ما يرتبط بالحواس. لذلك عندما تتمتع النفس بما هو أسمى من الوجود فإنها سوف لا تهتم بما يؤدي متعه الحواس. إنها تأمر جميع الميول الجسدية بالتوقف، وترى النفس الله في تأملاتها المقدسة برؤية داخلية نقية. ليتنا نتجول ونكون مستحقين من خلال هذا النوم الذي يتكلم عنه النشيد لكي نحفظ أرواحنا مرتبطة بالمسيح يسوع ربنا، له المجد إلىالأبد آمين.

العظة الحادية عشر

أوصى السيد المسيح تلاميذه (مت ٢٤: ٤٢) وحثهم على التأمل العميق في الآفاق العليا، بعد أن نفضوا عن طبيعتهم كل أوساخ العناصر المادية. وإحدى هذه الوصايا هي التغلب على النوم أثناء البحث عن الحياة السامية، إذ لابد أن يحتفظوا بعقولهم متنبهة حتى يتمكنوا من طرد الذي يخدع ويخون الروح والحق، ويُوحي بالرغبة الشديدة في النوم وأعني بهذه الحالة الخيالات التي تُشبه الأحلام التي يتصف بها بعض الحكام والأغنياء الغارقين في غرور غش هذه الحياة، مثل الكسل والكبرياء، الملذات المغرية، حب العظمة وملذاتها، وحب المظاهر وكل أنواع الخداع التي يسعى إليها الأشخاص المهملين. تزول هذه الأشياء والملذات المؤقتة بمرور الزمن. وقد تظهر أنها باقية ولكن ليس حسبما نعرف، فهي كالبحر يرتفع في أمواجه مُندفعة بتأثر حركة الرياح، وفجأة تنخفض ويصبح البحر هادئًا، وهكذا مع كل الأشياء المؤقتة أنها تتحطم مثل الأمواج.

==========

وحتى لاتندفع عقولنا وراء الخيالات يجب أن نبعد النوم العميق عن عيون أرواحنا وألاّ تكون ميولنا نحو الأشياء الزائلة وننزلق بعيدًا عن ما هو حق وكائن. لذلك يُشجعنا المسيح أن نكون حذرين: "لتكن أحقاؤكم ممنطقة وسُرجكم موقدة" (لو ١٢:٣٥). فالضوء الذي يشع من عيونا يبعد عنا النوم واحقاؤنا الممنطقة بالأحزمة لاتسمح للجسد أن ينام. كذلك الحركة التي نقوم بها أثناء العمل تجعلنا دائمًا يقظين. ومعنى هذه الرموز واضح إن يعيش الذي يتمسك بالأستقامة في ضوء الضمير النقي، لأن مصباح الثقة في النفس ينير حياته. وتبقى روحه متيقظة، ولا يمكن خداعها لأن أشعة الحق تحميها، كما لايهتم بالأحلام عديمة الفائدة. فإذا وصلنا إلى هذا المستوى بمساعدة المسيح تصبح حياتنا ملائكية. لأن الوصايا المقدسة تُقارننا بالملائكة قائلة: "وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت" (لو١٢:٣٦).

يقف هؤلاء الذين يتوقعون رجوع السيد المسيح باشتياق وانتباه على أبواب السماء عند ما يدخل ملك المجد إلى نعمته التي تفوق كل تصور. كما جاء في مز ٦. "ومثل العروس الخارج من حجله". بالرغم من خطأنا وعبادتنا للأصنام، وقد طرنا الله، فقد حظينا بالميلاد الجديد وصرنا أبكارًا بعد غسل كل فساد فينا. لذلك تمت كل احتفالات الزواج، وارتبط كلمة الله بالكنيسة. وكما يقول القديس يوحنا: "من له العروس فهو العريس" (يو ٣:٢٩). واِستقبلت الكنيسة العروس في حجرة العرس المقدسة، وتوقعت الملائكة رجوع الملك أثناء قيادته للكنيسة كالعروس وجعل طبيعتها مستعدة للنعمة. فقال أن حياتنا يجب أن تكون خالية من الشر والخداع، حتى نكون مستعدين لاِستقبال الرب عند مجيئه الثاني. وعندما نحرس أبواب مساكننا فإننا نُجهز أنفسنا لوصول العريس، عندما يناديا ويقرع على الباب. "طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين" (لو ١٢:٣٧). لأنه مبارك

ذاك الذي يطيع ذاك الذي يقرع. أن النفس تتطلع إلى هذه البركة تستقبل عريسها الواقف على الباب. أنها تراقب باب بيتها بيقظة قائلة: "صوت حبيبي قارعًا" (نش ٢:٥). كيف نفي العروس حقها إذ قد ارتفعت إلى ما هو أكثر قداسة؟

بمثل هذا السلطان والجسارة تأمر ريح الجنوب وريح الشمال. وتقيم من جنتها - المليئة بالتفاح المختار - مأدبة لسرب الخليقة الذي لايرفض أي مما يقدم إليه، بل يقول أن كل شيء جميل: المر، التوابل، الخبز مع العسل والخمر وأيضًا اللبن. لذلك فإن الكلمة نفسه يشهد، "كلك جميل يا حبيبتي ليس فيك عيبة" (نش٤:٧). أنها تتدبر أمرها الآن لتستقبل وجه الله، لكنها لم تستقبل بعد الكلمة الواقف على بابها، لكنها تقف مبهورة بسماع صوته تقول أن هذا الصوت ليس صوتها بل هو صوت عريسها الواقف على بابها.

نرى إن الطريق الذي يؤدي إلى الله هو مفتوح إلى أعلى للصعود فيه، ولكن نعجب إذ إن ما تدركه النفس ما هو الأ بداية لما هو غير مدرك؟ قد كنا نتوقع أن تتوقف العروس في طريق صعودها لما سمعته من كلمات على فم عريسها. (لأنه ماذا تطلب أكثر من شهادة عريسها بكمالها؟). والآن نرى ما بداخلها ليس ما هو خارج بيتها. أنها لم تنعم بعد برؤية وجه عريسها، لكنها بعد تسمع أرشادًا بأن تسلك الصلاح. نعم أن الذي يتقدم في حياته الروحية يحق له أن يسمع كلمات الرسول الصادقة، "فإن كان أحد يظن أنه يعرف شيئًا فإنه لم يعرف شيئًا بعدكم يجب أن يعرف" (١ كو ٢:٨). وهكذا فإن النفس تفهم ما قد أدركته ولكن من المؤكد أن ما لم تعرفه بعد يفوق ما قد أدركته فعليًا لذلك فإن العريس يظهر لعروسه رغم أنها لاتراه، ولكنه يعدها خلال سماعها لصوته بأنه سوف يظهر لها.

ولكي أوضح هذه الفقرة، سأعطى مثالاً: إذا حدث لأي شخص أن يكون بالقرب من نبع الماء الذي يصفه الكتاب (تك٦:٢). وإذا الضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض، فيعجب من معجزة المياة المتدفقة المندفعة بلا نهاية. ولا يتمكن من القول أنه قد رأي كل المياة (لأنه كيف يمكن رؤية ما يخفيه بطن الأرض؟ وحتى لو بقى مدة طويلة بجوار المياه المتدفقة فهو يرى المياه كما رآها في أول الأمر، لأنها لم تتوقف عن التدفق). وبنفس الطريقة يكتشف الشخص الذي يتأمل في الجمال المقدس الخفي أنه يراه من جديد لأنه سيراه كشيء، اسمي وأكثر عجبًا بالمقارنة بما رآه وأدركه من قبل ويستمر في تعجبه على ما يكشفه له الله بِاستمرار عن عظمته وجماله وقوته، بحيث لاتنتهي رغبته في رؤية المزيد لأن ما ينتظره يجده دائمًا أعظم وأجمل وأقدس مما رآه من قبل. لذلك تتعجب العروس وتنبهر من هذه المعرفة. وبالرغم من ذلك لاتتوقف أبدًا عن الأشتياق إلى رؤية لما هو آت. والآن تعلم العروس أن كلمة الله يقرع فتنهض عند سماع صوت قائلة: "صوت حبيبي قارعًا" (نش٢:٥).

وبعدما سكت الذين كانوا ينصتون إلى العروس فيقول النص: "افتحي يا أختي يا حبيبتي يا حمامتي يا كاملتي لأن رأس قد امتلأ من الظلّ وقصص من ندى الليل" (نش ٢:٥). إن تفسيري سيساعدك على فهم معنى هذا النص. أبتدأ ظهور الله لموسى العظيم خلال النور (خر ١٨:١٩)، وبعدها كلمة من خلال السحاب (خر

:٢١). وبعدما ارتفع موسى إلى أعلى وأصبح أكثر كمالاً، رأى موسى الله في الظلام (خر ٢٤:١٥-١٨). نتعلم من هذا المثال أن ابتعادنا عن الأفكار الغير صحيحة الخادعة عن الله هو انتقال من الظلام إلى النور. بعد ذلك يقود الفهم الدقيق للأشياء المخفية، والنفس لمعرفة طبيعة الله الغير منظورة، من خلال الرؤى التي يُرمز لها بالسحاب، وهو لا يسمح بالرؤية الكاملة لما يوجد خلفه. ولكن تتعود النفس بالتدريج أن ترى ما يختفي وراءه. وأخيرًا تُقاد النفس إلى أعلى، وتنسى ما تتمكن الطبيعة البشرية من فهمه، وتدخل إلى قدس معرفة الله حيث تحاط من كل جانب **بالظلمة المقدسة**. وتتخلى النفس عن كل شيء آخر، أي المظاهر والأفكار، والشيء الوحيد الباقي لفهمها هو حيث يسكن الله الغير منظور والذي لا يمكن الوصول إليه. يقول الكتاب من معُطى الشريعة: "وأما موسى فقد اقترب من الضباب حيث كان الله" (خر ٢٠:٢١).

وبعدما فحصنا هذه الأمور، يلزم أن نفهم الكلمات المرتبطة بما تكلمنا عنه سابقا. كانت العروس سوداء عندما ظللتها التعاليم الغير واضحة. ثم نظرت إليها الشمس نظرة ليست في صالحها، نفس الشمس التي تحرق الحبوب التيلم تتكون لها جذور والتي سقطت على صخر نتيجة للتجارب هُزمت العروس بهؤلاء الذين حاربوا ضدها، أنها لم تحرس كرمها، كانت العروس ترعى قطيع من الماعز بدلاً من الغنم لأنها لم تعرف نفسها. ولكن بعد أن أبعدت نفسها عن الشر، وغسلت نفسها من ظلمة الجهل، رغبت في التقرب من ينبوع الحق ثم قورنت العروس بالحصان لسرعة تقدمها ثم باليمامة لبساطة تفكيرها. وأسرعت في الجري كحصانٍ خلال كل شيء فهمته وجربته، وكانت تطير كيمامة وتستريح لرغبتها تحت ظل شجرة التفاح.

يتكلم النشيد عن ظل شجرة التفاح بدلاً من الضباب وهي الآن محاطة بالليل المقدس حيث يقترب العريس ولكنه لا يظهر.

كيف يمكن أن نرى من هو غير منظور خلال الليل؟

يمنح العريس النفس معرفة بحضوره غير أن الصورة لا تكون واضحة لأن طبيعته الغير مرئية تظل مختفية. ما هي إذن التعاليم الروحية التي جربتها الروح هذه الليلة. كان كلمة الله يلمس الباب. نحن نفهم أن هذا الباب هو العقل البشري الذي يبحث عن ما هو مختفي، ومن خلاله يدخل الشيء الذي كان يبحث عنه. لذلك يقف الحق خارج أنفسنا لأنه كما يقول الرسول: "الآن أعرف بعض المعرفة" (١ كو ١٢:). يقرع الحق على عقولنا بواسطة الكنايات والأسرار قائلاً "افتح" وبهذه الدعوة يقترح العريس طريقة لفتح الباب. ويعطينا مفاتيح خاصة وهي الكلمات الجميلة في النشيد. ويتضح أن الأسماء مثل أختي وصديق ويمامة والواحد الكامل هي المفاتيح التي تفتح ما هو مُخبئاً.

يقول العريس: إذا رغبت في فتح الباب فارفع بوابات نفسك حتى يتمكن ملك المجد من الدخول (مز ٢٤:٧)، يلزم أن تدخل مشيئتي في نفسك. كما يقوا الإنجيل: "لأن من يصنع مشيئة أبى الذي في السماوات هو أخي وأختي وأمي" (مت ٥). لابد أن تقترب من الحق وتُصبح صديقه حتى لا تنفصل عنه يجب أن تكون كاملاً

مثل يمامة فلا تحتاج لشيء وتمتلئ من البراءة والنقاء. وعندما تحصل على هذه الأسماء كمفاتيح لنفسك، اجعل الحق يدخل ويصبح أخت، وصديق ويمامة وواحد كامل. ستكون مكافئتك لِاستقبالي وسماحك لي بالسكن معك هي الندى الذي أمتلئ به وينزل من رأس وقطرات الليل التي تسيل من شعري. ترمز هذه الكلمات إلى قوة الشفاء للندى الذي يشير إليه النبي: "تحيا أمواتك تقوم الجثث. استيقظوا ترنموا يا سكان التراب. لأن طلك ظلّ أعشاب والأرض تسقط الأخيلة" (إش ٢٦:١٩). تشير قطرات الليل إلى المعنى الذي أشرنا إليه من قبل. يستحيل أن يُقابل الشخص الذي يدخل إلى عمق أقداس الغير منظور بفيض غامر من المعلومات، بل يلزم أن يقتنع بفهم الطبيعة الداخلية للأشياء، فالحق معرفته بالندى: تفيض هذه القطرات الروحية من القديسين وحاملي الرب القدوس بداخلي.

ترمز خصلات الشعر التي توجد على رأس الكون إلى الآنبياء والمبشرين والرسل. ويشبه هؤلاء قطرات الندى بالمقارنة بالحق، وبالرغم من كمال تعاليمهم وعمقها، إلا أن كل واحد منهم يستمد المياه من ظلمة الكنوز المخبأة الغير مرئية والتي أصبحت أنهار لنا. كان بولس كنهر، قد ولد عاليا على موجة أفكاره تأخذه إلى فردوس السماء الثالثة أي هذه الكلمات التي لا ينطق بها. امتلأ بولس كالبحر بكل هذا الكلام الشيق الحي القوي، موضحًا مرة أخرى أنه قطرة ندى بالمقارنة بكلمة الله الحي. ويقول: "لأننا نعلم بعض العلم ونتنبأ بعض التنبوء" (١ كو ١٣:٩) وأيضًا: "إن كان أحد يظن أنه يعرف شيئًا فإنه لم يعرف شيئًا بعد كما يجب أن يعرف" (١ كو ٨:٢). فإذا ظهرت القطرات والندى من خصلات شعر العريس كأنها أنهار فكيف نتخيل عرض البحر والأمواج؟ يلزمنا لنا أن نفكر بهذا الينبوع الذي يتكلم عنه السيد المسيح: "إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب" (يو ٧:٣٧). ليكوّن كل من يستمع إلى هذه الكلمات فكرة عن هذه العظمة بمقارنة هذه بما قلناه من قبل. فإذا أبتدأت هذه النقطة الصغيرة في تكوين أنهارًا، فكيف يمكننا أن نتخيل نهر الله من مجرد هذه النقطة؟

دعنا نرى كيف تُطيع العروس كلمة الله وتعمل مدخلا لعريسها؟ "قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه، قد غسلت رجلىّ فكيف أوسخهما" (نش ٥:٣). سمعت العروس عريسها يناديها بالألقاب الآتية: أختا، صديقة، يمامة، الواحدة الكاملة حتى تسكن كلمات الحق هذهبداخلها. وعملت ما سمعت أي أنها خلعت رداءها من الجلد (تك ٢١) التي لبسته بعد سقوطها في الخطية. غسلتت العروس أيضًا قدميها من التراب الذي غطاها عندما رجعت إلى الأرض، بعد فترة إقامتها في الجنة لأنها سمعت: "لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تك ٣:١٩). لذلك فتحت العروس طريقًا في روحها لعريسها بواسطة إزالة النقاب من قلبها، أي، من جسدها. وأعنى هنا بالجسد الإنسان العتيق. يشجع بولس هؤلاء المستعدين لغسل أقدام أنفسهم من الأوساخ في ماء كلمة الله، أن يسرعوا في إزالتها وإطاحتها بعيدًا عنهم. تفتح العروس طريقًا لكلمة الله بخلعها للإنسان العتيق وإزالة النقاب عن قلبها. وتعمل الروح من كلمة الله رداء لها نلبسه عند دخوله إليها حسب قول الرسول أنه يخلع الرداء

الجسدي للإنسان العتيق ويلبس الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (أف ٤:٢٤). ويقول أن المسيح هو هذا الرداء.

أعتلافت العروس أنها لاتلبس أبدًا الرداء الذي خلعته ورفضته، وأنها مكتفية بالرداء الذي لبسته بعد ميلادها الجديد من الأعالى حسب الوصية التي أُعطيت للتلاميذ (مت١٠:١٠). يؤكد هذا العمل كلمة السيد المسيح التي تشجع الذين تزينوا بالرداء المقدس أن لايلبسوا مرة أخرى رداء الخطية، ولايحتفظوا بردائين بل برداء واحد، إذ لايتلائم الردائان مع بعضهما. فلا ينسجم رداء الظلام مع الرداء اللروحي المنير. ولاتأمرنا الوصية بأن لانحتفظ بردائين فقط بل أيضًا أن لانخيط رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق(مر ٢:٢١). وإلا، فإن الرقعة الجديدة تنكمش فتأكل من الثوب العتيق، ويصير الخرق أسوأ. ويؤدي هذا تعرية جزء من الجسم ويتبع ذلك الخجل والعار. لذلك تقول العروس: "قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه" يُشبه الشخص الذي يرى نفسه مرتديا رداء السيد المسيح اللآمع الذي لبسه بالنقاء وعدم الفساد، الرداء الذي ظهر به السيد المسيح أثناء التجلى على الجبل. لذلك يرفض هذا الشخص رداء السكير والداعرة الممزق حسب ما جاء في أمثال ٢٣:٢١.

لا يتلوث الإنسان مرة أخرى بالتراب من الأرض بعدما غسل قدميه: تقول العروس "قد غسلت رجلي فكيف أوسخهما" (نش ٥:٣). خلع موسى حذاءه من رجليه (وهو مصنوع من جلد حيوان ميت) لأنه كان يسير على أرض مقدسة (خر ٣:٥). يقول الكتاب أن موسى لم يلبس حذاءه مرة أخرى، بل حسب أوامر الله له على الجبل صنع ثياب الكهنة التي استخدم في حياكتها خيوطا ذهبية وزرقاء وبنفسجية وحمراء والكتان الفاخر حتى يشع جمالها حولهم (خر ٢٨:٥، ٨). ولم يعمل موسى أية زينة على قدميه لأن أقدام الكهنة تبقى عارية دون غطاء. لأن الكاهن يسير على الأرض المقدسة، فيلزم ألا يستعمل حذاء من جلد حيوان ميت. لذلك منع السيد المسيح تلاميذه من لبس أحذية، لأنه أمرهم أن يسيروا في طريق القداسة (مت ١٠:٥، ٦). أنتم تعرفون هذا الطريق المقدس الذي أمر السيد المسيح تلاميذه أن يسيروا فيه قائلاً: "**أنا هو الطريق**" (يو ١٤:٦). لا نتمكن أن نسير في هذا الطريق إلا إذا خلعنا رداء الإنسان العتيق الميت.

دخلت العروس هذا الطريق حيث غسل السيد المسيح قدميها وجففهما بقماش الكتان الذي كان متمنطقا به. (تنظف قوة هذا القماش الذي كان متمنطقا به السيد المسيح من الخطايا. "الرب قد ملك. لبس الجلال. لبس الرب القدرة. ائتزربها" (مز ٩٣:١). ابتدأت العروس تراقب نفسها عندما وضعت قدميها على الطريق الملكي فلا تحيد عنه إلى اليمين أو اليسار، ولم تلوث قدميها بالطين بالسير خارج الطريق. أنت تعلم بالتأكيد معنى هذه الكلمات: خلعت العروس حذاءها نهائيا بالعماد (لأن عمل من يُعمد يشمل فك سيور الحذاء، كما شهد بذلك يوحنا عندما لم يتمكن من فك سيور حذاء السيد المسيح. إذ كيف يتمكن يوحنا من فك سيور حذاء ذات الذي لم يرتبط برباط الخطية؟) حفظت العروس أقدامها بدون تلوث على الطريق المرصوف مثل ما عمل داود بوصفه قدميه على صخرة بعد ما غسلها من الطين، حيث قال: "أصعدني من حب الهلال من طين الحمأة

وأقام على صخرة رجلي. ثبت خطواتي" (مز ٤٠:٢). نحن نفهم أن هذه الصخرة هي السيد المسيح، فهو النور والحق وعدم الفساد والبر الذي برصف الطريق الروحية. وعندما نحفظ خطواتنا على هذا الطريق دون أن نبتعد عنه إلى الجانبين، تبقى حياتنا غير ملوثة بالقاذورات. هذه هي الطريقة التي حفظت بها العروس بابها مفتوحا للسيد المسيح. ولقد وعدت أن لا تعود مرة أخرى للقاذورات المرفوضة أو تستقبل أي ملوثات أرضية على طريق هذه الحياة، لذلك أصبحت روحها مستعدة لكي تكون مقدسة. المسيح نفسه هو هذه القداسة(١ كو ١:٣٠). وهكذا قد أكملنا فحص مع أني هذه الكلمات.

تبتدئ بعد ذلك النفس مرة أخرى في الصعود إلى أعلى. يقرع صوت العريس على قلب العروس وتمتد اليد المقدسة إلى الداخل من خلال فتحة الباب: "حبيبي مد يده من الكوّه فإنت عليه أحشائى" (نش ٥:٤). يتضح للشخص صاحب الفهم العادي أن هذه الكلمات أعلىمن الناحية الروحية مما سبقها. قال السيد المسيح لعروسه "أفتحى" حتى يعطيها القدرة على فتح ما تحتويه الأسماء المقدسة. أطاعت العروس كلمة الله (لأنها أصبحت حسب ما سمعت، أختا، صديقة، يمامة وواحدة وصلت إلى الكمال). ثم خلعت حذاء الجلد، وغسلت الأوساخ من قدميها ولم تلبس مرة أخرى الرداء العتيق المهزق. كما أنها لم تثبت خطواتها على الأرض، لأنها سمعت صوت عريسها وتؤمن بوصاياه. فتحت العروس الباب بعد أن أبعدت الحجاب عن قلبها. فتحت الباب وحجاب الجسد وعندما تُباعد مصراعي الباب فقد يدخل ملك المجد. وللبوابة كموّة ضيقة قد لاتُمكّن العريس من أدخال يده خلالها. غير أن يده وصلت إلى الداخل وأثارت رغبة العروس في رؤيته. لقد حسبت رؤية يد من ترغب أن تعرفه مكسبا لها.

قد نستبعد درسًا من النشيد إذا راجعنا دراسة هذا المحتوى. تمتلك النفس البشرية طبيعتين: جسدية وفكرية والأخيرة نقية بينما الجسدية غير منطقية وهي التي تكوّن مادة الجسم. تتوجه النفس إلى أعلى من خلال الفضيلة عندما تتطهر من العادات الخاطئة للحياة الأرضية، وتنظر إلى ما هو طبيعى ومقدس. أنها لاتتوقف عن البحث في أصل الحق والخليقة ومصدر الجمال فيها، الذي تنبع منه القوة والحكمة التي تظهر فيه. تحرك الحكمة جميع أفكار الشخص، وقدراته للبحث. كما تثير غريزة حب الأستطلاع فيه! تُحدد الحكمة إدراكنا لله وهي العملية المقدسة الوحيدة التي تأتي إلى وجودنا المائت لغرض منحنا الحياة وبطريقة مشابهة تتحرك المياه بواسطة الريح ولاتبقى على حافة البحيرة ولكنها تصبح ينبوع مندفعًا ومرتفعًا بالمياه مكوّنا موجه عالية. فإذا ما وصلت إلىأعلى ارتفاع ظاهر للمياه، تختلط بالهواء ثم تهدأ حركة الريح في المستوى العالى. هكذا الحال في النفس التي تبحث عن الله. تبتدئ النفس من أسفل في محاولة لمعرفة ما هو وراء حدود المقدرة البشرية إلى فهم أعمال الله العظيمة. ثم تصبح غير قادرة على الاِستمرار إلى الأمام لكي تفحص بدقة هذه الأعمال، وبدلاً من ذلك نتعجب وتعبده لأنه هو وحده الذي يُعرف بأعماله. ترى النفس جمال السماء وأبدًاع مصادر الضوء وسرعة دوران الأرض حول محورها والنظام المحكم للأشياء وتوافق

مدارات النجوم والدورة السنوية بفصولها الأربع. يحفظ الله الأرض الذي يحتضنها وهو يُغير وظائف النجوم. وهو يقوت ويحفظ الآنواع العديدة المتباينة من الكائنات الحية: الأحياء المائية، الطيور، الأحياء الأرضية كالنباتات كميّاتها والفرق بينها وصفات الفواكه والعصارات، وتُظهر هذه كلها قوة الله.

عندما تتأمل النفس هذه العجائب فإنها تعترف بصاحب هذه الأعمال. أيضًا تقودنا التغييرات التيستحدث في نهاية العالم إلى حياة عظيمة فوق كل مانتصور وكما يقول السيد المسيح: "السماء والأرض تزولان" (مت٢٤:٣٥). بعد ذلك سوف لانعرف الله من خلال أعماله كما نعرف الآن (١ كو١٣:١٢) ولكننا سوف نفهم صورة الجمال الذي لا يمكن التعبير عنه غير أننا سوف نتمتع به (١ كو٢:٦). وفي نفس الوقت تتكون حدود معرفتنا بمن ريمكن إدراكه بواسطة عمله في الخليقة الذي ترمز له بيدىّ العريس. وبواستطهما لاتطأ أقدام النفس التي تطهرت من الحياة المادية حتى لاتتلوث خطواتها وتمنعها من توقع دخول العريس إلى بيتها.

تمتعن العروس بتأمل يد العريس التي تمثل قدرته على العمل "حبيبي مد يده من الكوّة" لا تتمكن الطبيعة البشرية من احتواء الطبيعة الإلهية الغير محدودة. وتقول العروس: "فأنّت على أحشائي". تُشير كلمة "تعجب" إلى الآندهاش والاستغراب عند رؤية هذه المعجزة. تتعجب كل نفس بما لها من قدرة للفهم بالأعمال المبهرة ليد الله التي تفوق قدرات الإنسان، لأن الطبيعة الإلهية التي تعمل هذه العجائب لا يمكن فهمها أو احتوائها. فكل مخلوق حي هو عمل هذه اليد التي ظهرت في الكوّة. لذلك يصرخ يوحنا في إنجيله قائلاً: "كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو١:٣). ويعبر النبي إشعياء عن نفس الفكرة، فيسمى اليد قوة الله للعمل: "كل هذه صنعتها يدي فكانت كل هذه يقول الرب" (إش ٦٦:٢). لا يتمكن عقل الإنسان من فهم هذا الآنجاز: جمال السماء بما فيها من نجوم والشمس وعجائب الخليقة الأخرى. غير أن قلب الإنسان يخاف من قوة الله. فإذا كان الإنسان لا يفهم كل أعمال الله، فكيف يتمكن من فهم الله الذي يعلو على ما في الخليقة؟

تشير صورة منزل العروس إلى حياة الإنسان، حسب تفكيرى. لقد تعهدت يد الله الخالقة أمر خلاص حياتنا البشرية عديمة القيمة. فتنازل الله وأخذ جسد بشريتنا وشابهنا في كا شيء ماعدا الخطية (عب ٤:١٥) وملأنا بالتعجب لظهوره في الجسد عند مولده من أمه التي بقيت عذراء، عند اجتماع النور بالظلمة، والحياة بالموت، عند قصر الحياة وعند كوّة الباب التي اِستقبلته. وهو صاحب اليد التي تمسك بكل شيء وتقيس السماء والأرض والبحر. وتمثل العريس هبة الإنجيل التي وهبها للعروس. لأن الله ظهر على الأرض وكلم البشر فعرفنا الجمال الأبدي للعريس، وقداسة كلمة الله وعظمة النور الحقيقي في عمل يديه. لأننا نفهم أن يد الله هي القوّة التي عملت العجائب وبواسطتها أقام الموتى إلى الحياة وتفتحت أعيّن العميان وشفي البرص وطُرد كل نوع من الأمراض الشديدة والغير قابلة للشفاء من الأجسام بأمره.

تقدم لنا يدى العريس قضيتين للتفكير العميق فيهما: تقترح أن الطبيعة

الإلهية الغير مُدركة يمكن أن نتعرف عليها من خلال هذه الأعمال وحدها. نفهم من كلام العروس أن الطبيعة الإلهية تنبأت مقدما على هبة الإنجيل. وعند سماعها تُجهز أنفسنا لاختيار شيء أحسن وهو ما يحتويه النشيد. تُعبر كل كلمات النشيد تعبيرًا كاملاً عن الطريق إلى الصلاح لأنه حسب ما تكلم به بولس: "فإن ما لايُرى من أمور الله أي قدرته الأزلية وألوهيته، ظاهر للعيان منذ خلق العالم، إذ تدركه العقول من خلال المخلوقات. حتى إن الناس يأتوا بلا عذر" (رو ١:٢٠). فإذا لم نقدر أن نفهم طبيعة الجنوح للهرطقة ضد الحق. ولكن إذا بحثنا في الإنجيل فإننا نفهم سرّ يد العريس ويصبح إيماننا أقوى بالنسبة لتعاليم الإنجيل المخفية وسوف نتقبل الذي لا يمكن الشك فيه من خلال كلمات نشيد الأناشيد النبوية في المسيح يسوع ربنا له المجد إلى الأبد آمين.

العظة الثانية عشر

نشيد الأناشيد ٥:٥-٧

٥- قمت لأفتح لحبيبي؛
ويدأي تقطران مُرًا، وأصابعي مُر قاطر،
على مقبض القفل.
٦- فتحت لحبيبي، لكن حبيبي تحَّول وعبر.
نفسي خرجت على كلمته.
طلبته فما وجدته؛
دعوته فما أجابني.
٧- وجدني الحرس الطائف في المدينة.
ضربوني جرحونى؛
حفظة الأسوار رفعوا إزاري (**برقعى**) **عنى.**

الكنيسة سفينة في بحر كلمة الله

يتوقع الذين يخططون للسفر في رحلة بحرية إلى الخارج الكثير من الرحلة المنتظرة، ويقدم البحارة صلاة عند بدء الرحلة ملتمسين من الله رحلة آمنة. ثم تتحرك السفينة إلى عرض البحر تحت قيادة القبطان. ويطلب البحارة في صلاتهم ريحًا متوسطة السرعة تدفع قلاع السفينة في الاِتجاه الذي يرغبه قبطان السفينة. لا يسبب البحر أي ضيق عندما تكون الريح في اِتجاه مناسب والبحر هادئًا والأمواج خفيفة. فتستمر المركب في إنسياب فوق الأمواج، ويتمنى البحارة ما سوف يجنونه من ثروة طائلة طالما تسير رحلتهم بهدوء قبل أن يظهر أي خطر.

أني استعمل هذه الأمثلة كمقدمة، لأن ما أعنيه واضح لكل مُنتبه لى.

يمثل البحر الشاسع الاتساع التأمل بعمق في كلمة الله، ونتوقع من هذه الرحلة ثروة كبيرة والكنيسة هي السفينة الحيّة التي تتوقع غنى قيادة الله المقدسة بكامل قوتها.

ولكن نص النشيد يعمل كقائد، ولا يلمس اليد التي تحرك دفة السفينة قبل أن يقدم جميع طاقم السفينة الصلاة إلى الله حتى نتنسم قوة الروح القدس علينا وتحرك أمواج أفكارنا. بهذه الطريقة يقود صلاتنا كما يقود القبطان الرحلة البحرية.

بعد ما عبرنا عرض البحر بالتأمل العميق، يمكن أن نتحرك في غنى المعرفة إذا حلّ الروح القدس من خلال الصلاة ودفع الشراع للأمام.

لنفتح لعريسنا باصابعنا المملؤه بالمّر (حياة الإماتة)

دعنا نبتدى بكلمات الوحى الإلهي التي نصها ما يأتي: **"قمت لأفتح لحبيبي ويدأي تقطران مرّا وأصابعى مرّ قاطر على مقبض القفل"** ٥:٥. لا يمكن لكلمة الله الحىّ أن يكون موجودًا بداخلنا (أعنى أن العريس النقي الغير

منظور الذي يُوحّد النفس معه بطهارة وعدم فساد) إلاّ إذا نزعنا الشرّ من أجسادنا بإماتة أجسامنا على الأرض. وبهذه الطريقة نفتح الباب لكلمة الله حتى يدخل ويسكن مع أنفسنا. يتضح هذا من تعاليم الرسول المقدسة. كذلك من كلمات العروس: "**قمت لأفتح لحبيبي**" بجعل يدىّ ينابيع المرّ، ومنها تفيض الروائح الزكية العطرة، وتظهر أن أصابعى ممتلئة بالمرّ.

وتفتح العروس طريقًا لعريسها بالكلمات الآتية: "فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضًا في جدة الحياة" (رو ٦:٤).

لا تتم فينا معجزة القيامة من الأموات إلا إذا سبقها موتنا بإرادتنا. **ويُرمز لهذا أي الموت الأرادى، بقطرات المرّ التي تقطر من يدّىْ العروس، أصابعها تمتلئ بهذا العطر**. وتقول أن المرّ لم يأتِ إلى يديها من أي مصدر آخر. وإذا كان هذا صحيحا يصبح المرّ شيئًا طارئا. وغير إراديًا، فيقطر المرّ (قدرات نفسها العاملة) من يديها، ويعني هذا أمانة انفعالاتها الجسدية بإرادتها. لهذا السبب تمتلئ جميع أصابعها بالمرّ.

أصابع الفضيلة

يفسر النشيد كل عمل تقوم به الفضيلة باستعمال كلمة "أصابع". ويمكننا فهم ذلك بالمعنى الآتي: "لقد اكتسبت قوة القيامة من الأموات بإماتة أعضاء جسدي على الأرض. وقد أخذت بحرية هذا الالتزام بالإماتة، وكأن المرّ الذي فاض من يدىّ ناتج عن إرادتى الحرة. لذلك يظهر نفس الاِتجاه باِستمرار في جميع أعمال الفضيلة التي تعرف بأسم "أصابع".

أما هؤلاء الذين يمارسون الفضيلة فقد يكون بعضهم ميتًا بالنسبة لأحد الأهواء بينما حيّا بالنسبة لأهواءٍ أخرى. فنلاحظ أن البعض يميت حياة الافراط (الملذات) بينما لا يزالوا يمارسون الكبرياء أو اهواء أخرى مدمرة للنفس مثل حب المال والغضب والطمع وحب الظهور أو شيء آخر من هذا القبيل. فإذا ارتبطت هذه الاهواء الشريرة بالنفس، لايظهر المرّ في أصابع الشخص، لأن الأماتة والانفصال عن الشر لا تمتد إلى جميع نواحى حياته.

تنهض االنفس وتفتح للعريس، عندما تمتلئ الأصابع بما نطلق عليه المرّ. لذلك يظهر أن القديس العظيم بولس قد فهم تمامًا قول السيد المسيح: "الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتمت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير" يوحنا١٢:٢٤. **علّم بولس هذه النظرية للكنيسة، فيتقدم الموت على الحياة، لأن الحياة لاتدخل إلى الشخص إلا بعد أن يمر في بوابة الموت.**

لتحيا فينا الفضيلة وليمت الشر

حرية الإرادة:

لطبيعتنا وجهان: أحدهما شفاف سرِّي وخفيف والآخر سميك ومادي وثقيل. لذلك فحركة كل منهما لها نشاط معيّن لا يمكن أن يتبادلها مع الوجه الآخر. فالذكاء والنور هما من صفات النشاط الذي يرتفع إلى أعلا، بينما النشاط المادي ثقيل الوزن يميل إلى أسفل ويتم هناك. وبما أن طبيعة نوعّيْ النشاط هذه متعارضة ومتضادة في الاتجاة، فإن حركة أحدهما لا تعمل بكفاءة إلاّ إذا أبطأت الأخرى في حركتها. ولنا قدرتنا على الاختيار الحرّ بين هذين النشاطين، ويمكن لهذه القدرة تغيير النشاط الضعيف إلى نشاط قوى أوالعكس: فالإرادة هي التي تضمن انتصار النشاط التي تدعمه. لذلك يمدح الإنجيل (مت٢٤:٤٥) العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيده على خَدَمِةِ ليعطيهم الطعام في حينه. (ويمثل العبد، في رأيى إرادتنا الحرة). لقد مُدح لأنه حفظ منزل سيده بتحطيم أعدائه. ويُعتير تحطيم الأعداء غذاء وصحة لما هو صالح). وعلى جانب الآخر، فإن العبد الشرير الذي يصادق السكارى، يُدان لأنه يُسئ معاملة خُدّام بيت الله ويضربهم.

تنال الفضيلة ضربة قوية عندما ينتصر الشر. لذلك ننال الخير إذا تحمسنا لكلمة النبي، وهي، أن نبيد كل صانعي الشر الموجودين في الأرض، في الصباح الباكر، ونُبعد كل الأفكار الشريرة عن مدينة الله (المدينة هي النفس) (مز ١٠١:٨). فينتعش فينا النشاط الخيّر بعد إزالة الشرور من نفوسنا. بذلك يمكننا أن نعيش بعد الموت، لأن واحدًا مما بداخلنا يموت، بينما يعطى كلمة الله الحياة للآخر. كما يقول النبي "أنا أُميت وأُحيي" (تث٣٢:٣٩). **لذلك عاش بولس بعدما مات،** وتقوى في الضعف، واِستمر في جهاده وهو مربوط بالسلاسل، **وكانت له ثروة في الفقر وكان غنيًا وهو لا يملك شيئًا**، وكان حاملاً في جسده كل حين إماتة الرب يسوع المسيح (٢ كو ٤:١٠).

ولكن دعونا نرجع إلى مناقشتنا، وهي، أن النفس تقوم وترتفع من خلال الموت. (فإذا لم تمت فإنها تظل مائتة إلى الأبد وغير قادرة على الحياة. فبالموت تمر النفس إلى الحياة وترفض كل شيء يُسبب الموت). تؤكد العروس هذه التعاليم لنا: **"قمت لأفتح لحبيبي ويداي تقطران مرّا، وأصابعي مر قاطر على مقبض القفل"**.

لم يخلق الإنسان ليموت

يرمز المرّ إلى الموت؛ كل من يعرف الكتاب المقدس لا يشك في ذلك. كيف إذن يتمكن الموت من أن يقوم؟ أظن أنه يجب أن نبحث عن فهم أوضح لهذا الموضوع. سوف نستجيب لأحسن قدراتنا وندرسه بترتيب منظم: خلق الله كل شيء بجمال رائع، كما يشهد بذلك سفر التكوين (تك ١:٣١). وكان الإنسان بين هذه الأشياء رائع الجمال، وفي الحقيقة زوده الله بجمال يفوق كل المخلوقات الأخرى. ماذا أروع من صورة الجمال الأبدي؟ فإذا كان شيء رائع الجمال وكان الإنسان بينها، وخُلق ليكون متفوقًا عليها، فبالتأكيد لم يكن الموت في داخله. فمن غير الممكن أن يكون الإنسان جميلاً بينما يحمل خاتم الموت الحزين بداخله. غير أن الإنسان كان على صورة بها الحياة الابدية وشبيها، ذا جمال صادق وجمال عظيم

ومزينًا بهيئة الحياة البهية المنيرة.

حياة فردوسية أبدية

كانت جنة الله للإنسان، وكانت تعج بالحياة لوفرة ما كان بها من أشجار. وكانت وصايا الله هي قانون الحياة الذي وعد أن يبقى الإنسان حيّا إلى الأبد. وفي مركز الجنة زُرعت شجرة تفيض بالحياة: كم هو ضروري أن نفهم ماذا تعني هذه الشجرة التي كانت ثمرتها هي الحياة! وعلى الجانب الآخر كانت توجد شجرة تُسبب الموتُ وثمرتها تجلب الخير والشر. وكانت هي الأخرى موجودة في مركز الحنة. ولا يمكن أن تحتل هاتان الشجرتان نفس المكان في مركز الجنة: فإذا كانت أحداهما في المركز فلابد للأخرى أن تبتعد عنه. فمركز الدائرة هو النقطة التي تبعد بمسافات متساوية من المحيط. ولما كان للدائرة مركز واحد فلا يمكن أن يكون لها مركزان يحتلان نفس المكان. فإذا أخذنا نقطة أخرى كمركز للدائرة مكان المركز الموجود حاليًا فيلزم أن نعمل دائرة أخرى. لذلك فالمركز الأول لا يصلح أن يكون مركزًا للدائرة الثانية. ولكن يذكر الكتاب أن كلا من الشجرتين توجدان في مركز الجنة، وأن لكل منهما قوة معارضة للأخرى (تك ٣:٣،٢:٩). أعنى أن إحدى الشجرتين تعطى الحياة بينما ثمرة الأخرى تسبب الموت. يسمى القديس بولس الثمرة الأخيرة بالخطية، قائلاً: "لأن أجرة الخطية هي الموت" رومية ٦:٢٣

الدرس الذي يلزم أن نتعلمه هنا هو أن الحياة هة في مركز نباتات الله. أما الموت فلم يُزرع ولم يكن له جذور أو مكان خاص به، نتيجة لعقمة في الحياة لا يشترك في الخير وليس له جدوى أو ثمرة للأحياء. كانت شجرة الحياة في مركز جميع الأشياء التي زرعها الله، إلا أن طبيعة الموت هي أنهاء أو توقف الحياة. فشجرة الموت توجد في الجنة، وتُقدم لنا رمزيًا وتحمل ثمرتها صفات القوة المتعارضة.

يقول النص بوضوح أن الخير والشر ظهرا في نفس الوقت مُشيرًا إلى طبيعة الخطية. تسبق اللذة في الحقيقة كل شيء يُعمل من خلال الشر. لأن الخطية لاتوجد إلا وهي مرتبطة باللذة مثل خطيتى الغضب والشهوة. لأجل هذا تُسمى الثمرة "جميلة" نتيجة للحكم الخاطئ لهؤلاء الذين يجدون خيرهم في لذتهم. لذلك، نكشف أن الثمرة هي الشر لمرارة طعمها. وحسب المثل: "لأن شفتيّ المرأة الأجنبية تقطران عسلاً وحنكها أنعم من الزيت" أمثال٥:٣. فالعسل الذي يأتي من شفتيّ الشر ويرطب البلعوم لفترة ينقلب طعمه إلى مرارة بالنسة لهؤلاء الذين يذوقون حلاوته بنوايا شريرة.

دخول الموت إلى الإنسان

فصل الإنسان نفسه بعيدًا عن ثمار الأعمال الطيبة وامتلأ بالثمار المهلكة من خلال العصيان (اسم هذه الثمار هو الخطية التي تؤدى إلى الموت). ثم مات الإنسان مباشرة عن الحياة الطيبة، لأنه استبدل الحياة المقدسة بأخرى حيوانية

دون تعقل. وعندما اختلط الموت بالطبيعة البشرية، انتقل بالوراثة إلى الأجيال المتعاقبة من الأبناء. لذلك أصبحت حياتنا موتًا، لأنه على أية حال، ماتت حياتنا في الحقيقة لأنها أصبحت محروقة من الأبدية. ولكن الشخص الذي يعلم أنه بين نوعين من الحياة يتمكن من أن يعبر من الحياة المائتة إلى الحياة الأبدية. ويمكنه أن يعمل هذا بواسطة إزاحة الأولى الرديئة، وهكذا يعطى انتصارًا للثانية. لذلك استبدل الإنسان بواسطة الموت الحياة الحقيقية وإختار لنفسه الحياة المائتة. ولكنه إذا يموت أي يتنكر لهذه الحياة المائتة الحيوانية فإنه يتمكن من العبور إلى الحياة الأبدية. وبدون شك لا يمكن لأي شخص أن يدخل حياة النعمة إلاّ إذا مات عن الخطية. **ويفسر النص في سفر التكوين هذه الفكرة قائلاً كان هناك شجرتان عند مركز الجنة، واحدة منها موجودة بالطبيعة، والأخرى تلتها بعد فترة ومعها أمر بالمنع. يحدث تبادل الحياة والموت من خلال المشاركة أو عدمها بالنسبة إلى نفس الشيء.** ويمكن تفسير ذلك كالآتي: الذي يعمل الشر يُعتبر ميتا بالنسبة للحياة الطيبة. أما الذي يعيش في الفضيلة ويعمل الخير فإنه يموت بالنسبة للشر لذلك تظهر يدَّىْ العروس ملأي بالمرّ، **وبموتها عن كل الخطايا تقوم لتقيم مدخلاً للكلمة.** والكلمة الذي يدخلها هو الحياة.

الحياة تحرك مستمر

ترتفع النفس التي تنظر إلى الله إلى سمو الأعالى كما لاحظنا من قبل. أنها لا تعرف كما يجب، حسب قول بولس (١ كو ٢:٨)، ولاتُدَّعى أنها قد فهمت، ولكنها تسعى إلى ما هو أعلا متقدمة إلى الأمام إلى ما هو قدام (في ١٣:٣).

يُقدم النشيد كلمات العروس: **"على مقبض القفل فتحت لحبيبي"** ثم أضافت "**لكن حبيبي تحول وعبر، نفسي خرجت على كلمته**" ٥:٥-٦. تُعلمنا العروس هنا أن الطريق الوحيد لفهم هذه القوة التي تفوق كل عقل أنها **لا تبقى أبدًا في صورة جامدة، ولكن ترتفع عظمتها بإستمرار ولاتتوقف.** وتُسمى العروس كلمة "أصابع" لكي ترمز بها إلى موت الشر في كل عمل من أعمال الحياة، وذلك لأنها كانت ممتلئة بالمرّ. كما أنها أظهرت اقتناعها الحر بالفضيلة بيديها اللتين كانتا تقطران مرّا. وقالت أن يديّها لمستا قفل الباب، أي أن عملها الطيب أقترب من المدخل الضيق، الذي أعطى كلمة الله مفاتيحه لبطرس (مت١٦:١٩). **لذلك تمكنت العروس من فتح باب الملكوت: بيديها اللتان تعملان الأعمال الطيبة بواسطة مفاتيح الإيمان. لأنه بواسطة الأعمال والإيمان يُهئ كلمة الله مفاتيح الملكوت فينا.**

عندما تمنت العروس مثل موسى، أن يُظهر لها وجه الله (خر٣٣:١٣-٢٢) اختفي منها ذاك الذي أرادت أن تراه. فتقول "**حبيبي تحول وعبر"،** فعل هذا ليس ليرفض رغبة نفسها وإنما لكي يجذبها نحوه. أنها لبركة عظيمة أن تخرج لتلقى حبيبها حسب كلمته. "معونتى من عند الرب صانع السماوات والأرض. لايدع رجلك تزل. لاينعس حافظك" مز ١٢١:٢-٣. **يحرس الله ذهاب وإياب هؤلاء**

المستحقين، ويصبح خروجنا من حالتنا الراهنة هو دخولنا إلى الخير الذي لاينطق به. وتخرج النفس التي تتبع كلمة الله الذي يقول: "أنا هو الباب، إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى" يوحنا١٠:٩. **لم تتوقف أبدًا العروس عن الدخول والخروج وكانت تهدأ فقط بالتقدم نحو الذي يرشدها إلى الأمام وتسمو فكرتها عنه كلما عرفت عنه المزيد.**

عبر وجه الله عن موسى بطريقة مشابهة، لذلك كانت نفس من أعطى الشريعة تتقدم في معرفة الله كلما تبعته سائرةً وراءه أثناء ارشاده.

من لا يعرف خطوات التقدم التي خطاها موسى أثناء خدمته؟ ارتفع موسى بِاستمرار إلى السمو، ولم يبق جامدًا أثناء نموه. كانت خطوة موسى الأولى صحيحة عندما وضع عار المسيح أفضل من مملكة مصر، وفضَّل أن يشارك آلام ومعاناة شعب الله بدلاً من الأستمتاع بلذَّه الخطية المؤقت.

زاد غضب موسى عندما حارب المصريون اليهود، فقتل أحد الغرباء، وكافح من أجل الإسرائيليين.

يمكن أن نفهم بحق خطوات النمو هذه إذا اِعتبرنا هذه الأمثلة رمزية.

نضج موسى أثناء حياته الهادئة أثناء الصحراء، وامتلأ نورًا بما رآه في نار العليقة: ثم خلع حذاءه المصنوع من جلد حيوان ميت، والتهمت عصاه ثعابين المصريين، وخلص شعبه من الفرعون المستبد، واقتاده عمود السحاب، وشق البحر، واغرق جيش المستبد، وحوّل الماء المُرعذبًا، وضرب الصخرة ففاض منها الماء، وكان مُزودًا بغذاء ملائكي، وسمع الأبواق، وصعد موسى الجبل المشتعل، ولمس قمته، ودخل في السحاب وتحرك إلى وسط السحاب حيث كان الله، وتسلم الوصايا، وأصبح يلمع كالشمس يصعب الاقتراب منه.

حقًا من يستطيع أن يحصر كل خطوات موسى التي ارتفع بها إلى أعلا أو يُحصى عواطفه الدينية؟!

كان يرغب بِاستمرار في الارتفاع بالرغم من عظمة وسمو مكانتة في الفضيلة وتجاربه العديدة في لقاءاته مع الله. توسل إلى الله أن يراه وجها لوجه، ولو أن الكتاب يذكر أن الله سمح لموسى أن يكلمة وجها لوجه. **لم يكتف موسى بالعلاقة الحميمة والكلام مع الله كصديق، لم فإنه يتوقف عن طلب المزيد**: "إذا كنت قد وجدت نعمة أمامك، أرنى وجهك بوضوح". والذي وعد أن يمنح الطلب، أجاب: "فقال الرب لموسى هذا الأمر أيضًا الذي تكلمت عنه أفعله، لأنك وجدت نعمة في عينى وعرفتك باسمك" خروج٣٣:١٧. اجتاز الرب بالقرب من موسى على المكان المقدس في الصخرة ورفع يده ولكن موسى رأي فقط خلف الله بصعوبة بعدما اجتاز.

يتضح لنا من ذلك أن الشخص الذي يرغب في رؤية الله يتمكن نت التأمل فيه بأن يتبعه بِاستمرار فالتأمل بعمق في وجه الله يؤدي إلى رحلة لاتنتهي بالسير وراء الكلمة. وعندما تقوم النفس من الموت وتمتلئ بالمرّ تضع يدها على قفل الباب بواسطة العمل الصالح وبالرجاء للواحد المرغوب أن يدخل. ثم يمر العريس وتخرج العروس،

فهي لاتبقى في نفس المكان الذي كانت فيه ولكنها تلمس كلمة الله الذي يقودها إلى الأمام.

لنخرج من طبيعتنا فنتعرف عليه

تؤكد الكلمات التي تلى ذلك ما فهمناه من الفقرة السابقة: لا يمكننا أن نفهم عظمة طبيعة الله ولكن يلزم أن نمر بكل التخيّلات. "خرجت" النفس عن طبيعتها حتى لا تمنع ما لها من عادات معرفة الحقيقة الغير منظورة، وأيضًا لا تتوقف في البحث عن الذي لا تجده، ولا تتوقف عن القول أن الطبيعة الإلهية لا يمكن التعبير عنها.

تقول العروس: "**طلبته فما وجدته**"٥:٦. كيف يمكن أن نجد العريس بينما لا يكشف أي شيء عن نفسه؟ ليس له لون، هيئة، نوعية، كمية، مكان، مظهر، شاهد، أو شبيه بل أي شيء يكشفه يعلو على حدود فهمنا ويختفي من بحثنا. لذلك تقول العروس: "بحثت عنه بقدرات نفسي على التخيل والفهم،

ولكنه يعلو عليها جميعًا ويبتعد عن تفكيرى عندما يقترب منه".

كيف نُعّرف ذاك الذي يعلو دائمًا على أي شيء له اسم؟ لهذا السبب تفهم العروس المعنى المُراد من كل اسم كعلاقة للخير الغير مُدرك. إن معنى كل كلمة لا يؤدي كل الغرض المقصود، بل يوضح شيئًا أقل من الحق. لذلك تقول العروس: لقد ناديت بأقصى قدرتي، بهذه الأسماء التي تُشير إلى النعمة المتناهية في العظمة والتي لا يمكن التعبير عنها، وذلك لأن العريس أظهر نفسه أعظم من أي اسم. ومثال ذلك عندما **كان داود ينادى الله أحيانا بعدد كبير من الأسماء وأشار إلى أنها أقل كثيرًا من مستوى الحق:** "أما أنت يارب فإله رحيم ورءوف طويل الروح كثير الرحمة والحق، صخرتى وحصنى ومنقذي، به أحتمى ترسى وقرن خلاصي وملجأي" مز ١٨:٢،٨٦:١٥-٣. ثم يعترف داود أن اسم الله لايُعرف في كل الأرض وبالرغم من ذلك يُنظر إليه بتعجب وتبجيل "إيها الرب ربنا ما أمجد اسمك في كل الأرض" مز ٨:١.

تكلم الله أيضًا إلى منوح الذي تنبأ عن ابنه. وعندما سأل عن اسم الله، أجاب منسى وقال أنه أعجب وأعظم من أن تحتويه الأذن البشرية (قضاه١٣:١٨). لذلك تنادى النفس الكلمة باقصى قدرتها، لكنها لاتقدر أن تعمل كما ترغب، لأن النفس تشتاق أكثر من قدرتها. لا ترغب النفس في ما هو غير قادرة على اِستقباله، مثل الله نفسه،

ولكن اختيارها يتمشى مع رغبتها في. ولما كان ذاك الذي نُودى عليه الله غير ممكن الحصول عليه، فلذلك تقول العروس: **"طلبته فما وجدته دعوته فما أجابنى".**

تكلمت العروس وكأنها تُشير إلى ضيقتها، ولكن يظهر لي أنه يلزم فحص كلماتها التي تحوى صعودها إلى مستوى أكثر ارتفاعًا. **"وجدني الحرس الطائف في المدينة، ضربونى جرحونى، حفظة الأسوار رفعوا إزارى عنى"**٥:٧.

تظهر هذه كأنها كلمات الألم وليس الفرح، وبالأخص عندما تقول

"**جرحونى حفظة الأسوار، رفعوا إزارى (برقعى) عنى**". وإذا فحصنا مع أني هذه الكلمات بدقة، يظهر أن العروس تفخر بمن تجده أعظم جمالاً. لذلك يمكن توضيح كلامها كالآتي: يشهد النشيد أن العروس قد تطهرت من كل ثوب عندما قالت: **"قد خلعت ثوبى فكيف ألبسه قد غسلت رجلىّ فكيف وسخهما؟!"**٣:٥. والآن يقول النشيد أن برقعها رفُع عنها. وبرقع العروس هو غطاء للرأس والوجه كما في قصة رفقة (تك ٦٥:٢٤). كيف يكون للعروس التي خلعت ثوبها، حجابًا ينزعه عنها حفظة الأسوار؟ ألا يتضح من هذه الكلمات أن العروس قد تقدمت إلى مستوى أعلى؟ فبعد أن خلعت جلدها القديم وكل غطاء أصبحت أنقي من المرحلة السابقة. لايفهم أن العروس قد أزالت ما تغطى به جسمها، لأنه حتى بعد ما خلعت ثوبها وبرقعها وجدت أنها لا بد أن تنزع شيئًا آخر.

لذلك يوضح الارتفاع إلى الله أنه يوجد دائمًا شيئًا غيرمناسب في العروس. وبالمقارنة بنقاء العروس في المرحلة الحاضرة فإن هذا الجلد المنزوع يصبح ثوبًا لابد أن يُخلع بواسطة من يجدون العروس وهم الحّراس الذين يجوبون المدينة (أي روح المدينة). فهؤلاء الذين يحرسون الأسوار نزعوا برقع العروس بعد أن ضربوها وجرحوها. توجد فائدة لنزع برقع العروس: فعيونها أصبحت حرة بلا نقاب وتتمكن من النظر بدقة لترى محبوبها. ويشير نزع برقع بلاشك إلى عمل الروح القدس حسب كلام الرسول: "ولكن عندما يرجع إلى الرب يُرفع البرقع. وأما الرب فهو الروح وحيث روح الرب هناك حرّية" (٢ كو ١٦:٣، ١٧).

لا يشك أي شخص قد اعتاد على التفكير المنطقي، في أنّ ما يُنتج الخير لابد أن يكون هو نفسه خيرًا: فإذا كان نزع البرقع عملاً خيّرا، كذلك يكون الضرب وما نتج عنه من جروح عملاً خيّرًا. ولكن يتضح من المعنى الظاهرى للنص أن الحادثة مؤلمة. لذلك فمن المفيد أن نبحث عن فائدة هذه الكلمات في الكتاب المقدس، أي، إذا كان لها هدف طيب.

ضربات شافية

كيف تنقذ الحكمة نفس الشاب من الموت؟ بماذا تنصحه الحكمة أن يعمل حتى لا يموت؟ دعونا نفحص كلام العروس، "إن ضربته بعصا لا يموت" أمثال ١٣:٢٣. لأنك أن ضربته بعصا فإنك تنقذ نفسه من الموت. يقول النص في النشيد "ضربونى"، ويشير ذلك إلى البقاء حيًا في ضوء: "إن ضربته بعصا لايموت" ما لم يُضرب الشاب بعصا فإن نفسه لا تنجو من الموت. ويقول النبي إن الله يُحقق نفس النتائج عندما يُحيى بالقتل ويشفي بالضرب: "أنا أميت وأحيى. سحقت و أني أشفي وليس من يدى مُخلص" تثنية٣٩:٣٢. ولذلك قال داود العظيم إن هذه العصا لاتسبب جروح بل راحة. "عصاك وعكازك هما يعزياننى" مز ٤:٢٣. بهذه الأعمال تُجهز المائدة المقدسة بكل التفاصيل الأخرى التي يذكرها (مز ٢٣:٥) زيت على الرأس وكأس خمر غير مخلوط الذي من يشربه يكون مُنتشيًا وواعيا في نفس الوقت، والرحمة التي تتبعه وحياة طويلة في بيت الرب. فإذا حَوَت هذه الضربة الطيبة هذه العناصر التي تكلم عنها النبي والأمثال فإنه من المفيد أن نضرب بهذه

العصا التي ينتج عنها الوفير من الخير العميم.

من هم الحراس؟

دعونا الآن نراجع بعض الفقرات السابقة في النص التي لم نتكلم عنها مَرّ الكلمة على عروسه، ولكنها لم تعرف حبيبها. أنه لم يمر عليها ومكن يجرى إلى الأمام ويهجر عروسه، ولكنه أراد أن يجذبها لنفسه. وقالت العروس: **"نفسي خرجت على كلمته"**. أي أن نفسها خرجت من المكان الذي كانت فيه حيث وجدها حراس المدينة: **"وجدني الحرس الطائف في المدينة، ضربوني جرحوني، حفظة الأسوار دفعوا برقعي عنى"**. إذا لاقت العروس أية آلام خاصة للاجحيم أو بلص لكانت هذه خبرة مريرة لها ("السارق لا يأتي إلاّ ليسرق ويذبح ويهلك" يوحنا١٠:١٠ ولكن أن يجدها حراس المدينة فهذه في الحقيقة نعمة، لأن ما يجدونه لا يمكن أن يسرقه اللصوص. من هم هؤلاء الحراس؟ إنهم ليسوا إلاّ حراس إسرائيل (مز ١٢١:٤)، هؤلاء هم حراسنا على اليمين، وهم الذين نعتقد إنهم يحفظون نفوسنا من الشر ويحرسون دخولنا وخروجنا. الله هو حارس المدينة ويقول عنه المز: "إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس" مز ١٢٧:١. هؤلاء الذين يشير إليهم النص كحراس للمدينة هم "الأرواح الخادمة المرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب ١:١٤).

يقول النص إن النفس هي مسكن الله. هنا يجد الله النفس الضالة كما يعثر الراعي الصالح على الخروف الضائع، فتتحرك جموع الملائكة لتحتفل بهذه المناسبة كما يقول السيد المسيح. ويشبه ذلك الدرهم الضائع الذي وجد بعد أن أوقدت صاحبته سراجًا، ففرح الأصدقاء والجيران (لو١٥:٩). وأيضًا وُجد خادم الله داود كما قال المز: "وجدت داود عبدي، بدهن قدسي مسحته" مز ٨٩:٢٠. فأصبح داود ملكا لمن وجده كما يتضح من الآتي: "الذي تثبت يدي معه. أيضًا ذراعي تشدده. لا يرغمه عدو وابن الإثم لا يذله. وأسحق أعداءه أمام وجهه وأضرب مبغضيه" (مز ٨٩:٢١-٢٣). توجد عناصر أخرى تُضمن في هذه الفقرة من التمجيد.

ضربات الروح الشافية

لذلك، فإنه من الخير أن تجد الملائكة التي تجوب المدينة النفس. يشرح داود هذا بقوله: "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مز ٣٤:٧). تفتخر العروس عندما تقول: "ضربني الحراس" إذ تشيد بتقدمها إلى الأمام وإلى أعلى. وإذا قالت هذا عندما جُرحت، فيعني أن العصا المقدسة قد اخترقتها إلى الأعماق. لم تستقبل العروس العصا الروحية على سطح جسمها مكان الضرب ولكنها سببت جرحًا تفتخر به العروس. ومن هذه النتيجة تتضح أهمية النص. **إن العصا المقدسة أو الروح القدس هو المؤدب المُعزى الذي تؤدى ضرباته إلى التئام الجروح وثماره تتكون من الخير الذي يسجله بولس المثابر القوى ومعلم الحياة الفضلى.** وظهرت على بولس آثار الضربات والجروح، ولكنه فرح بهذه الجروح قائلاً: "لأني حامل في جسدي سمات الرب يسوع" غلاطية٦:١٧.

وأظهر بولس ضعفًا من شوكة في الجسد بواسطة الشيطان، فتضرع إلى الرب لكي يفارقه، فقال له "تكفيك نعمت لأن قوتى في الضعف تكمل". ففرح بولس بالضعف لكي تحل عليه قوّة المسيح (٢ كو ١٢:٩). توضح هذه الكلمات الجرح الجميل الذي نزع برقع العروس وهكذا كشف جمال النفس الذي كان يخفيه الغطاء.

دعونا نسترجع معنى النص، فالنفس التي تتطلع إلى الله وتمتلئ بالرغبة في الجمال الخالى من الغش تتجدد فيها رغبة أخرى للعالى الذي لاحدود له ولا تشبع هذه الرغبة أبدًا. فلا تتوقف مثل هذه النفس عن الأمتداد إلى ما هو أمامها. يظهر أي شيء عظيم وعجيب كأنه تافه بالمقارنة بما يأتي بعده، لأن ما وجدته العروس اِتضح أنه أكثر جمالاً مما اكتشفته من قبل. لذلك كان بولس يموت كل يوم، لأنه في كل مرة كان يأخذ حياة جديدة، أي ميتا بالنسبة للماضى وناسيًا كل الأشياء الماضية ١ كو ١٥:١٣.

لم تجد العروس راحة في تقدمها في اِتجاه الكمال أثناء سعيها نحو عريسها. فقد عملت "حديقة تفاح" برائحة طيبة تفوح من فمها، وجهزت طعامًا لسيد الخليقة من ثمرها الخاص، وروّت حدائقها وأصبحت ينبوع ماء حي، وأظهرت نفسها جميلة بالكمال وبعيدة عن اللوم حسب النص. وبِاِستمرار تقدمها، اكتشفت العروس شيئًا أكثر عظمة وجلالا: فأثناء قيادة الكلمة لها، امتلأ رأسها بالندى، وقطرات الليل في خصلات شعرها. وغسلت أقدامها، وأزالت جلد الحيوان الميت، ونزلت قطرات المرّ من يديها. ثم وضعت يدها على قفل الباب، وفتحت الباب، وبحثت عن الذي لا يمكن احتوائه، ونادت على الذي لا يمكن الحصول عليه. ووجد حراس المدينة العروس، واِستقبلت ضربة من العصا وقلدت الصخرة التي يتكلم عنها النبي: "هوذا ضرب الصخرة فجرت المياه وفاضت الأودية" مز ٧٨:٢٠. لاحظ المستوى الذي وصلت إليه العروس في الارتفاع. لذلك **اِستقبلت العروس ضربة تشبه ضربة موسى للصخرة حتى يفيض منها وتروى هؤلاء العطشى إلى كلمة الله (خر ١٧:٦). بعد ذلك كشف الحراس جمال وجهها برفع إزارها. هذا هو المعنى الرمزي.** غير أنه ليس هناك سبب للغيرة من أي شخص يستطيع أن يقدم تفسيرًا أفضل للنص من الذي يكشف الأسرار المخفية.

رؤية إشعياء ونشيد الأناشيد

قد يرى أي شخص العلاقة بين رؤية إشعياء (إش ٦:١) ونشيد الأناشيد.

أني أتكلم عن رؤية إشعياء بعد ما مات الملك من مرض البرص. رأي إشعياء شخصا يجلس في بهاء على ربوه عالية، على عرش مرتفع إلا أنه لم يتمكن من التحقق من شكله وعظمته. (لقد كان يمكن لإشعياء أن يتكلم عن هذا إذا كان في إمكانه، كما وصف بالتفصيل أشياء أخرى مثل عدد أجنحة السيرافيم ومواصفاتها وحركتها). لكنة تكلم فقط غن الصوت الذي سمعه والعتبات العليا للأبواب التي ارتفعت نتيجة لتسابيح السيرافيم وأمتلأ البيت بالدخان. ولمس أحد السيرافيم فمه

بقطعة جمر متقدة، فطهرت وشفتيه وإستقبلت أذناه كلمة الله. يشبه ذلك قول العروس أنها ضُربت وجرحت بواسطة حراس المدينة وأزيح برقعها. وبدلاً من إزاحة البرقع أزيحت العتبات العليا حتى لا تعترض رؤية وفهم إشعياء، وذكر السرافيم بدلاً من الحرس، والعصا بدلاً من قطعة الفحم والحرارة المحرقة بدلاً من الضربة. ويوجد هدف واحد لكل من العروس وإشعياء وهو التطهير والتنقية. لم يتضرر النبي من قطعة الجمر المتقدة **ولكنه أضاء وازداد بركة، كذلك العروس لم تُظهر تألمها من ضربة الحراس ولكنها كانت تفتخر بحريتها بعد إزاحة برقعها. ويسمى النشيد هذا البرقع الثوب الخفيف.**

إزالة برقع خيبة الأمل

يوجد تفسير آخر لهذه الفقرة ينسجم مع ما سقناه في السابق. فبعد ما خرجت النفس حسب كلمة العريس، بحثت عنه ولكنها لم تجده. ونادت عليه وهو الذي لا يمكن أن يحتويه أي اسم. وأعلمها الحراس أنها تحب من لا يمكن الحصول عليه وذهبت وراء من لا يمكن الأمساك به. فضربوها وجرحوها وضايقوها. وزاد ضيقها لأن رغبتها في محبوبها وشوقها لرؤية جماله لم تتحقق. ولكن إزاحة برقعها (خيبة الأمل) أوضح للعروس أن الاشباع الحقيقي لرغبتها هو في إِستمرار تقدمها في البحث والارتفاع: وكلما تحققت رغبتها، تحفزها لتوليد رغبة أعلى نحو السمو الغير محدود والغير مُدرك. لذلك أُزيح برقع خيبة الأمل، وسوف ترى العروس جمال حبيبها الغير مُدرك خلال الأبدية كلها. وازدادت حرارة شوقها وأخبرت بنات أورشليم بخروج قلبها لأنها إِستقبلت سهم الله المختار بداخلها. فقد ضرب طرف سهم الإيمان قلبها وماتت بجرح سهم الحب. يقول يوحنا:"الله محبة" يوحنا٤:٨، له العظمة والقوة إلى الأبد آمين.

العظة الثالثة عشر

لماذا القسم هنا؟

رتب الله الأسرار في الشريعة خلال موسى، وأكمل كل الناموس والأنبياء بنفسه. كما يقول: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الآنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل" مت٥:١٧. فحّرم القتل بالنهي عن الغضب، وحّرم خطية الزنى بإبعاد الشهوة. وأزال لعنة الحنث في القسم: "أيضًا سمعتم أنه قيل للقدماء لاِتحنث بل أوف للرب أقسامك، وأما أنا فأقول لكم **لا تحلفوا البتة. لا بالسماء لأنها كرسى الله. ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء. بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا. ومازاد على ذلك فهو من الشرير" متى ٥:٣٣-٣٧.**

تشهد النفس للكمال في نشيد الأناشيد، فقد أُزيل غطاء رأسها بنزع الجلد القديم وإزاحة البرقع عن وجهها، الذي يشير إلى التفكير المتردد أو المتشكك. بذلك تتمكن النفس من الاِتجاه مباشرة وباستقامة إلى الحق. تحَّلف العروس بنات أورشليم لا باسم عرش الله ولا بأسماء ملوك الله الذين يحملون اسم أورشليم، ولا بشرف رأس أي شخص التي تحمل الشعر الذي لا تتمكن من تحويل لونه إلى أبيض أو أسود، بل تنقل العروس قسمها إلى "الحقل" طالبة من وصيفاتها أن يقسمن "بقوته" "**أحلفكن يا بنات أورشليم بالقوات وفضائل الحقل**"٥:٨. تقول العروس أنها جميلة بالتمام ونظيفة من كل عيب وأنها لا تتكلم في غير المفيد، لأن ذلك يكون من الشيطان - ولكن تتبع مثال ميخا (زكريا٩:١٧)، فتتكلم العروس كلمة الله. فإذا كان أمر الله الذي أشير إليه سابقًا ذا قيمة كبيرة، يكون لقسم العروس في النشيد أهمية كبيرة. لأنها خالية من أي ارتباط أو موانع للقسم، كما أنها لم تسمح لوصيفاتها أن يقسمن بأسم المدينة الملكية أو بعرش الملك العظيم. (نتعلم هنا أن نمتنع عن التسرع في القسم الذي نعمله لله لأنه ليس في إمكاننا أن نضمن عرش أو مدينة في القسم).

يُحفظ شرف الرأس - الذي يوصف فيما بعد أنه يتكوّن من ذهب - والذي لايتحول الشعر فيه إلى أبيض أو أسود (كيف يصير الذهب أسوّد وكيف يتحول إلى اللون الأبيض؟) قدمت العروس هذا القسم للعذارى، الأمر الذي لم تمنعه الشريعة بل يجعله فرصة للمديح كما يقول النبي: "أما الملك فيفرح بالله ويفتخر كل من يحلف به" مز ٦٣:١١. وحتى يكون معنى هذه الكلمات في حدود كلمت "نعم" و"لا" اللتين يحددهما الإنجيل لكي يؤكد الحق، يقول: "بل ليكن كلامكم نعم "مت ٥:٣٧. لذلك فإذا كان هناك منعًا لأن نقسم بعرش الملك أو مدينة حكمة أو بالرأس الحقيقية فإن كلمت نعم ولا، هما وحدهما المسموح بهما، ومن خلالهما يمكن رؤية الحق في كلمة "نعم"، واضح أن القسم الذي أمرت به العروس وصيفاتها يحتوي معنى كلمة "نعم" عندما يكون من الضروري أن نؤكد ارتفاع نفوسنا: "**أحلفكن يابنات أورشليم بالقوة وفضائل الحقل**":إذا وجدتن حبيبي، ماذا تخبرنه؟ "

أني مريضة حبًا".

لقد فسرنا هذه الكلمات حسب ما يشير إليه تتابع الأفكار. وسنلخص الآن المعنى المُتضمن في النص. **يقول الرسول أن القسم الذي يؤكد الحق لا يمكن تغييره، أنه يضع حدًا لكل خلاف لأنه يحسم الأمور.** "فإن الناس يقسمون بالأعظم ونهاية كل خلاف عندهم لأجل التثبيت هي القسم" (عبرانيين٦:١٦). لذلك أمرت العروس وصيفاتها بقسم حتى يحفظه بدقة. ولذلك لكي أن يؤكد بصورة قاطعة لوارثى وعده، أن قراره لايتغير أبدًا وذلك بالقسم. فاستنادا إلى وعد الله وقسمه، وهما أمران ثابتان لا يتغيَّران ويستحيل أن يكذب الله فيها، نحصل على تشجيع قوى، بعدما التجأنا إلى التمسك بالرجاء الموضوع أمامنا (عبرانيين٦:١٧-١٨). (لايقول احد قسمًا ما أقل من مستواه وشرفه). ويلزم الآن أن نفحص علوّ القسم الذي فرضته العروس على الوصيفات.

قالت العروس: **"أحلفكن يا بنات أورشليم بالقوات وفضائل الحقل"** ماذا تعني لنا هذه الكلمات عندما تحفزنا؟ نحن نفهم بالتأكيد أن كلمة الحقل ترمز إلى العالم كما يشرحها السيد المسيح (مت١٣:٣٨). ماهي إذن "قوى"و"فضائل" العالم الكثيرة التي يُشير إليها القسم؟ يجب أن نفهم أن هذه القوى والفضائل أعلى من أنفسنا حتى يمكن للقسم أن يؤكدنا في الحق لهذه القوى والفضائل العظمى. لذلك يلزم أن نقدم تفسيرًا آخر للكلمات من أجل توضيحها: **"أحلفكن يابنات أورشليم بالظباء وذكور الغزلان الحمراء في الحقول"**٥:٨. تعلمنا هذه الكلمات قوة العالم التي تؤكد صدق القسم.

يتحد الإنسان بالله بطريقتين:

١- أن لا يعتقد في أفكار خاطئة عن الحق مثل المعتقدات الغير صائبة كمعتقدات عأبدي الأصنام والهرطقة. في الحقيقة هذه هي "نعم".

٢- يلزم أن يكون للشخص عقل نقي يرفض كل اهواء النفس. لاتعارض بين هذه وكلمة "نعم". .

عندما نتمسك بالفكرتين السابقتين، نتمكن من التفكير بعمق في الكائن بحق وأن نبعد كل الأهواء التي تضر نفوسنا. ترمز الظباء وذكور الغزلان الحمر إلى "القوة". فالذي يختبر هذه الرموز بصدق يمتلك قوة هذه الحيوانات البرية المستهلكة والمخربة. توصى العروس وصيفاتها بهذه الكلمات "نعم": فيلزم أن ينظرن بإيمان نحو الله ويجعلن حياتهن خالية من الأهواء. وعندما يتحقق هذا تتأكد فينا كلمة "نعم" التي لا يمكن تغيرها. هذا هو القسم الذي يقوى الحق في الإيمان ويُمجد كل واحد يتمسك به، كما يقول النبي (مز ٦٣:١٢). عندما ينظر الشخص بثبات إلى الحق ويعيش فيه بعد أن يغسل نفسه من كل تلوث بالشر، فإنه يبني تأكيد الإيمان بداخله. هذا الشخص الذي يحلف قسمًا لله، (مز ١٣٢:٣، ٤) لن يدخل بيت سكناه، ولن يعلو فراشه، ولن يعطى عينيه نومًا، ولا أجفانه نعاسًا، حتى يبني بيتًا لتابوت الرب ومسكنًا لإله يعقوب القدير.

دعونا نستمع إلى تعاليم العروس ونرى ماذا ترغب، إذا كنا أيضًا أبناء أورشليم السمائية. ماذا تقول العروس؟ إذا **وضعنا أنفسنا تحت القسم إلى**

"قوى" ذكور الغزلان الصافية العيون وإلى "الفضائل" ذكور الغزلان الحمراء التي تحطم الشر، فإننا نتمكن من رؤية العريس النقي وضارب سهام الحب. وستقول كل نفس له " أني مريضة حبًا"

جروح الحب

جروح الحب جميلة، كما نتعلم من الأمثال: "أمينة هي جروح المحب وغاشة هي قبلات العدو" أمثال٦:٢٧. من هو الصديق الذي يسبب جروحا أفضل من قبلات العدوّ؟ تتضح الأجابة لكل من يعرف أسرار الخلاص. لأن الصديق الحقيقي الدائم لايتوقف حبه لنا حتى ولوكنا أعداءه، أما العدو فهو متوحش وغير أمين. لأنه يسبب لنا الموت بالرغم من أننا لم نؤذِه. أصاب الجرح الإنسان الأول نتيجة عصيانه الوصية التي تأمر بالبعد عن الشر (ويعتبر هذا الجرح انفصالاً عن ما هو طيب) بينما القبلة هي أمر لما هو ممتع وجميل. ولكن توضح التجارب أن جراح الصديق تُعتبر شرفًا وتقدر أكثر من قبلة العدو. لذلك أثبت الله لنا محبته، إذ ونحن بعد خطاه مات المسيح عنا رومية ٥:٨. التهبت العروس بالحب واظهرت أن سهم الحب يوجد عميقًا بداخل قلبها، وهذا يمَّثل الشركة مع الله لأن الله محبة (١ يوحنا٤:٨)، تنفذ إلى داخل القلب بواسطة شوكة الإيمان، فنقول مع بولس: " الإيمان العامل بالمحبة" غلاطية٥:٦.

ما حبيبك من جيب؟

لندع القارئ يفهم النص قدرما يستطيع بينما ندرس موضوع العذارى مع مُدرّستهن: **"ما حبيبك من حبيب أيتها الجميلة بين النساء؟ ما حبيبك من حبيب حتى تحلفينا هكذا"** ٥:٩. تشبه هذه الآية ما فسرناه سابقًا. رأت العذارى ما أثار اندهاشهن من نفس العروس عندما خاطبت الكلمة قائلة: " نفسي خرجت على كلمته. " لقد عرفن أنه بعد ما خرجت العروس، بحثت عن الذي لا يمكن تمييزه بأية علامة ونادت بصوت عال على من لا يمكن تلقيبه بأي اسم. لذلك قالت العذارى كيف نعرفه الذي لا يمكن مناداته بأي اسم ؟ أنه لا يجيب عندما ننادى، ولانجده عندما نبحث عنه. انزعى البراقع من على عيوننا كما فعل معك حراس المدينة، حتى نتمكن من معرفة أين نبحث عنه. احكي لنا عن حبيبك وطبيعته. أوصفي لنا، أيتها الجميلة بين النساء، الطريقة لمعرفته. أشيرى لنا على الواحد الذي تبحثين عنه، واذكرى لنا ما هي العلامات التي يمكن بواسطتها معرفة هذا الحبيب الغير مرئى، حتى معرفته بواسطة سهم الحب الذي جرح قلبك وزاد من رغبتك له من خلال الألم العذب.

انه الخالق المتجسد!

دعونا نعيد هذه الآية حتى نستفيد مما سقناه ونجعله يتمشى مع كلمات الوصيفات: **"ما حبيبك من حبيب، أيتها الجميلة بين النساء؟ ما حبيبك من حبيب حتى تحلفينا هكذا؟"**

دعينا نستمع بانتباه بعدما رُفعت براقعنا ونلتفت إلى الحق بعيون نفوسنا.
كيف تصف العروس لوصيفاتها ذاك الذي تبحث عنه؟
كيف تصف العروس في كلمات هيئة من ترغبه؟
كيف تُحضر العذارى من لا يعرفونه؟ المسيح غير مخلوق وأيضًا مخلوق: ونعلم أن الغير مخلوق هو أبدي وموجود قبل إنشاء العالم، وهو خالق الكل. وعلى الجانب الآخر يرشدنا الجزء المخلوق، لأنه تكوّن حسب جسدنا الوضيع (في ٣:٢١).) ويمكننا فهم الكلمات بطريقة أفضل إذا فحصناها حسب ما جاء بالكتاب المقدس. نحن نعرف أنه في البدء كان الكلمة وأنه كان دائمًا مع الله وأن الكلمة لم يُخلق، وبدونه لم يكن شيء مما كان (يو ١:٣). والكلمة كان مع الله وكان الكلمة الله، وبه كان كل شيء. وُلد المسيح أي أنه أخذ جسدًا وحلّ بيننا. وأظهر تجسده عظمته بوضوح، أنه الله، الابن الوحيد لله الذي هو في حضن الآب، ظهر في الجسد، وقال عنه يوحنا: "والكلمة صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقًا" (يو ١:١٤).

بتجسده يقدس البشرية

لما كان السيد المسيح غير مخلوق وكان موجودًا قبل كل العصور فهو أبدي غير مُدرك وعظيم جدًا لا يمكن التعبير عنه، هو الذي ظهر في الجسد وسمح لنا أن نعرف بعضًا من صفاته.

تبحث الكنيسة هذه الناحية في المسيح وتعلمنا وتصفها بقدر ما تستطيع لكل السامعين. أني أتكلم الآن على أعظم سرّ في ديانتنا (١ تي٣:١٦) وهو أن المسيح ظهر في الجسد، وعاش مع الناس على شكل عبد ولما أخذ طبيعة الجسد المائت من خلال العذراء غير الفاسدة، اِستمر المسيح في تقديس جموع البشر بتوحيدها معه في شركة سريّة. وغذى جسده أي الكنيسة ورتب بانسجام أعضاءها بالإيمان لكي تكوّن العين والفم والأيدى وجميع الأعضاء. هكذا يقول بولس "فإن الجسد أيضًا ليس عضوًا واحدًا بل أعضاء كثيرة" ١ كو ١٢:١٤.

لكل عضو وظيفة معينة، لكن لا تحتقر العين اليد ولا ترفض اليد الرجل بل يرتبط الجسم بواسطة اطرافه حتى تعمل جميع الأعضاء في انسجام مع الجسم كله. يقول بولس إن الله رتب لكل واحد في الكنيسة عمله: "وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين. لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح، إلى أن ننتهي جميعنا إلى وحدانية الإيمان ومعرفة ابن الله إلى إنسان كامل إلى قياس قامة ملئ المسيح" أف٤:١١-١٣.

يقول بولس أيضًا: " ننمو في كل شيء إلى ذاك الذي هو الرأس المسيح الذي منه يستمد الجسد كله تماسكه وترابطه بمساندة كل مفصل وفقا لمقدار العمل المخصص لكل جزء لينشيء نموًا يؤول إلى بنيان الجسد بنيانًا في المحبة" أف٤:١٥-١٦.

من يرى الكنيسة يتمكن من رؤية المسيح الذي يبنيها وينميها بانضمام

المؤمنين المُخلصين إليها. ترى العروس بعيونها النقية، بعد ازاحة برقعها، الجمال المتناهي في العظمة والذي لا يمكن التعبير عنه لعريسها، ثم جُرحت بسهم روحي نادى، فإن الحب الثائر فيها يُدعى شهده. وليس في ذلك خجل أو عار لأن السهم ليس من جسد ولكن من الله. **وتفتخر العروس بجرحها عندما تضع شهوتها الروحية في أعماق قلبها. وتخبر وصيفاتها بذلك قائلة: " أني مريضة حبًا".**

خبرة الكنيسة مع عريسها

تتقدم العروس في الكمال، وكان عليها أن تُعلن لوصيفاتها جمال عريسها. ولم تتكلم عن ذلك منذ البداية (لأنها كانت غير قادرة على إظهار الجمال المقدس المتناهي في العظمة والذي لا يمكن التعبير عنه)، ولكنها تقود العذارى إلى الله المتجسد. (عمل يوحنا العظيم نفس الشيء (١ يوحنا١:١) بأن بقى صامتًا على من كان منذ البدء. غير أنه دوّن بدقة مارآه وسمعه ولمسته يداه بخصوص كلمة الحق). لذلك قالت العروس لوصيفاتها: "**حبيبي أبيض وأحمر. مُختار بين ربوّة. رأسه ذهب إبريز. قصصه فضة fur حالكة كالغراب. عيناه كالحمام على مجارى المياه مغسولتان باللبن جالستان على مياة وفيرة. خدّاه كخميلة يسكنان عطورًا شفتاه زنابق تقطران مرًا مختارًا يداه كخاتمين من ذهبب مرصعّين بحجر كريم من ترشيش. بطنه عاج أبيض مُغلف بالياقوت الأزرق. ساقاه عمودًا رخام مؤسستان على قاعدتين من إبريز. طلعته كلبنان. مختار كالأرز. حلقه حلاوة وكله مشتهيات هذا حبيبي وهذا خليلي يا بنات أورشليم" ٥:١٠-١٦.**

تكوّن كل هذه الصفات عناصر جمال العريس،ذُكرت لمنفعتنا، لكنها لا تُظهر لنا جماله الغير مُدرك. لقد جاء إلى الأرض. رأيناه وتكلم مع بني البشر، ولبس الطبيعة البشرية كما يقول الرسول (رو١:٢٠). وجعل الغير منظور مرئيًا بالأعمال وشهدت له الكنيسة.

إن تأسيس الكنيسة هو خلق جديد للعالم وحسب ما قال إشعياء النبي(إش٦٥:١٧) هي خلق سماء جديدة (وكما قال بولس (كولوس٢:٥: إيمانكم في المسيح هو القوة).

خُلقت أرض جديدة تشرب المطر النازل عليها، وخُلق إنسان آخر تجدد حسب صورة خالقه بالميلاد الجديد من أعلى. وُوجد نور جديد يقول عنه المسيح: "أنتم نور العالم" مت٥:١٤، "تضيئون بينهم كأنوار في العالم" فيلبى٢:١٥،: لذلك تضيء كواكب كثيرة في قوة الإيمان. ليست الأعداد الكبيرة من الكوامب التي سماها الله هي العجائب الوحيدة في الخليقة. إن أسماءهم، يقول كلمة الله، مكتوبه في السماء (لقد سمعت خالق العالم الجديد يقول لكواكبه: "افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السماوات" (لو١٠:٢٠). وبالإضافة إلى هذه الكواكب التي خلقها السيد المسيح توجد شموس تُنير أعمالها الطيبة العالم. ويقول صانع هذه الشموس: "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الصالحة

ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" مت٥:١٦. ثم "حينئذ يضئ الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" مت١٣:٤٣. لذلك يمكن لمن يتأمل إلى ما هو منظور في الدنيا ويفهم الحكمة التي تُشير إليها جمال المخلوقات، أن يعمل مقابلة بين الجمال المنظور والجمال المعنوي الخفي أي ينبوع الجمال الذي نبعت منه جميع الأحياء الموجودة. وشبيه بذلك فالذي يرى هذا الخلق الجديد في الكنيسة يرى فيه أنه الكل في الكل. ومثل هذا الشخص يُقاد بالإيمان خلال ما هو محدود ومفهوم إلى معرفة الله الغير محدود. **لهذا السبب تقترب العذارى من النفس التي ترتفع إلى الكمال حتى تُعرفّهم بحبيبها. وتشرح لهم بواسطة عمل الخلاص بعض صفات من تبحث عن**ه. وأوضحت أن الكنيسة بكاملها جسم واحد للعريس وعيّنت أهمية كل عضو من أعضائه، ولا يكمل الجسم إلاّ بِاتحاد كل عضو من الأعضاء.

يهدف الكتاب المقدس إلى تعليمنا وقد مهدنا فيما سبق لهذا الهدف النبيل. ويبتدئ نشيد الأناشيد تعاليمه بجسم الإنسان، كما يبتدى متى بسلسة النسب من إبراهيم إلى داود (مت ١:٢-١٧)، ويصف كلا السفرين أسرار الله حسب الجسد. وعلى الجانب الآخر يتكلم يوحنا العظيم على بداءات هذا السر الذي توجد جذوره في الأبدية، ويعلن أن كلمة الله كان موجودًا منذ البدء. وتحفز العروس وصيفاتها بمعتقدات مشابهة، لأن عقولنا لاتتمكن من تصور طبيعة الله الغير منظورة والغير مُدركة إلاّ إذا آمنا بالمرئى أو بالجسد من خلال الإيمان.

وتقول العروس: "حبيبي أبيض وأحمر" ٥:١٠. ويصف الاختلاط بين هذين اللونين الرابطة الصحيحة للجسد. قد مررنا على هذا التعبير في السابق عندما شبهت العروس عريسها بتفاحة لونها هو خليط من الأحمر والأبيض. فالتفاحة لونها أبيض وتصبح حمراء كرمز للدم.

يولد كل جسد نتيجة للزواج، ولكن الشخص الذي يولد بالجسد خارج نطاق هذا السر، لا يخضع لنوازع الطبيعة البشرية ولا للأهواء الصادرة من العقل. وهو يعلم أن ولادة الجسد تنتمى إلي كل جنس البشر. تقول العروس أن الذي يشارك في الجسد والدم لونه أبيض وأحمر. على أة الاحوال باشارتها إلى طبيعة الجسد بهذين اللونين لم تقل إن المسيح يشاركنا في طريقة ميلاده ما يخص باقى البشر. بل بالحري أخذ الله طبيعتنا البشرية من جموع البشر التي ولدها. من خلال الأجيال المتعاقبة. ولكن المسيح وحده دخل إلى العالم بطريقة جديدة في ميلاده، فلم تتدخل الطبيعة في هذا الميلاد بل خدمته. لذلك تقول العروس أن عريسها أبيض وأحمر، أي أنه، يسكن في هذه الحياة الحاضرة باللحم والدم بينما ولد من نقاوة بتولية. الحبل به عذراوى، ولادته دون دنس أو آلام، وحجال عرسه هي القوة "الأعظم علواً" التي ظللت على العذراء كسحابة. هو المصباح في بهاء الروح القدس، ويتحرر فراشه من الهوى وزواجه من الفساد.

مُختارين ربوة

يُسمى بحق، العريس المولود تحت مثل هذه الظروف "المختار من بين

ربوات"، فقد كان خاليًا من الميلاد الناتج عن زواج، لأن وجوده لم يكن نتيجة لزواج لا توجد تسمية ترتبط بميلاد البشر يمكن أن نطبقها على ميلاد المسيح الذي لم يلوثه فساد والذي تم دون آلام حيث أن البتولية وميلاد الطفل لا يمكن تطبيقها على العريس في نفس الوقت. أُعطينا الابن بدون أب، فقد وُهب لنا الطفل بدون ميلاد. ولم تعرف العذراء كيف نشأ الجسم الإلهي داخل جسمها ولم تلده بالآلام كما يقول إشعياء النبي: "قبل أن يأخذها الطلق ولدت. قبل أن يأتي عليها المخاض ولدت ذكرًا" إشعياء٦٦:٧. لذلك كان المسيح مختارًا، وكانت ظروف ميلاده مختلفة عن ظروف ميلاد أي بشر، وحياته على الأرض التي انتهت بالموت لم تبتدئ بالسرور، ولم تأتِ من خلال آلام الوضع. وحدث ذلك حسب ترتيب وتوقيت معيَّن.

لقد ادينت المرأة لتحبل بالأوجاع وتلد بالآلآم (تك٣:١٦)، لأنها جلبت الموت على الطبيعة البشرية من خلال الخطية. لقد كان من الضروري أن تحمل "أم الحياة" طفلها بالفرح وتكمل حملها وولادته بالفرح.

لقد بشرها رئيس الملائكة جبرائيل "أيتها المملتئة نعمة الرب معك مباركة أنت في النساء" لوقا١:٢٨. ازالت رسالة الملاك الحزن لميلاد الأطفال في الخطية والذي ورثناه منذ البدء. لذلك هذا هو الطفل الذي أُعطيناه بطريقة خاصة للميلاد البتولى من بين ربوات الأطفال الذين ولدوا في الخطية، فحق أن يطلق عليه التعبير: "أبيض وأحمر" لأن لحمه ودمه مختاران من "بين ربوات البشر" بسبب عدم فساده وحريّته من آلام الوضع. لذلك فميلاده واضح ومختلف عن أي ميلاد آخر. تطبق العروس هذه الكلمات على عريسها بسبب طبيعة ميلاده المختلفة. أنت تعلم بالحقيقة أن كثيرين ولدوا من جديد وكان هو بكرًا بينهم (رو ٨:٢٩)، "هو البداءه بكر من الأموات"(كو ١:١٨)، هو الذي هزم ضربة الموت ورتب الميلاد من الأموات بقيامته (أع ٢:٢٤). كان المسيح أب لكل هذه الولادات رغم أنه لم يعاين هو نفسه من الآم الولادة. فلم يُجرب الولادة بالماء أو الولادة من الموت أو الولادة كأول مولود من هذا الخلق المقدس بل كانت ولادته خالية من الألم. لهذا السبب تقول العروس "مُختار بين ربوه".

رأسه ذهب ابريز

دعونا نتأمل في جمال العريس الذي يُمدح في كل اجزاء جسمه: "رأسه ذهب إبريز" ٥:١١ وتعني كلمة "إبريز" ذهب نقي من كل شائبة. ويتبين لي أن الذين ترجموا كلمة إبريز من العبرية إلى اليونانية لم يجدوا أي كلمة تعادلها في المعنى. غير أننا نعلم أنها تعني النقاوة التي لا تختلط بأي شيء ردئ. ولقد سبق القول أن هذه الآية تشير إلى السيد المسيح رأس جسد الكنيسة (كو ١:١٨). نحن نعلم أن هذه الكلمة لا تشير إلى لاهوت المسيح السرمدى بل إليه كإنسان. لقد رأيناه على الأرض، وتكلم مع البشر، لقد كان ابنا للعذراء حيث خل لاهوته في جسده الذي أخذه منها. وكان أول ثمرة من الكتلة العامة لعجين البشر، حيث أخذ كلمة الله طبيعتنا، وأعادها إلى نقائها، وطهرها من كل عيب موروث. ويقول عنه النبي: "على

أنه لم يعمل ظلمًا ولم يكن في فمه غش" إشعياء ٩:٥٣. "وهو مُجرب في كل شيء مثلنا بلا خطية" عبرانيين١٥:٤. لذلك فهو الرأس لجسد الكنيسة وأول ثمرة لطبيعتنا البشرية، خالٍ، من الشر ويتكون من ذهب نقي.

خصلات العريس

إن خصلات شعر العريس سوداء وداكنة مثل الغراب (أني أذكر الغراب الذي يُقَّود العين المستهزئة [أمثال١٧:٣٠]. أنه يستعمل هذه العين المستهزئة كغذاء لصغاره). إن خصلات شعر العريس هي أشجار السماء العالية التي ترتفع من الأرض إلى السماء. أنها تضيف إلى جمال العريس، لأنها ثابتة على رأسه الإلهية. وفي الحقيقة يعلم القارئ وظيفة الخصلات التي تعلمنا عن العريس ما سبق أن ذكرناه. "خصلات شعر مليئة بندى الليل" ويسمى الآنبياء هذه الخصلات المحملة بالندى "السحب"، ومنها يأتي مطر التعاليم التي تروى الأرض الجدباء، وتجعل حقول الله خصيبة.

يرمز السيد المسيح للرسل بكلمة "خصلة شعر". كانت حياتهم الأولى سوداء مثل جابى الضرائب والسارق والمضطهد وأي شيء آخر وآكل لحوم مثل الغراب الذي يقور العيون. أني أتكلم عن رئيس سلطان الهواء لقوى الظلمة (أف٢:٢). وبنفس الطريقة تحول بولس من غراب إلى شجرة صنوبر دائمة الخضرة وأصبح "خصلة شعر" على الرأس الإلهية. كان بولس قبلاً مُجدفا ومُفتريا ومضطهدا (١ تي١:١٣)، أي كان غرابًا. ثم تحول إلى خصلة شعر ممتلئة بالندى السماوي من أجل أعضاء جسم (الكنيسة)، وأفرز اسرار كلمة الله الغامضة والخفية. لذلك أضافت خصلات الشعر الذهبية المدلاة من الرأس، لجمال العريس، وكأنها تتحرك بنسيم الروح القدس. وتحولت هذه الخصلات إلى تيجان لتجميل رأس العريس النقية. وتوضح لي الكلمات الآتية معنى خصلات الشعر: "وضعت على رأسه تاجًا من إبريز " مز ٣:٢١. لذلك فخصلات الشعر هذه تشبه أحجارًا كريمة تزين رأس العريس.

دعونا الآن نفحص ما يقوله النشيد عن عينى العريس: "عيناه كالحمام على مجارى المياه، مغسولتان باللبن" لايُفهم المعنى الكامل لهذه الكلمات (لأن ما نفهمه منها، في رأيى لايفيه حقه)، ولكني أقدم التفسير بعد الفحص الدقيق. يقول القديس بولس: "لاتقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لي إليك" ١ كو ٢١:١٢. يعلمنا بهذا لأنه يلزم لجسد الكنيسة أن يستعمل كلا من العيون والأيادي حتى يعمل بكفاءة. فالتفكير العميق وحدة لا يبلغ النفس إلى الكمال إلا إذا كان مصحوبًا بالأعمال التي تقود إلى حياة طيبة من الناحية الأخلاقية. كذلك لا تكفي الحياة النشيطة إلا إذا كانت تحت قيادة متفانية في الواجبات الدينية الروحية. لذلك لأبد أن تعمل العيون مع الأيدي. قد يشير النشيد إلى معنى العيون ولذلك نعرف لماذا يمدحها وسنناقش أهمية يدي العريس في فقرة مقبلة.

عيناه كالحمام على مجارى المياه

الرؤية هي الوظيفة الطبيعية للعين، ولهذا السبب فموضعها يقع أعلى جميع

الحواس. ولذلك فهي مؤهلة بالطبيعة لقيادة كل جسد. نسمع عن بعض الأشخاص يذكرهم الكتاب المقدس، ويقودنا إلى الحق مثل "الرائي" ١صموئيل٩:١١، و"الناظر" و"الرقيب" حزقيال٣:١٧، يُسمى الآنبياء هؤلاء الأشخاص "عيونًا" ويمثلون هؤلاء الذين يُكلفون بالمراقبة والملاحظة والانتباه. ونعرف صفاتهم بمقارنة جمالهم بشيء أحسن. تقول العروس "عيناه كالحمام"، تمدح العروس عيون العريس لأنها تعمل حسب ارشاد الروح القدس وفهي بريئة ونقية.

يُعبر النص عن الحياة الروحية النقية بالحمام، الذي شاهد شبيهها يوحنا عندما حلَّ الروح القدس على المياه (يو ١:٣٢)، لذلك فإن الذي يُعيّن بواسطة الله كعيون لجسد الكنيسة يجب عليه أن يغسل أي شيء يعوق بصره، لكي يقوم بوظيفة المراقبة والرؤية كما يجب. يقول الله أنه لا يوجد نوع واحد من المياه لغسل عيوننا، بل توجد أنواع كثيرة. فتوجد فضائل عديدة تمثل عدة ينابيع لتنقية المياه التي نغسل بها عيوننا لكي تُصبح نقية. والأمثلة على هذه الينابيع لتنقية المياه هي: المثابرة والعمل الدءوب، والتواضع، والصدق، والبر، والحزم والشجاعة، والرغبة في عمل الخير، والبعد عن الشر. تفيض أنواع هذه المياه وغيرها من نبع واحد وهو يضم مجاريها في مجرى واحد وبواسطتها تتنقي العيون من أي إفرازات للانفعالات.

وتُقارن العيون بالحمام "عندما تمتلئ بالمياه" وذلك لبساطة وبراءة هذه الطيور. ويقول كلمة الله: "مغسولتان باللبن". لا يعكس اللبن أي صورة. بينما كل السوائل الأخرى تشبه المرآة، لها سطح ناعم يعكس صورة من يحملق فيها، إلاّ أن اللبن ليست له هذه الخاصية. هذه، إذن أحسن صفة لتمجيد عيون الكنيسة: أنها لا تعكس الصوِّر الغاشة المعتمة للأشياء غير الموجودة والخاطئة، الباطلة أو المضادة للطبيعة الصادقة للحق. إنهم ينظرون فقط إلى الواقع نفسه ولا يعكسون الرؤى الكاذبة وأوهام الحياة. لذلك تغسل النفس الكاملة عيونها في اللبن لكي تحفظ نقاءها.

يقدم النشيد الآن شيئًا يجعلهم يبذلون مجهودًا كبيرًا، العيون "الجالسة بجوار المياه الوفيرة". يطلب منا كلمة الله أن نطبق تعاليم الله بدقة وبِاستمرار وبانتباه، حتى تُمتدح عيوننا بالنقاء. وتُعلمنا أننا يمكن أن نتمتع بجمال العريس نفسه بالجلوس بِاستمرار بالقرب من " المياه الوفيرة". وفي الحقيقة أن كثير من الذين أُشير إليهم كعيون أعلنوا توقفهم عن المثابرة في عمل الخير وبدلاً من ذلك جلسوا بالقرب من أنهار بابل وأدانهم الله نفسه: "تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينفروا لأنفسهم آبارًا مشققة لا تضبط ماء" إرميا٢:١٣. لذلك لا بد للعين أن تصبح جميلة وتناسب رأس العريس المذهبة، أي أنها ستكون نقية مثل الحمام، وصادقة ليس بها غش مثل اللبن، ولا تخدع أبدًا بالأوهام الخيالية. فيلزم أن نجلس متحلين بالصبر بالقرب من المياه المقدسة الوفيرة مثل شجرة ثابتة نامية بالقرب من المياه الجارية. وهكذا تثمر في الوقت المناسب وتبقى الفروع خضراء مزدانة بألوان أوراقها الجميلة (مز ١:٣).

يجعل الكثير من الأشخاص عيونهم الروحية تُهمل هذه المياه ولا يُعيرون

كلمة الله ألا انتباها ضئيلاً. بل يحفرون لأنفسهم بئرًا للطمع لكي تخدم مجدهم الباطل، ويعملون آبارًا للكبرياء ويحفرون آبارًا للخداع التي لا تبقى فيها المياه التي يريدونها على الدوام. لذلك فهم يمجدون القوة والعظمة التي يحاولون تجميعها ولكنها تتسرب فجأة إلى الخارج ولا يبقى أي أثر لمجهودهم الباطل للأشخاص الذين غرروا بهم. يرغب كلمة الله من هؤلاء الأوصياء والذين يقومون بوظيفة الحراسة أن يقيموا حائطا للحماية (جفون عيونهم) بتأكيد تعاليم الله. ويلزم أن يخفوا نقاء وبهاء حياتهم بضبط النفس ويخبئونها بجفون عيونهم حسب القول حتى لا يسقط شعاع الغرور على عيونهم. وسنفحص أعضاء العريس الأخرى إذا وهبنا الله الوقت بنعمة ربنا يسوع المسيح له المجد إلى الأبد آمين.

العظة الرابعة عشر

يشبه الذي يغذي طفلاً رضيعًا باللبن في حياته الروحية المبكرة، من يعتنى بهؤلاء الذين ولدوا من جديد في الكنيسة، كما يقول الرسول(عبرانيين٥:١٣). وهو يوزع خبز الحكمة على صاحب الضمير الكامل. "لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين" (١ كو٢:٦)، أى أننا ندرب بالتعليم الجيدة حوّاس النفوس لكي تستقبل خبز الحكمة. وتستقبل فكوك(أو حدود) هؤلاء الأشخاص كطعام لها انعكاسات على الحكمة ويجزءونها إلى أجزاء صغيرة. وهذه الفكوك في جسد المسيح لاترضع بعد ذلك من حلمات كلمة الله، ولكنها تتغذى الآن على الطعام الصلب الذى تقول عنه العروس ""خداّه كخميلة الطيب وأتلام ريّاحين ذكية". تتكلم العروس عن خدود العريس بعد ما تكلمت عن عيونه، وهي حقيقة واضحة لكل شخص منتبه لكلماتها. والعيون التي توجد بالقرب من ملئ المياه الروحية، لابد أن تَغسل بواسطة اللبن النقي الغير مخلوط مثل الحمامة البريئة، حتى يشارك العريس طيبته ونقاؤه جميع أعضاء الكنيسة. وصعد إشعياء العظيم الجبل العالى، من أجل هذا السبب، وأمر أن يصرخ بصوت واضح (إش٤٠:٩-١٢) لكي يُعلن: "هذا إلهكم قادم بقدرته وقوته، وذراعة تحكم له، وها أجرته معه ومكافأته أمامه. يرعى قطيعه كراع، ويجمع الحملان بذراعه، وفي أحضانه يحملها ويقود المرضعات برفق. يحوّط السماوات بكف يده، يمسك العالم بقبضة يده، ويعلن أوامرهللشخص الذى جبله المقدس. بعدما تعرفنا على الحق بواسطة غسل عيون الشخص بهذه المياه وبهذا اللبن، يتبع ذلك خدود العريس، فوظيفتها هي طحن الطعام لكي يغذي الجسم.

دعونا نفحص خدود العريس ونستمع للعروس التي تتكلم عنها "خداه كخميلة الطيب وأتلام رياحين ذكية" يعني النص أن خديه يشبهان كوبًا للشرب أو آنية ليست عميقة ولا عالية ويعتبر هذا التشبيه مدحًا. فإذا مدح أى شخص نوع من التعليم المفتوح البسيط النقي مثل هذه الآنية فإن عمقه لا يمكن أن نخطئه. كما يقول النبي: "لا يغمرني سيل المياه ولا يبتلعني العمق ولا تطبق الهاوية عليَّ فاها" (مز٦٩:١٥). لذلك نقول أن الحق في بساطتها ليس له دخل في أي خداع داخل التجويف كما هو مشار إليه بالقصعة التي تستعمل في حفظ الأعشاب والتوابل ذات الرائحة الزكية لأنها ليست مصنوعة من فضة أو ذهب أو كريستال أو أي مادة مثل هذه.

يتكلم النشيد، كما هو واضح، عن العيون النقية لأعضاء الكنيسة، إنهم يجهزون الطعام لجسد الكنيسة بتحوله إلى قطع صغيرة بواسطة الفك حتى لا يكون هناك شيء مخفيًا أو خادعًا في كلماتهم. وعيونهم لامعة وحرة وخالية من الغش، تشبه عيون الأطفال. ويقول النبي: "وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب. أمر الرب طاهر ينير العينين. خوف الرب نقي ثابت إلى الأبد. أحكام الرب حق عادلة كلها" (مز١٩:٨، ٩). فإذا كانت الآنية كلمة الله مثل هذه فمن المؤكد أنها ليست مصنوعة من خزف ولكن من الأعشاب العطرة للعريس المذكورة في أول النشيد لأنها أحسن من جميع الأطياب. كان بولس أناءً وقد أثبت نفسه بالشهادة للحق

وليس للغش. لقد رفض كل شيء أرضي من خلال العماد الذي أزال القشور من عينيه (أع ١٨:٩) وأصبح طفلاً للروح القدس لأنه تكوّن من طيب رائحته العطرة. بعد ذلك صُنع هذا الآناء من نحاس مُختار وأصبح أناءً يُصب منها خمر كلمة الله. وملآنة بمعرفة أسرار فلا تحتاج إلى عمل إنساني [فلم يأخذ بولس تعاليمه من لحم ودم (غل ١٦:١)]، ولكنه يُنتج المشروب المقدس ويصبه لمن يريده بينما تُشبه الفضائل المختلفة العطور لرائحة المسيح الزكية. وتُعدل هذه حسب حاجة الأشخاص المختلفة الذين يستقبلون كلمة الله - اليهود واليونانيين، النساء والرجال، الأسياد والعبيد الآباء والأطفال، وكل من كان خاضعًا أو غير خاضع للناموس. وتتحد روّعة هذه التعاليم المتنوعة مع كل فضيلة. ويمزج العطر في الآناء حسب حاجة كل شخص يستقبل كلمة الله. لذلك فالجمال الذي يصف جسد العريس يُمجد أيضًا خديه.

تشهد شفتا العريس التي تعطى توابل عطرة على المديح الذى ينسب إلى خديه: "خداه كخميلة الطيب وأتلام رياحين ذكية" (نش ١٣:٥). يشير المثالين هنا إلى صفتين: الأولى هي الحق الذى يشع من كلماته (لأن السوّسن يرمز إلى النقاء والحق). والثانية هي طريق الحياة الروحية الغير مادية الذي يُعبر عنه بتعاليمه وبالتفكير في دائرة الروحيات التي تضبط الرغبات العالمية أى الرغبات الجسدية. يرمز المرّ إلى الموت، ويفيض من الجسد ويملأ النفوس التي تصبح سهلة الآنضباط. كثيرًا ما يستخدم الكتاب المقدس كلمة المرّ على أنها إشارة إلى الموت. لذلك، فالعين النقية الكاملة تجعل خدودها اناءًا تفيض منها التوابل العطرة. وتظهر براعم السوّسن التي تُزيّن البهاء المقدس وكأنها كلمات فمه. وهكذا يسمى كلمة الله هؤلاء الآنقياء الذين يفوح منهم عطر الفضيلة. ومنهم يقطر المرّ الذى يملأ بِاستمرار عقول من يستقبلونه. ونتيجة لذلك فهم ينتظرون باحتقار إلى الحياة المادية. ويعتبرونها ميتة بإهمالهم متطلباتها. فاض بولس بهذا المرّ من فمه وكان ممزوجًا بالنرجس النقي لضبط النفس وملأ به إذان العذراء الطاهرة (وإسمها ثكلا) التي اِستقبلت هذا الفيض في نفسها. فأماتت الإنسان العتيق وأطفأت كل فكر ورغبة جسدية. وبعدما اِستقبلت ثكلا تعاليم الخلاص هذه اختفى جمالها ومات شبابها مع جميع وظائف جسدها. عاش داخلها كلمة الله وحده، ولأجله كانت كل الدنيا ميته بالنسبة لها وماتت هي بالنسبة للدنيا.

فاض أيضًا بطرس العظيم بالسوّسن المنير لكلمة الله عندما كان في منزل كرنيليوس وملأ مستمعيه بالمرّ. وعندما اِستقبلوا كلمة الله دُفنوا المسيح، وأماتوا أنفسهم بالنسبة لهذه الدنيا (أع ٣٤:١٠-٤٨). وتوجد أمثلة كثيرة في حياة القديسين. لأنهم أصبحوا فم الكنيسة العام وملأوا مُستمعيهم بالمرّ الذي أمات أهواءهم وحملوا ثمارًا بسوّسن الكلمة. وأصبحوا أبطالاً عظامًا للإيمان. واعترفوا الاعتراف الحسن، وامتلأوا بالمرّ أثناء كفاحهم من أجل الإيمان. ولا يوجد الآن لزوم لإطالة البحث في هذا الموضوع لأن استيعابي للنص أصبح واضحًا: فلقد درسنا كيف أصبح فم الكنيسة سوّسنا، وكيف يقطر المرّ من السوّسن وكيف تملأ هذه القطرات نفوس من يستقبلونها.

دعونا الآن ندرس الآية التالية من النشيد: "يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد" (نش ٥:١٤). لا تعمل عيون جسد الكنيسة بالكمال إذا لم ترتبط بخدمة الأيدي. ونحن نفهم ذلك بوضوح من بولس العظيم الذي يقول: "لا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لي إليك" (١ كو ١٢:٢١). تشهد أعمال الشخص للعين الحادة الرؤية وتكشف عن الحياة الفاضلة لمحبته في الوصول إلى الجمال الحقيقي. دعونا نبحث موضع العيون وعلامتها بالأيدى في جسد الكنيسة وسوف نحاول تفسير ما يقصده الله بتقديم الكلمات المقدسة في النشيد للمستمعين. "يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد"

لقد فهمنا أن النشيد يمدح رأس العريس وأن هذا المديح يتحقق في يديه. والمسيح هو الرأس وفيه حل الله لكي يصالح العالم لنفسه (١ كو ٥:١٩). وحسب ما قاله بولس أظهر المسيح نفسه في الجسد من خلال الفضيلة والمعجزات. فإذا كانت رأس العريس من ذهب نقي فمعنى ذلك أنها خالية من الخطية: "على أنه لم يعمل ظلمًا ولم يكن في فمه غش" (إش٥٣:٩). وبنفس الطريقة يقول النص أن يدى العريس من ذهب ويشير ذلك إلى أنه نقي ولا عيب ولاشر فيه. وتعمل الأيدى كأعضاء لادارة احتياجات الكنيسة العامة حسب أوامر الله المقدسة. ومدحها يشبه تمجيد الرأس أى أن كلا اليدين والرأس نقية وخالية من الخطية. وتصبح اليدان نقيتان عندما يُنزع منهما كل شيء منحوت عليه بالذهب فهذا يخفي جمالها. وفي حالة نحت شكل معين في الرخام، يستخدم المثال سكينه(ازميل) للنحت لازالة بعض الأجزاء متى يتكون الشكل حسب النموذج. لذلك يجب أن تُشكل الأيادي الكثيرة لجسد الكنيسة إلى شيء جميل بواسطة النحت الذى يتم عن طريق الكثير من التخيل والتفكير حتى تكون الأيادي من ذهب نقي. ويتضح أن أى شيء يُزول من الأيدى يشوه جمالها أى أن، ما يُدخل السرور للناس مثل حب الظهور والطمع والاِهتمام بالمظهر الخارجي والاِهتمام بالمجد الشخصى واشباع الملذات والتفاخر بأعطاء الأوامر. لذلك يجب إزالة أشياء مثل هذه بواسطة طرق التأمل والتفكير حتى يبقى الذهب النقي الغير مغشوش والذى يُقارن بالرأس المصنوعة من الذهب النقي.

تساعد كلمات الرسول في توضيح نص النشيد، الذى يقول: "نحن وكلاء سرائر الله" زنبحث عن الجديرين بالثقة والأمناء من بين مساعديه وكتب قائلاً: "ثم يُسأل في الوكلاء لكي يُجد الإنسان أمينًا" (١ كو ٤:٢). لذلك فالوكيل الأمين الحكيم (لو١٢:٤٢) يعمل عمل أيادي الكنيسة ويُظهر يده الذهبية في تقليده لسيده الحكيم الذى تقول عنه كلمات النشيد أنه يتكون من المثال الآتي: "رأس مكونة من ذهب عظيم". لم يكن يهوذا بالتأكيد يدًا ذهبية في جسم الرسل، فكان بائسًا حزينًا ومُنفردًا. ولما كان مؤتمنًا على الفقراء، لم ينزع عنه جشعه للمال، بل سرق سرًا من صندوق مال الرسل دون أن يراعي وصية الله. وماذا كانت نتيجة ذلك؟ لقد شنق يهوذا نفسه، فازال نفسه من الحياة، وجلب العار والدمار على روحه، ووضع في قبر صانعى الشر الذى يبقى عبر الأيام. لذلك يلزم أن تتشكل أيدينا بحيث تزيل كل ما ورثناه من شر. فيبقى فقط ما هو من ذهب الذى ينسجم مع جمال الرأس.

تُذكر كلمة زبرجد في الكتاب المقدس ويتحدد معناها حب الوضع الذي ذُكرت فيه. فكثيرًا ما يُقصد بها معنى سلبيًا، وعلى الجانب الآخر قد يقصد بها معنى مقدسًا ونبيلاً. عندما هرب يونان النبي من وجه الله، بحث عن سفينة مسافرة إلى ترشيش (يونان ٣:١). وقال داود العظيم أن سفن ترشيش تحطمت بواسطة الرياح القوية (مز ٧:٤٨). هبت مثل هذه الريح على التلاميذ وهم مجتمعون في العلية. وتعرفوا عليها أولاً بريح قوية عاصفة، بعد ذلك ظهرت لهم على هيئة ألسنة نار مُضيئة (أع ٣:٢). تحطم الرياح المتعددة الأشكال الشرور التي تحارب ضد الطبيعة البشرية، وتعرف الرياح بسفن ترشيش. وترمز هذه السفن إلى الشر، وبالرغم من ذلك يعبر حزقيال العظيم في إحدى رؤياه المقدسة عندما يصف ظهور عظمة الله: "كانت هيئة مثل ذلك "ترشيش" (حزقيال١:١٦،) وأستعملت هنا في النبوة لترمز إلى أي شيء روحي وغير جسدي وليس له لون. لذلك، يوجد لدينا معنيان لنص النشيد: تعتبر كلمة ترشيش كما لو كانت ترمز لمعنى إيجابى (لأن أى شيء له ناحية لايُمدح) إذا طبقناها على يدىّ العريس. يلزم أن نزيل باحتراس كل شيء زائد عن الحاجة أو جسدي حتى نتمكن أن ندخل في الدائرة الروحية المقدسة وننفض كل شيء مادي، ثقيل في هذه الحياة. يتبع خبراء صناعة الأحجار الكريمة مثل الزبرجد نفس الطريقة. يزيلوا أولاً الطبقة الداكنة الترابية بواسطة نوع من الحجر الصلب ويبقى الحجر النقي الامع أخضر اللون مثل ريت الزيتون. يُخيّل لي أن الرسول القديس يشرح هذه العملية بأكثر وضوحًا بارشادنا حتى نزيل كل شيء خارج عن رغباتنا لكي نتمكن من رؤية ما قد خفي عنا. "ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي تُرى بل إلى التي لاتُرى. لأن التي تُرى وقتية وأما التي لاتُرى فأبدية" (٢ كو ١٨:٤). نحن نفهم هذه الكلمات وكأنها تُطبق على الأيدى. وعندما نزيل أى مُغريات مادية، تصبح أيدينا نقية وتتحول بإرادتنا الحرة إلى ما هو غير مادي وروحي. "يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد".

دعونا ننظر إلى كلمات النشيد التي تشير إلى بطن العريس: "بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق" (نش ١٤:٥). سلم مُعطى الوصايا موسى لوحى الشهادة التي نقش عليها الحروف المقدسة. لذلك قال الله لموسى عندما أراد أن يعطى الوصايا: "وقال الرب لموسى أصعد إلىّ، إلى الجبل وكن هناك. فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم" (خر١٢:٢٤). أزال وضوح الإنجيل كل شيء جسدي وأرضي، فلم يعد هناك داع لحروف منقوشة على ألواح الحجر ولكن على عاج ناعم لامع. ويُعرف موضع الوصايا والشريعة "بالبطن" وهي لوح من "العاج على حجر زفير".

يساعد المثال من جسم الإنسان في زيادة فهم هذه الكلمات من النشيد. يُستخدم خشب الصندوق (puxion) المتين لصناعة ألواح الكتابة، لذلك عندما نسمع عن الواح مصنوعة من هذا الخشب الخفيف نفهم أنها خاصة باستعمال الكتّاب لكي ينسخوا عليها. وتُعرف هذه الألواح بأسم بوكسيون، ويسميها النشيد بأسم خشب الصندوق بدلاً من العاج. والألواح التي تُصنع من هذا الخشب تشبه مادة العظم، لاتفسد وذلك لما يمتاز به هذا النوع من الخشب من صلابة ونعومة:

فلا يتشقق أو يفسد بمرور الوقت.

يعطى اللون الأزرق الداكن لحجر الزفير راحة للعيون المُتعبة للأشخاص الذين يثابرون بِاهتمام في قراءة الحروف على الألواح، لأن بهاء الزفير يُريح العيون. ويمكن تطبيق هذا المثال على "بطن" الكنيسة. لقد سمعت النبي الذي أوحى له الله يقول: "أجابني الرب وقال اكتب الرؤيا وأنقشها على الألواح لكي يركض قارئها" (حب ٢:٢). تصلح كلمة "بطن" كتعبير جيد لتمجيد جسد السيد المسيح. حفز النص حبقوق لكي ينقش رؤيته على اللوح، لذلك يمكننا أن نسمى اللوح نقاء القلب الذي تنقش عليه ذاكرتنا الرؤى المقدسة. وشبيه بذلك، عندما فتح حزقيال العظيم فمه، ووضعه في درج سفر مليئة بالحروف على كل جانب: "وقال لي يا ابن آدم أطعم بطنك واملأ جوفك من هذا الدّرج الذي أنا مُعطيك إياه فأكلت فصار في فمي كالعسل حلاوة" (حز ٣:٣). يُسمى الجزء المنطقي من النفس حيث توضع التعاليم المقدسة "بطن" ويمكننا تسمية قلب إرميا العظيم "بطن" الذي امتلأ بالأفكار الحزينة: "أحشائي أحشائي. توجعني جدران قلبي. يئن في قلبي. لا أستطيع السكوت. لأنك سمعتِ يا نفسي صوت البوق وهتاف الحرب" (إر ١٩:٤). وإذا أردنا أن نسوق شاهدًا أعظم من الكتاب المقدس نسجل ما قاله السيد المسيح إلى هؤلاء الذين آمنوا به: أنهار ماء حي ستفيض من كل من يؤمن به "من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي" (يو ٣٨:٧). وتُضيف أن القلب النقي يُشار إليه بالتعبير "بطن". ويصبح لوح للشريعة المقدسة (رو ١٥:) كما يقول الرسول. ويوضح تأثير الشريعة المكتوبة في القلب ليس بحبر (٢ كو ٣:٢)، ولكن بروح الله الحي الذي يرسم هذه الحروف في النفس: وليس على ألواح حجرية كما يقول الرسول، ولكن على لوح القلب النقي، الخفيف والمضيء. يلزم أن تُنقش الكلمات المقدسة الموجودة في الذاكرة النقية الصافية، على القدرة القائدة للنفس، بحروف بارزة واضحة. تُشير الزفير في الحقيقة إلى تمجيد بطن العريس فقط باللوح الذي يشع نورًا بلون السماء. ترشدنا هذه الصورة لكي نكون متنبهين للأشياء السماوية، مكان كنزنا (مت ٢١:٦). فإذا ثبتنا في حفظ وصايا الله تتكون لدينا آمال مقدسة تنعش عيون نفوسنا.

ثم تمدح العروس أرجل العريس: "ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من إبريز" لبيت الحكمة أعمدة كثيرة مزينة بمواد متباينة (أم١:٩)، التي تدعم خيمة الشهادة. وتُصنع رءوس وقواعد الأعمدة من ذهب بينما الأجزاء المتوسطة مُغلفة بالفضة. تقول العروس أن أعمدة الكنيسة من رخام ومثبتة بأحكام على قواعد من ذهب. [الكنيسة بيت كما يقول الرسول: "وأنما إن كان أحد لايعرف أن يدبر بيته فكيف يعتنى بكنيسة الله" (١ تي٥:٣)]. لذلك تمتلئ كلمات العروس بحكمة بصليئل (خر٣٥:٣٠-٣٣) عندما تصف جمال العريس. تزدان رأس وقاعدة العمود بالذهب، وتوضح هذه الكلمات أنها تشير إلى خيمة الأجتماع. تعلو كل رأس عمودا من الذهب. لذلك فرأس العريس نقية تتكون من ذهب غير ملوث والذى ينظر إلى جماله تكون عيونه نقية (يسمى النشيد هذا الذهب الخالص باسم"كيفاز")، بينما تؤسس أرجله على قواعد ذهبية. تُلزمنا هذه الفقرة أن نُفسر

رمز العمدان، ولانخطئ إذا كنا من تلاميذ القديس بولس الذي استعمل التعبير "عمدان " ليشير إلى زملاؤه من الرسل بطرس ويعقوب ويوحنا (غلا٢:٩). أنه من المفيد لنا أن نتعلم من بولس، حتى يمكننا أن نكون مستحقين أن نُسمى عمدان. وأيضًا نتعلم من حكمة بولس أن العمود يلزم أن يستند على أساس من الحق. فالحق من ذهب وقواعده هي أرجل العريس وتزيّن يداه ورأسه. وقد يُفسر الأساس على أنه رخام. ونحن نفهم من كلمات النشيد أن أرجل الجسد عمدان رخام (أى أن هؤلاء الأشخاص الذين يدعون ويحملون جسد الكنيسة حياتهم مثالية وحديثهم فاضل. ومن خلالهم يكون أساس إيماننا قوى ومتين، ويكمل طريق الفضيلة، ويرتفع أعضاء جسد الكنيسة إلى أعلى بأشتياقنا إلى وعد الله). يقود الحق والثبات جسد الكنيسة. يمثل الذهب الحق، الذي يسمى أساس المبني المقدس (المعبد) ("لأنه لايستطيع أحد أن يضع أساسا آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح" (١ كو٣:١١) فالمسيح هو الحق وعليه تؤسس "أرجل" عمدان الكنيسة).

يُمثل الرخام بهاء الحياة الحازمة التي لاِتحيد عن رغبتها في الخير. يوجد بخيمة الإجتماع الكثير من العمدان التي تدعم بيت الحكمة بينما يكفي عمودان لتدعيم جسد الإنسان. لذلك يلزم أن نطبق هذا السر على شيء آخر، أى، على الوسائل المختلفة لكي نصل إلى الفضيلة بواسطة الشريعة. يمكن الحصول على الكثير من تعاليم الحكمة بواسطة فحص مع أني الكلمات. تقودنا كلمة الإنجيل الموجزة المفيدة إلى طريق مختصر مركز للكمال الحياة الفاضلة. لذلك يقول السيد المسيح: "بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء" (مت٢٢:٤٠). أنه يقع على عاتقك هذه المسئولية التي اسندت إليك، لأن كلا الوصيتين لها نفس المعنى. فالشخص يرفع الحمل إذا كان معلقا على كتفيه أو على يده. يقول السيد المسيح أن الناموس كله والأنبياء يتعلق على هاتين الوصيتين، بينما تقول العروس أن جسد عريسها يحمله عمودان مثبتان على أساس من ذهب. يجب أن نفهم صواب سر أرجله على أنها تُشير إلى هاتين الوصيتين، لأن السيد المسيح يقول أن الوصية الأولى تشبه الثانية: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والظمى. والثانية مثلها. تحب قريبك كنفسك" (مت٢٢:٣٧-٣٩).

ثبت بولس هذين العمودين في تي العظيم عندما أراد أن يجهزه كبيت للرب: الإيمان والضمير (١ تي٣:١٥). يؤدي الإيمان إلى حب الله بكل القلب والروح والقوة. أما الضمير الخيّر فيقود صاحبة إلى معاملة الجار بروح طيبة مُحبة. ولا يتعارض فهمنا الحالي للعمدان مع تفسيرنا السابق لها، لأن كل من هذه العمدان تمثل بطرس ويعقوب ويوحنا وأى واحد يكون مستحقًا لهذا الاسم الآن وفي المستقبل.

وحسب ما يقوله الرسول (١ تي ٣:١٥)، فإن الشخص الذي يصل إلى الكمال بهاتين الوصيتين يصير عمودًا ويدعم الحق؟ لذلك فإن جسم الحق كله يرتفع على هذين العمودين التي تدعمها الأرجل. ويتكون أساسها من ذهب، أى أنه، أساس

الإيمان الثابت، المستمر والقوى في كل شيء حسن مع الخلق القديم.

يقع على عاتقك هذه المسئولية التي أسندت إليك، لأن كلا الوصيتين لها نفس المعنى. فالشخص يرفع الحمل إذا كان معلقا على كتفيه أو على يده. يقول السيد المسيح أن الناموس كله والأنبياء يتعلق على هاتين الوصيتين، بينما تقول العروس أن جسد عريسها يحمله عمودان مثبتان على أساس من ذهب. يجب أن نفهم صواب سر أرجله على أنها تُشير إلى هاتين الوصيتين، لأن السيد المسيح يقول أن الوصية الأولى تشبه الثانية: "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. هذه هي الوصية الأولى والظمى. والثانية مثلها. تحب قريبك كنفسك" (مت٢٢:٣٧-٣٩).

ثبت بولس هذين العمودين في تي العظيم عندما أراد أن يجهزه كبيت للرب: الإيمان والضمير (١ تي٣:١٥). يؤدي الإيمان إلى حب الله بكل القلب والروح والقوة. أما الضمير الخيّر فيقود صاحبة إلى معاملة الجار بروح طيبة مُحبة. ولا يتعارض فهمنا الحالي للعمدان مع تفسيرنا السابق لها، لأن كل من هذه العمدان تمثل بطرس ويعقوب ويوحنا وأى واحد يكون مستحقًا لهذا الاسم الآن وفي المستقبل.

وحسب ما يقوله الرسول (١ تي٣:١٥)، فإن الشخص الذي يصل إلى الكمال بهاتين الوصيتين يصير عمودًا ويدعم الحق؟ لذلك فإن جسم الحق كله يرتفع على هذين العمودين التي تدعمها الأرجل. ويتكون أساسها من ذهب، أى أنه، أساس الإيمان الثابت، المستمر والقوى في كل شيء حسن مع الخلق القديم.

تلخص العروس وصف جمال عريسها بقولها: "طلعته كلبنان. فتى كالأرز. حلقه حلاوة وكله مُشتهيات. هذا حبيبي وهذا خليلى، يا بنات أورشليم" (نش ٥:١٥-١٦). أني أرى أنها تُظهر عريسها بوضوح لأن الجمال الذى تمدحه جمالاً ظاهرًا. ويتبع هذا الظهور كلام الرسول عن الكنيسة كجسد له أطراف (١ كو ١٢:١٢). تقول العروس أن هيئته تشمل الأعداد الغير محدودة من الأرز في جميع أرض لبنان. ولايوجد شيء وضيع أو حقير في هيئة جسمه ولكنه يتكون من الأرز العالى الذى ترتفع فممه إلى علو شاهق.

دعونا نختبر مقارنات العريس الأول: "طلعته كلبنان" هنا أختبار بمقارنة الأضداد. بما أن الخير له اسم واحد بالنسبة إلى حقيقة ما يوجد فأى شيء لايشترك معه يكون باطلاً ولا يكون له وجود لاختيار الشخص صاحب الحكم الصائب على الأشياء، ما هو عديم القيمة، بل يحصل على ما هو خير ونبيل. تتكون هيئة العريس من مختارات من أرز لبنان، ويقترح الكتاب المقدس طريقتين لفهم كلمة لبنان: أحدهما رديئة ومرفوضة. كما جاء في النبوة، فهو يشبه العجل الذى لابد أن يتحطم(مزمو٦،٥:٢٩). أما الشكل الثاني فهو مجيد يناسب الله ويشبهه. نفهم من هذه الكلمات أن هناك ملك واحد وهو خالق الكون كله. بينما على الجانب الآخر يوجد رئيس هذا العالم الذى يسمى نفسه ملك الظلمة. تخدم ربوات من الملائكة الملك الحقيقي،بينما يلتف حول رئيس قوى الظلمة ربوات من الشياطين (كو ١:١٣). تتبع الرئاسات والسلاطين والفضيلة ملك الملوك ورب الأرباب. وفي

الآخرة حين يسلم المسيح المُلك لله الآب بعد أن يكون قد أباد كل رئاسة وكل سلطة وكل قوة للعدو، فإنه لابد أن يملك إلى أن يضع جميع الأعداء تحت موطئ قدميه (١ كو ١٥،٢٥:٢٤).

يرى النبي حزقيال (حزقيال١٠:١) رؤية: ملك العظمة جالسًا على عرشه العالي العظيم وموضع العرش فوق النجوم ويشبه عرش الأعلى مقاما. أن صانع الفخار له سلطانًا على الطين، فيصنع من كتلة واحدة إناءًا للاستعمال الرفيع وآخر للاستعمال الوضيع. فماذا إذا إن الله وقد شاء أن يُظهر غضبه ويعلن قدرته، قد احتمل بكل صبر آنية غضب معدة للهلاك وذلك بقصد أن يعلن غنى مجده في آنية الرحمة التي سبق فأعدها للمجد (رو٩:٢١-٢٣). وبالإضافة إلى ذلك، يرسل الله ملائكة إلى قديسيه لنملأهم بالحياة الطيبة والسلام، بينما يرسل إلى العصاة القساة حمم غضبه، وسخطه وغيظه، ويطلق عليهم ملائكة الهلاك. (مز ٧٨:٤٩). لا داع أن نتكلم باسهاب على كيف يقف الشيطان ضد الخير والسلام.

يظهر جبل لبنان لنا من جميع جوانبه وتنمو الغابات الكثيفة تظلل جوانبه المنحدرة ولهذا السبب تتنوع الصور التي كتبت عن جبل لبنان في الكتاب المقدس، لذلك يجب أن نفحص كل واحدة منها على حدة. لذلك يرى الأنبياء لبنان في أوجهها المختلفة، لمدحها ولإدانتها. الرب يكسر أرز لبنان ويقلل من شأنها ويجعلها كالعجل الوحشي الذي يُعبد في الصحراء (مز ٢٩:٥-٦) (تعلمنا هذه النبوّة أن كل شر يرفع نفسه ضد معرفة الله سوف يذوبة إلى لاشيء). ويمكن أن نضفي معنى أفضل إلى لبنان: "الصديق كالنخلة يزهر كالأرز في لبنان ينمو" (مز ٩٢:١٢). ينمو الواحد العادل كنخلة عالية لأنه في الحقيقة عادل (السيد المسيح هو الواحد العادل الذي صعد من الأرض إلى السماء من أجلنا). هو نخلة يحمل الكثير من الأوراق. وأصبح السيد المسيح وهو في طبيعتنا البشرية، جبلاً ملأ بالأرز كل من كان مرتبطًا به بالإيمان ونامياً عليه. وعندما نُزرع في بيت الله، ننمو ونزدهر في فناء الله.

الكنيسة هي بيت الله، حسب قول الرسول، (١ تي٣:١٥) وأرز الله ينمو فيها. والأفننية هي خيام الاجتماع في الأبدية حيث تزدهر آمالنا وتتحقق في الحين الحسن. لذلك يكتمل جسد المسيح من خلال كل واحد من أطرافه. (لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد كذلك المسيح أيضًا" (١ كو١٢:١٢). من أجل هذا السبب، تسمى العروس جمال عريسها "طلعته كلبنان فتى كالأرز" ويتميز ذلك عن لبنان المرفوضة. وعلى حسب قول إشعياء النبي (إش١١:١،١٠:٣٤) تسقط لبنان المرفوضة بينما ترتفع الأخرى عندما يفرخ برعم من جذع يسى. وعندما ينضج ويصبح مسئولا يُغير الأسد والنمر والحية إلى حيوانات أليفة هادئة، فيسكن الأسد مع العجل ويرقد النمر مع الطفل، وسوف يرعاها جميعًا هذا الطفل الصغير الذى ولد لنا. ثم يضع يده على فتحة مرقد الثعبان ويلمس صغاره فيلغى سُميتها. كما يقول إشعياء النبي (إش ١٠:٣٤) تسقط لنان أمام جبار مهوب. وتوضح النبوّة هذه الأشياء بالرموز. ولايلزم أن نناقشها لأنها واضحة لكل شخص. لأنه من لايعرف أن

الطفل الذى ولد لنا لم يلمس الثعبان. ودمرت قدرته الوحوش التي كانت تعيش تحت سقف واحد مع الكائنات الأليفة، غفد أزال طبيعتها المتوحشة. وقد سقطت قسوة لبنان بواسطة أعمال هذا الصبى المولود لنا. فكل من يرفع نفسه ضد الحق سوف يسقط عند إبتدأ الشر. لذلك، تقارن العروس جمال سيدها بأرز لبنان المختار "طلعته كلبنان فتى الأرز".

تهدى العروس المديح العريس: "حلقه حلاوة وكله مُشتهيات" (نش ٥:١٦). نفس هذه الكلمات كالآتي: يوجد الحلق أسفل الذقن ويصدر الصوت من القصبة الهوائية والحنجرة بواسطة حركة الهواء. بما أن كلمات العريس لذيذة مثل العسل في حلاوتها، فصوته هو عضو الكلمة. وصوته الذي يصدر من الحلق قد يطلق عليه راعٍ ومُفسر للكلمة التي يتكلمةا السيد المسيح. وسوف نتمكن من فهم حلق العريس بهذه الطريقة. عندما سُئل يوحنا المعمدان: من أنت؟ قال: "أنا صوت صارخ في البرية" (يو ١:٢٣). يقدم الرسول بولس برهانًا على أن السيد المسيح يتكلم بداخله وبواسطته أصبح صوته عذبا (٢ كو ١٣:٢٣). قدم جميع الآنبياء أنفسهم كأعضاء الصوت للروح القدس وأصبحت أصواتهم عذبة بتثبيت العسل المقدس في حناجرهم. يأكل الملوك والشعوب العسل لما له من فوائد للصحة. ولا يقلل التمتع بأكله الرغبة في الاستزادة منه. لذلك تُسمى العروس عريسها "أنه هو كله المرغوب فيه دائمًا" ويعتبر هذا تعبيرًا عن من تبحث عنه. كم هي نعمة كبيرة لأرجل العريس التي تجعله مرغوبًا فيه بشدة. فأرجله كاملة في كل شيء خيّر وتتكون هيئته وجمالها المرغوب فيه من جميع أعضاؤه. فهو مرغوب فيه ليس فقط من أجل عيونه ويداه وخصلات شعره بل أيضًا من أجل قدميه ورجليه وحنجرته. فلكل عضو من الأعضاء أهميته الخاصة ولا يقلل من هذه الأهمية ارتفاع أهمية أحد الأعضاء على الأعضاء الأخرى.

"هذا هو حبيبي وهذا هو خليلى يا بنات أورشليم" (نش ٥:١٦). بعد ما ذكرت العروس للوصيفات صفات من تبحث عنه، حتى يتمكنّ من معرفته، أشارت إليه بقولها: "هذا هو الواحد الذي أبحث عنه، قد قام من يهوذا ليكون أخا لنا، وأصبح رفيقًا لمن سقط في أيدي اللصوص، فربط جراحه بعدما صب عليها زيتًا وخمرًا وأركبه دابته وأوصله إلى الحان واعتنى به، وعند مغادرته الحان في اليوم التالي، أخرج دينارين ودفعهما لصاحب الحان وقال له أعتن به، ومهما تنفق أكثر، فإني أفيك ذلك عند رجوعي"(لو ١٠:٣٠-٣٥). وكل عمل من هذه الأعمال هو في الحقيقة واضح وعندما تصدى للسيد المسيح أحد علماء الشريعة ليجربه وليضع نفسه في كبريائه فوق الآخرين وسأل السيد المسيح قائلاً: "من هو قريبي" (لو ١٠:٢٩). فشرح كلمة الله على هيئة قصة يظهر فيها محبة الله الكاملة للجنس البشري. فتكلم عن نزول الإنسان من السماء، وهجوم اللصوص عليه، وتعريته من رداء عدم الفساد وجروح الخطية، والإِستمرار في الخطية وانتشارها على نصف الطبيعة البشرية بينما بقيت النفس حيّة. ثم تكلم السيد المسيح عن الناموس الذى أصبح دون فائدة، فلم يرع الكاهن ولا اللاوى جروح من سقط في أيدى اللصوص لأن دم التيوس والعجول ليس قادرا على محو الخطية (عبرانيين ٩:١٣). إلا أن

السيد المسيح أخذ طبيعتنا البشرية بالكامل، فكان القطعة الأولى المقدسة من العجين (رو١١:١٦) الذى شمل جزءا من كل جنس: اليهود والسامريين واليونانين والجنس البشري كله وبجسده، أى بدايته التي أسرع بها إلى مكان الشر الذى وقع فيها الرجل، ضمد جراحه وأركبه دابته واحاطه برعايته ومحبته وأوصله إلى مكان الراحة حيث يستريح كل المتعبين والثقيلى الأحمال (مت١١:٢٨). فكل من يدخل إليه ويستقبله كما يقول السيد المسيح: "من يأكل جسدي ويشرب دمى يثبت في وأنا فيه" (يو ٦:٥٦).

لذلك، يتمكن الإنسان بقدرته الخاصة أن يستقبل بداخله من لا يمكن احتوائه فأخذ دينارين: محبة الله من كل القلب، محبة الجار مثل محبة النفس وللأجابة على سؤال أحد علماء الشريعة فليس سامعوا الشريعة هم الأبرار أمام الله، بل العاملون بالشريعة يبرون (رو ٢:١٣)، لذلك يجب أن نستلم هاتين العملتين (الإيمان بالله والضمير الحى ناحية اخوّتنا في البشرية)، ونحقق عمل هاتين الوصيتين في أعمالنا فقد قال السيد المسيح إلى صاحب الحان أنه سيفي ما يُنفقه على الرجل المجروح عند رجوعه الثاني. لذلك فالذى أصبح رفيقنا من خلال هذا الحب، تحوّل إلى أخ لنا بانتمائه لنا من يهوذا، أنه هو الذى تعلنه العروس لبنات أورشليم قائلة: "هذا حبيبي وهذا خليلى يا بنات أورشليم" وبفهم هذه الصفات المميزة للعريس سوف نجده ونستقبله بواسطة إرشاد الروح القدس من أجل خلاص نفوسنا. إليه العظمة الآن وكل أوان إلى الأبد آمين.

العظة الخامسة عشر

كان الرسول فيلبس من نفس البلدة التي جاء منها أندراوس وبطرس بحسب ما جاء في الإنجيل (يو ١:٤٤). إني أظن أن فيلبس قد مُجد لأنه كان صديقًا للأخوّين أندراوس وبطرس كانا أول من كرمهما الإنجيل. فهم أندراوس سر المسيح وتبعه بعدما أشار يوحنا المعمدان إليه قائلاً: "هذا هو حمل الله الذي يحمل خطية العالم". تعلم أندراوس حيث كان يسكن وحمل الأخبار المفرحة من النبوات التي صدرت منذ أمد بعيد إلى أخوه سمعان بطرس. ويلزم أن يسبق السمع الإيمان. لأن الشخص الذي يرتبط من كل قلبه بالحمل يصير مقدسًا بتغيير الاسم: فبدلاً من سمعان ناداه السيد المسيح بطرس وأصبح اسمه بطرس وينطبق تغيير الاسم أيضًا على إبراهيم وسارة اللذان مرا في مراحل روحية عديدة ثم اِستقبلا الوعد بالبركات من الله وأصبح إبراهيم وسارة جدودا لأمم كثيرة من خلال تغيير الاسم. ويشبه ذلك ما حدث ليعقوب الذي صار اسمه إسرائيل بعد مصارعته الطويلة خلال الليل مع الملاك. ونمى بطرس العظيم بمثل هذه النعمة، بعد ما عرف إيمان أخوه في حمل الله ثم اكتمل من خلال الإيمان وأصبح صخرة). لذلك كان فيلبس مستحقا أن يكون رفيقًا لبطرس وأندراوس بعدما وجده يسوع. كما يقول الإنجيل. وجد فيلبس الذي صار تابعًا لكلمة الله. "اتبعني" (يو ١:٤٣). وبعد ما امتلأ فيلبس من نور الإيمان، دعا نثنائيل لكي يتقرب من المسيح ويتعرف على سرّ الإيمان ويمتلئ بنوره. فقال له فيلبس: "وجدنا الذي كتب عنه موسى في الناموس والأنبياء يسوع ابن يوسف من الناصرة" (يو ١:٤٥). اِستقبل نثنائيل رسالة الإنجيل بانتباه ووجد سرّ النبوة عن السيد المسيح صدى في أذنيه. علم أن بيت لحم هي أول مكان لظهور الله في الجسد ولكنه بعد ذلك عاش في الناصرة لذلك سُمى السيد المسيح الناصري. وقد تبين لنثنائيل من فحص النبوات أن السيد المسيح لابد أن يولد حسب الجسد من نسل داود في بيت لحم وأن هذا السرّ لابد أن يحدث في مغارة وفيها أقمطة من قماش لكي يلف بها الطفل المولود ومعهم رجل يرعاهم. وكانت الجليل تُعرف حسب الكتاب المقدس بأنها موّطن الأمم (إش٩:١). لذلك ظهر نور المعرفة لنثنائيل الذي قال: "أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح" (يو ١:٤٦). ومن هنا ترك نثنائيل شجرة التين التي أخفي ظلها النور، وتمسك بالواحد الذي لعن شجرة التين الغير مثمرة فجفت أوراقها. وشهد كلمة الله أن نثنائيل كان إسرائيل حقًا لا غش فيه، فلقد أظهر نفسه نقيًا مثل أبينا إبراهيم (تك ٢٥:٢٧). قال المسيح: "هوذا إسرائيلي حقًا لا غش فيه".

تظهر كلمات هذه المقدمة واضحة لأى شخص ينتبه لكلمات الإنجيل التي توافق مع كلمات نشيد الأناشيد. فكما أرشد صوت يوحنا أندراوس إلى حمل الله وقاد نور فيلبس (الذي ترك ظل الناموس ودخل إلى النور الحقيقي) نثنائيل إلى كلمة الله. هكذا أصبحت نفوس الوصيفات العذارى كاملة بواسطة الجنال فاقتادهن لكي يكتشفن الخير الذي ظهر لهن وقلن: "أين ذهب حبيبك أيتها الجميلة بين النساء؟" أين توجه حبيبك فنطلبه معك" (نش ٦:١). سألت نفوس الوصيفات

سيدهن ولكنهن سألن أولاً "ما"؟ كما سألن في السابق: ما حبيبك من حبيب أيتها الجميلة بين النساء؟" (نش ٥:٩). وعندما علمت الوصيفات أن مظهر العريس أبيض وأحمر ازددن شوقًا للسؤال "أين؟" "أين توجه حبيبك فنطلبه معك؟" وعندما تعرف مكانه فقد يتمكنّ من عبادته في مكان وجوده ويتمتعن بالنظر إلى عظمة مبهائه التي تعطى الخلاص لمن يراها. كما يقول النبي: "يا الله أرجعنا وأنر بوجهك فنخلص" (مز ٨٠:٣). يقول المعلم، مثل فيلبس "تعالي وانظر". لقد قاد الوصيفات العذارى لكي يتقربن منه، لقد بحثن عنه بدلاً من أن يروه. لذلك يوضح مكان الواحد الذي يبحثن عنه واِتجاه نظرته. وتقول العروس: "حبيبي نزل إلى جنة إلى خمائل الطيب" (نش ٦:٢). وهكذا أشارت العروس إلى مكان عريسها، ثم أوضحت ماذا يعمل: "ليرعى الجنات ويجمع السوّسن" لذلك يشير المعنى اللفظي لهذه الكلمات للوصيفات إلى مكان العريس وماذا يعمل.

نصل إلى معرفة فائدة الكتابة المقدسة من خلال التأمل الروحي. فعندما نسمع: "حبيبي نزل إلى جنته" نتعلم سرّ الإنجيل التي تكشف لنا كلماته معانيها الروحية فالله الذي ظهر في الجسد والذى وُلد من يهوذا وخلص الأمم الجالسة في الظلمة وظلال الموت، تناديه العروس المخطوبة له لكي يتحدا إلى الأبد، بأسم "المحبوب" وهي اخت لشعب يهوذا. "حبيبي نزل" تشير إلى الواحد الذي نزل من أورشليم إلى جرش وسقط بين اللصوص. ويبع نزول الواحد الذي سقط بين الأعداء ويشير ذلك إلى نزوله من علياء جلاله الذي لا يمكن التعبير عنه إلى اِتضاع طبيعتنا البشرية. ونتعلم من رمز جنته، أن الراعي الحقيقي هو الذي يزرع ويرعى حقله بنفسه أى يرعانا نحن لنفسه. [لأننا حقله كما يقول (١ كو٣:٩)]. في البدء خلق السيد المسيح الطبيعة البشرية في الجنة التي زرعها الله الآب. ولكننا هجرنا جنتنا التي امتلكناها لذلك نزل الله مرة ثانية لكي يُزيّن الجنة بنباتات الفضائل لأنها أصبحت صحراء ممهجورة. ورعى كلمة الله جنته وروى نباتاتها بواسطة النبع المقدس لتعاليمه.

تصف كلمة آناء العطور خدود العريس وتمجدها (ويستخدم الؤلف كلمة اناء لكي تعني خدود وفكوك) وهي تطحن القمح الروحي للتغذية. لذلك يُعلمنا مكان ومسكن العريس. أنه لايحل في النفس البعيدة عن الفضيلة, فإذا أصبح أى شخص أناءًا للعطور، يخرج منه مختارات من المرّ يصير كوب للحكمة التي تستقبل خمر الفرح النقية.

تعلمنا كلمات النشيد الآتية عن التغذية التي يُقدمها الراعي الصالح لرعيته فلا يدع غنمه تدخل الصحراء أو الأماكن الممتلئة بالأشواك لترعى بل يقدم التوابل العطرة بالجنة كغذاء. وبدلاً من مرعى العشب يجمع لها الراعي السوّسن لتغذيتها. يعلمنا كلمة الله الأمثلة لأننا نرى أن طبيعة القوة المهيمنة على كل شيء ترتب مكانا لهؤلاء الذين يستقبلونه بنقاء وطهارة. وهم يملكون حديقة مليئة بنباتات كثيرة مختلفة مزروعة بالفضائل. ويُنميهم العريس بقوة بواسطة السوّسن المزدهر ويمتلئون بثمار التوابل العطرة. يرمز السوّسن للفكر النقي المضئ ورائحته الجميلة لاتتفق مع رائحة الخطية الرديئة. تقول العروس أن السيد يعرف

خرافه الروحية، ويغذيها في حدائقه ويجمع السوّسن ليغذي بع غنمه. ينقي لنا بولس العظيم السوّسن لغذائنا من بيت الغذاء المقدس: "كل ما كان حقًا، وكل ما كان شريفًا، وكل ما كان عادلاً، وكل ما كان طاهرًا، وكل ما كان مستحبًا وكل ما كان حسن السمعة، وكل ما كان فيه فضيلة وخصلة حميدة" (في ٤:٨). هذه في رأيى هي السوّسن الذى يغذي به الراعي الصالح والمعلم العظيم قطيعه.

قالت العروس النقية الغير ملوثة: "أنا لحبيبي وحبيبي لي" (نش ٦:٣). هذا هو مقياس رباط الكمال في الفضيلة. نحن نعرف هنا أن النفس النقية تتمسك بالله وحده ولا تنظر لأي شيء غيره. لذلك يجب أن تغسل نفسها من أي عمل أو فكر مادي وتتحول إلى الروحانية واللامادية. وهكذا تُصبح صورة من الجمال الأصلي الأبدي. عندما يرى شخص صورة على الوحة تطابق تمامًا نموذجها الأصلي يقر في الحال أن الشكل واحد في الاثنين: وهكذا يمكن أن نرى الجمال الأصلي في الصورة المقلدة للنموذج الأصلي. وتقول العروس ما يشبه ذلك: "أنا لحبيبي وحبيبي لي" ففي تطابقها مع المسيح تستقبل منه جمالها الأصيل، هذه البركة الأولى لطبيعتنا حسب صورة وشبيه بالجمال الأصلي الذي يستحق وحده التمجيد والحب. ويشبه ذلك مرآة مصنوعة بدقة ماهرة يدوية التي تعكس صورة مطابقة للوجه. لذلك عندما ترتب النفس أمورها وترفض كل تلوث مادي تُصبح مُمثلة لصورة الجمال النقي الخالي من الغش.

تقول النفس، المرآة الحيّة التي تملك الإرادة الحرة: "عندما أنظر إلى وجه حبيبي، ينعكس جمال وجهه عليّ". يقلد بولس هذه الكلمات بوضوح بقوله: "وفيما بعد لا أحيا أنا بل المسيح يحيا في. أما الحياة التي أحياها الآن في الجسد، فإنما أحياها بالإيمان في ابن الله، الذي أحبني وبذل نفسه عني" (غل ٢:٢٠). وعندما يقول "فالحياة عندي هي المسيح" (في ١:٢١)، يصرخ بولس أنه نقي نفسه من أي هوى بشري مثل الحزن، الغضب، الخوف، الجبن، الأهواء القوية، الكبرياء، الحمق، الرغبة الشريرة، الحسد، الانتقام، حب التملك والمكسب أو أية عادة قد تؤدى إلى تخريب النفس. هو وحده الذي يملأ نفسي، وهو ليس أي شيء مما سبق ذكره. لقد نُزعت عني كل طبيعتي الخارجية الظاهرة، ولم يبق بداخلي أي شيء غير المسيح. حقيقة الحياة عندي هي المسيح" أو كما تقول العروس "أنا لحبيبي وحبيبي لي" هذا هو الطهر والنقاء وعدم التلوث والنور والحق الذي يغذي نفسي. أنه لا يغذي بالعشب الجاف أو بالشجيرات ولكن بروعة قديسيه. يوحى السوّسن ببهاء وإشعاع ألوانه الجميلة. مناجل هذا فالذي يتغذى بين السوّسن يقود قطيعه إلى مروج السوّسن حتى تكون: "نعمة ربنا علينا" (مز ٩٠:١٧).

نحن نصبح مثل الطعام الذي نأكله. دعونا نأخذ مثال الإناء الأجوف من الكريستال فكل يوضع فيه بوضوح. ويشبه ذلك عندما نضع بهاء السوّسن في نفوسنا فإنها تشع وتظهر من الخارج الأشكال الموجودة بالداخل. ولتوضيح هذه النقطة. تُغذى الروح نفسها بالفضائل التي تُسمى رمزيًا بالسوّسن ويُصبح الشخص المكوّن بهذه ذا حياة طيبة مُشعا مُظهرا في حياته كل نوع من الفضيلة. لنفرض أن السوّسن النقي هو: ضبط النفس والاعتدال والبر والشجاعة والقدرة وكا ما يقوله

الرسول حقيقي، ومشرف ومستحق للحب وعادل ومقدس، عطوف وفاضل ومستحق للتمجيد (في ٤:٨). تتكون هذه الفضائل جميعها في النفس نتيجة للحياة النقية وتزيّن النفس التي تمتلكها.

لذلك تهب العروس نفسها لمحبوبها وتُستقبل جمال من تُحب. وفي النص الذى يتلو سنسمع عن التكريم الذى يُنعم به الله على من يعظمونه. يقول كلمة الله لعروسه: "أنت جميلة يا حبيبتي كترصه حسنه كأورشليم مرهبة كجيش بألوية" (نش ٦:٤). يقدم الملائكة التسبيح والتعظيم لله قائلين "المجد لله في الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة" (لو٢:١٤)، التي سمعها الرعاة عندما رأوا السلام يولد على الأرض، وأن مدينة الملك العظيم هي مدينة أورشليم التي سماها الله رب كل الخليقة ويتضح ذلك لكل من يقرأ الإنجيل. لذلك يجب أن نعرف أن تمجيد جمال العروس يمكن أن يُقارن بجمال تسبيح الله وأورشليم. ويكشف كلمة الله بهذه التعبيرات الطريقة الصحيحة للارتقاء حتى ترتفع النفس وتصل إلى أعمال الله العظيمة. لأنه إذا كان الله هكذا مرتفعًا، فإن الواحد الذى في حضن الآب اِتحد مع الإنسان بالجسد والدم لكي بعطى سلامًا للأرض ليُفرح به الله. تقارن العروس جمالها بمثل حنان الله القدوس فتقلد السيد المسيح في عملها، فتصبح للآخرين كما كان المسيح للبشر. قلد بولس السيد المسيح بالتضحية بحياته حتى يعطى بني إسرائيل الخلاص ازاء معاناته وضيقاته. "ف أني كنت أوّد لو أكون أنا نفسي محروما من المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد" (رو٩:٣). يمكن تعديل هذه الكلمات لتناسب العروس كالآتي: هذا هو جمال روحك، وهذه هة محبة الله الذى أخلى نفسه وأخذ شكل العبد (في ٢:٧) وأعطى نفسه فداء عن العالم. فكان الغنى، الذى أصبح فقيرًا من أجلنا حتى نتمكن أن نحيا بموته ومن أجلنا افتقر لكي نغتنى وبعبوديته نملك. (٢ كو ٨:٩).

يظهر جلال الله مثل جمال أورشليم السمائية، جمال حر وأم الحرية والنبل. لقد تعلمنا أن أورشليم هي مدينة الملك العظيم من أقوال السيد المسيح نفسه (مت٥:٣٥). أنها تحوى داخلها الغير محوى، فالله يسكن ويمشى فيها، وهو يُجملها بحضوره فيها. لذلك تستقبل أورشليم السمائية جمال الله، جمال مدينة الملك العظيم. يتكلم المز عن هذه الروعة كالآتي: "بجلالك اقتحم. اركب من أجل الحق والدعة والبر" (مز ٤٥:٤). لذلك يتميز الجمال المقدس بالحق والبر والدعة. فالنفس التي تتكون بهذه الصفات تظهر جميلة كأورشليم التي تزدان بجمال الملك.

نحن لا نشك أن النص يذكر مديح العروس، ولكننا لا نعرف بسهولة كيف يكتسب هذا المديح تشريفًا حتى لو عرفنا ارتفاع قيمته. يقرأ النص: "مرهبة كجيش بألوية" (نش ٦:٤). قد ترتفع قيمة مديح العروس بالنسبة لتفسيرنا السابق عندما قورنت بالقوى التي لاِتحد. هذه القوات المنتظمة في المعركة هي القوى الدائمة إلى الأبد والتي تمسك بزمام الأمور وتسيطر على كل شيء، فالعروس ثابتة والسلطات تبقى خالية من العبودية وتمجد هذه القوى الله دون انقطاع ولا تبقى السيرافيم الطائرة ثابتة ولا تتغير أماكنهم. ولا تتوقف الشاروبيم عن حمل عرش

الله العالي، ويبارك جميع جنوده خدامه العاملين مرضاته (مز ١٠٣:٢١). أسس الله هذه القوى لذلك يظل الأرواح والقوى الغير محدودة واضح ومستمر وثابت، لأن الشر لا يفسده. وترتب النفس كل شيء حتى تقلد وتتعجب من هذه القوى ونظامها. يؤدي الخوف إلى الشلل والتوقف عن البحث ولكننا سوف لا نخطئ بالوقوع في حلقة الخوف.

يصعب معرفة من تكلم الكلمات الآتية ولمن وجهها: "حوّلي عنى عينيك فإنهما قد غلبتاني، شعرك كقطيع المعز الرابض في جلعاد" (نش ٦:٥). يظهر أن السيد المسيح هو الذى يوجه هذه الكلمات إلي النفس النقية، ولو أني اعتقد أنها يمكن أن تُوجه إلى العروس. على أية حال ف أني الآن سأعرض معناها كما يظهر لي. قرأت في الكتاب المقدس في عدة مناسبات أن الأجنحة تُنسب إلى الله كما يقول النبي: "احفظني مثل حدقة العين. بظل جناحيك استرني" (مز ١٧:٨). وأيضًا: "بخوافيه يظللك وتحت أجنحته تحتمي" (مز ٩١:٤). واقترح موسى ذلك في سفر التثنية: "كما يحرك النسر عشه وعلى فراخه يرف ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على منكبيه" (تث ٣٢:١١). ويقول السيد المسيح: "يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا" (مت ٢٣:٣٧). تتوافق هذه التعبيرات مع ما كنا نفترضه. فإذا قال النص المقدس الموحى به، لأي سبب سرِّي لا نعرفه، أن الطبيعة الإلهية لها أجنحة، لذلك يكون الإنسان الأول الذي خلق على حسب صورة الله، شبيها له في كل شيء (تك ١:٢٦). أستنتج من ذلك أن الإنسان الأول خُلق بأجنحة حتى يكون شبيها بالطبيعة الإلهية. ويتضح أن كلمة "أجنحة" يمكن أن ترمز إلى الله. فهي قوة الله ونعمته وعدم فساده وكل شيءٍ آخر. وامتلك الإنسان جميع هذه الصفات طالما كان على شبه الله في كل شيءٍ، ولكن ميلنا إلى الشر سلب منا الأجنحة. (فلم نكن تحت حماية أجنحة الله، بل نُزعت منا أجنحتنا الخاصة). لذلك ظهرت لنا نعمة وبركة الله وأنارت عقولنا حتى تنمو لنا أجنحة من خلال الطهارة والبرَّ بعد أن ننبذ الرغبات الدنيوية ونتجه إلى الله بكل قلوبنا.

إذا لم تخرج هذه الكلمات عن نطاق الحق،فمن الصواب القول أن العروس ذكرت البركة والنعمة التي اِستقبلتها من العيون المقدسة. وبنفس الطريقة نظر الله إلينا بالحنان وزودنا بالأجنحة حسب نعمته الأزلية أصبحت هذه الكلمات واضحة في صلاة داود إلى الله، "غيناك تنظران المستقيمًات" أى إلى سلوكي، "جرّبت قلبي تعدته ليلاً. مّحصتنى. لاتجد في ذموما. لايتعدّى فمى" (مز ١٧:٢-٣). وكأن داود أراد أن يقول: "عيناك لاترى ما هو مضاد" لأن الشخص الذى يرى الصدق لايرى المعوّج والشخص الذى لايرى المعوّج يرى دائمًا الصدق. وبهذا يزيل ما هو مضاد، أشار داود إلى الحُسن في عيّن الله، والطريقة التي بها النفس أجنحتها التي فقدتها نتيجة لعصيان آباءنا الأولين. ونحن نفهم هذه الكلمات كما يأتي: "غندما تر أني عيناك تبتعد بعيدًا عن ما هو مضاد، لأنهما سوف لاتريان أى شيء من هذا في. لذلك فإن أجنحة مرة أخرى حسب ماتراه عيونك، وأخذت أجنحة الحمامة من خلال الفضائل التي منحتنى قوة الطيران. أني أتمكن من الطيران والراحة، نعم الراحة

مثلما إستراح االله بعد عمله. (التكوين٢:٢).

أستؤنف وصف جمال العروس، ومجدت كل ناحية من نواحى جمالها بواسطة مقارنتها بشيء مناسب: فمدح شعرها، وانتظام صفوف أسنانها وأزدهار لون شفايفها وعذوبة حديثها وأحمرار خديها. يُساق لكل ناحية من هذه النواحى مقارنة مناسبة. فيقارن شعرها بقطيع ماعز على جلعاد، ويمدح أسنانها قطيع النعاج الصادرة من الغسل والحاملة توائم. وتُقارن شفتيها بخيوط قرمزية، وحديثها جذّاب وخدودها مثل جلد ثمرة الرومان. (نش ٦:٥-٧).

أفضنا في فحص هذه الكلمات ولا داع لتكرار تفسيرها. وإذا كان بين الحاضرين من لم يستمع لها دعنا نوجز الإشارة إلى معانيها الرمزية. يتباين الشعر الموجود على الجسم في المواضع المختلفة. وتحكم قوى الحس كل أعضاء الجسد وبدونها لايستطيع أن يعيش (لذلك تعتمد حياة الجسد على اِستقبال الإحساس). وبالرغم من أن الشعر جزء من الجسد إلاّ أنه لايحس الألم إذا إحترق أو قُطع وفي هذا يختلف عن مُعظم مكوّنات الجسم. لذلك يقول بولس أن شعر المرأة هو مجد لها(١ كو ١١:١٥) وتزينه في ضفائر. يعلمنا شعر العروس أن الأشخاص الموجودين حول رأس العروس يلزم أن يكون لهم قيمة أكبر من الحواس لأنهم يخفون الحواس بالحكمة. يعطى هؤلاء الأشخاص مجدًا للكنيسة. كما يقول سفر الأمثال "الحكماء يذخرون المعرفة" (أم١٠:١٤).

لا يقدر الحكيم الجمال بالنظر،ولاالجيد بالذوق ولاالجمال بالرائحةأو اللمس أو أى عضو حسن آخر. تميل النفس إلى الخير بواسطة العقل، عندما تموت كل حاسة تمتلكها. ويُمجد مثل هؤلاء الأشخاص هذه السيدة،الكنيسة. إنهم لايُزيدون التمجيد إلى الحد الذى تنتفخ ولايُبخثون نفسها إلى أسفل بالحزن والاحتقار. حتى إذا كانوا مُعرضين للقتل بسبب الإيمان بالمسيح، أو تطلق عليهم الوحوش الجائعة، أو يُضعون في النار أو يُجبرون أن يتحملوا أى أذى أو ألم. يتصف هؤلاء الأشخاص بعدم الحساسية التي تظهر في الشعر عندما يتعرضوا للألم. كان هذا هو إيليا الذى آتي من جلعاد، جسده مغطى بالشعر وجلده جاف غير نظيف ويلبس رداء من جلد الماعز وكان مهدد بتوعدات الجبابرة. رفع الذين قلدوا نبل الآنبياء أنفسهم فوق هذا العالم بينما ظلوا فيه دون كرامة، مُضطهدين، مضروبين يعيشون في الجبال والمغاوّر وثقوب الأرض، كان العالم لايستحقهم (عبرانيين١١:٣٧-٣٨). نراهم مثل قطعان على رأس هذا الكون، يمجدون الكنيسة ويرتفعون مع القادم من جلعاد (إيليا) إلى جمال السماوات.

تُمجد الماعز لأن شعرها الكثيف يُغطى صورة لجمال العروس. والسبب الثاني للتمجيد هو أنها تستطيع أن تسير على الصخور بأقدام ثابتة وتصعد بخفة على قمم الجبال، وتمر بشجاعة خلال الأماكن الصعبة خشنة التضاريس وأيضًا أن تسير بسلام على طريق الفضيلة. يعتقد البعض أن هذا الحيوان يناسب مقارنته بالعروس لأن موسى الذى سلم الناموس استخدمها في كثير من وظائف الشريعة المقدسة (لاويين٩:٣،٤:٢٣). وتُذكر الماعز، التي تقود القطيع على الطريق الصحيح، بين أربعة أنواع الحيوانات في سفر الأمثال (٣٠:٢٤-٣١). يمكننا أن نفهم

من هذا أن أى عمل يبتدئه شخص ما يشارك معه الكثيرين. يقول الكتاب المقدس أن ثوبيل كان مكتشف للدوات المصنوعة من الحديد، وكل من يصنع الأدوات الحديدية يُرجع الفضل إليه. وهكذا الحال مع هابيل الراعي وقايين الفلاح ونيمرود أول من عرف الصيد ونوح أول مُنتج لعصير العنب وأخنوخ أول من أشتاق لله. يعلمنا الكتاب المقدس هنا أن نتبع خطى أحد الأمثلة. لذلك يُعتبر إيليا مثالاً عظيمًا ومُرشدًا في حماسة لله. ويُصبح الذين يُقلدون حماسه ويتبعون خطواته الشجاعة، قطيعا للماعز وراعيه هو سيد هذه الحياة. ويصيرون مجد وفخر الكنيسة، ويظهرون كحلية في الشعر وحياتهم بعيدة كل البعد عن الحواس الجسدية.

وتُمجد أيضًا أسنان العروس لأنها تغذى جسد الكنيسة. يرغب العريس دائمًا أن تكون هذه الأسنان نظيفة من القاذورات، ليس عليها شعر لأن شعرها قد تم قصه حديثا، وتحمل توائم حسب ميلاد الفضائل، وتظهر وكأنها حطمت بواسطة أسنانها كل عيب للنفس أو الجسد. ويرمز الخيط القرمزي على شفتيّ العروس إلى وظيفة الكلام الذي يُسميه النبي حارس وباب المعنى: "اجعل يا رب حارسا لفمي، احفظ يا رب شفتيّ" (مز ١٤١:٣). هكذا يكون الحال عندما يفتح الشخص فمه ليتكلم ثم يقفل حسب كل نشاط في وقته المناسب. نحن نعرف من النبي ذكريا أن هذا الخيط هو للقياس (ذكريا٢:١)، الذي يمسكه ملاك على هيئة عصا. وخيط القياس هذا مُلائم بصفة خاصة لأن كان ذا لون أحمر، كرمز للفداء. فإذا كان المسيح يتكلم خلال أي شخص مثل بولس (٢ كو ١٣:٣). فإنه يقلد فداء المسيح لنا بدمه بواسطة هذا الخيط القرمزي على شفتيه كنوع من خيط القياس الذي اكتسب اللون الجميل في الدم.

تشرح الكلمات التالية ما قد تناولناه بالتفسير فيما سبق. فكلام العروس الجميل هو خيط قرمزي. أنه يُشير إلى القوة والمثابرة، لأن جمالها الناضج والمناسب لوقته يظهر في وقت اكتماله وقوته. وتزدان خدودها باللون الأحمر الذي يشبه جلد ثمرة الرومان. وهي تشهد لكمال العروس في الخير لأنها كنز لكل الخير. وكما يحيط الجلد بالجزء الذي يؤكل من فاكهة الرومان، فكذلك جمالها الخارجي يوضح كنزها الداخلي. لذلك يُحيط شيء يشبه جلد الرومان بالكنز المخفي لرغبات العروس، وهي ثمرة نفسها التي تنتج من الحياة الفاضلة.

يظهر لي أن الفقرة "خدك تحت نقابك" تعني أن تمجيد العروس لايحدد بالكلمات بل "سكوتها" تحت النقاب يجذب الآنتباه. يضاد السكوت الكلام لأننا نسكت عندما لانتمكن أن نعبر عن أى شيء بالكلمات. فإذا كان السكوت مضاد للكلام فالعكس صحيح: الكلام "خارج عن السكوت" لذلك يمكن قراءة النشيد هكذا "خارج عن سكوتك وهذا يعني بوضوح أن أى شيء غير ظاهر بالكلام وينتمى إلى السكوت هو جميل، وهو عظيم جدًا حتى لا يمكن التعبيرعنه وأجمل جدًا من الكلمات"

ى هيئة عصا. وخيط القياس هذا مُلائم بصفة خاصة لأن كان ذا لون أحمر، كرمز للفداء. فإذا كان المسيح يتكلم خلال أى شخص مثل بولس (٢ كو ١٣:٣). فإنه يقلد فداء المسيح لنا بدمه بواسطة هذا الخيط القرمزي على شفتيه كنوع من

خيط القياس الذى اكتسب اللون الجميل في الدم.

تشرح الكلمات التالية ما قد تناولناه بالتفسير فيما سبق. فكلام العروس الجميل هو خيط قرمزي. أنه يُشير إلى القوة والمثابرة، لأن جمالها الناضج والمناسب لوقته يظهر في وقت اكتماله وقوته. وتزدان خدودها باللون الأحمر الذي يشبه جلد ثمرة الرومان. وهي تشهد لكمال العروس في الخير لأنها كنز لكل الخير. وكما يحيط الجلد بالجزء الذى يؤكل من فاكهة الرومان، فكذلك جمالها الخارجي يوضح كنزها الداخلي. لذلك يُحيط شيء يشبه جلد الرومان بالكنز المخفي لرغبات العروس، وهي ثمرة نفسها التي تنتج من الحياة الفاضلة.

يظهر لي أن الفقرة "خدك تحت نقابك" تعني أن تمجيد العروس لايحدد بالكلمات بل "سكوتها" تحت النقاب يجذب الآنتباه. يضاد السكوت الكلام لأننا نسكت عندما لانتمكن أن نعبر عن أى شيء بالكلمات. فإذا كان السكوت مضاد للكلام فالعكس صحيح: الكلام "خارج عن السكوت" لذلك يمكن قراءة النشيد هكذا "خارج عن سكوتك وهذا يعني بوضوح أن أى شيء غير ظاهر بالكلام وينتمى إلى السكوت هو جميل، وهو عظيم جدًا حتى لا يمكن التعبيرعنه وأجمل جدًا من الكلمات"

دعونا الآن نلتفت إلى التمجيدات التالية: يصف التكوين (تك ٢٩) بئر على فمه حجر ثقيل فيصعب على راعية الأغنام أن تحرك الحجر لتسحب ماء من الئر. تمكن يعقوب من إزاحة هذا الحجر وملأ الأواني بالماء ومكّن الغنم من الرتواء. بماذا يمكننا أن نقارن هذا البئر؛ "هن ستون ملكة وثمانون سرية وعذارى بلا عدد. واحد هي حمامت كاملتى. الوحيدة لأمها هي عقيلة والدتها هي" (نش ٦،٩:٨). من الذى سيدحرج الحجر لنا من على الممر الغامض؟ من الذى سيخرج لنا الماء الفهم الذى يقع بعيدًا عن قدرة فهمنا؟ يُخيّل لي أن معرفة هذه الأمور تتبع كلام الرسول: "إنكم في كل شيء استغنيتم فيه في كل كلمة وكل علم" (١ كو ٥:١). لانستطيع أن نفهم الكنوز المخفية في كلمات النشيد هذه وذلك لفقرنا، ولكن لكي لانُدان نتيجة تكاسلنا، فسوف لا نتردد في شرح الكتاب كما يأمرنا الناموس (يو ٣٩:٥).

نحن نقول أن تمجيد العروس هي دروس لتعليمنا عن أمور أكثر رفعة. وهذا التعليم هو كما يأتي: لا تُخلق الأحياء ولا تتجدد حسب نفس الترتيب والنظام. يستمر الخلق منذ بدأ بواسطة القوة الإلهية، لذلك فنهاية كل كائن ترتبط ببداية، فكل شيء خُلق من لاشيء جاء إلى الوجود ببدايته. خُلقت أيضًا الطبيعة البشرية ولكنها لا تتقدم إلى كمالها مثل بقية المخلوقات لأنها منذ البداية خُلقت كاملة: "وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا على شبهنا" (تك ٢٦:١). هنا توجد أعلى قمة في الكمال والرفعة. ماذا يُوجد أعلى وأرفع من التشبه بالله؟ لذلك آخر الخليقة الأولى هي في نفس الوقت بدايتها، لأن الطبيعة البشرية ابتدأت بالكمال. ولكن لما أصبحت الطبيعة البشرية خاضعة للموت لجنوحها إلى الشر تحطم الاِستمرار في الخير. فلم تأخذ الطبيعة البشرية كمالها للمرة الثانية مباشرة كما يحدث في البداية، ولكنها تدرجت في الخير بواسطة أمر الذي أزال عنا تدريجيًا ميولنا نحو الشر. لم يكن هناك عوائق مع ميلاد طبيعتنا البشرية لأنها كانت كاملة وخالية من

الشر. ولكن في التجديد الثاني، لزم أن تكون هناك فترة من الزمن رافقت هؤلاء الذين ساروا في درب الخير الأول. ولما كانت عقولنا تميل إلى الشر، فارتباطنا ومشاركتنا للشر يمكن أن يُنزع منا مثل القلف الذي يغلف ساق الشجرة بواسطة سلوكنا في حياة الفضيلة.

علمنا أن في بيت أبينا منازل كثيرة (يو ١٤:٢) يقابل هذا حد ما الحالة الخيّرة لكل شخص الذي يرفض الشر كعلاج. فمثلاً الشخص الوارث بعض المواهب الجيدة منذ بدء حياته وخروج من ممارسة الشر حديثا إلى السلوك السوي والحق، يقابل هذا شخص آخر وصل إلى السلوك السوي والحق بالمثابرة والتقدم فيها. بينما شخص ثالث نمى بواسطة رغبته في الخير، وأيضًا شخص آخر يبقى مستمرا بحزم في ارتفاعه إلى مستوى عال في الفضيلة، وقد يتمكن شخص آخر أن يتقدمه في الارتفاع إلى مستوى أعلى. وقد يسبق البعض هؤلاء، بينما يحاول آخرون بشدة في ارتفاعهم. يقبل الله كل شخص حسب إرادته الحرة، ويرتب الاختيار حسب إستحقاق كل شخص فيمنح تعويضا للأشخاص الأكثر نبلاً ويعطى جوائز لمن هم أقل مستوى.

تعلمنا السطور السابقة عن المستويات المختلفة للنفوس التي تضع العريس نصب أعينها. يذكر العريس الوصيفات دون أن يحدد عددهن والبعض الآخر سرايا (خليلات دون زواج رسمى) وأخريات ملكات. ويوجد ثمانون سرية وستون ملكة وفوقهن تأتي العروس وهي الوحيدة "كالحمامة الكاملة" "وحيدة أمها" والمختارة الوحيدة لمن ولدتها. قد يرقد البعض في عمق الخطأ حتى وهم لايزالون في الرحم. لا يتمكن المولودون حديثًا من التعبير عن أى شيء. ولعدم قدرتهم على الارتفاع والصعود إلى مستوى عال، يُنظر إليهم كأنهم بلا عدد. ويعتقدون أن سرّ كلمة الله هي الخلاص، غير أنها لاتُقيم الحق بداخلها بالمعرفة والتأكيد. يسمى مثل هؤلاء الأشخاص الوصيفات (العذارى) الصغار. لأنهم وصلوا إلى مرحلة الشباب الروحي. تبنتهم كلمة الإيمان لكنهم لم يتقدموا إلى الأمام للزواج أو ليصلوا إلى الكمال. وبدلاً من ذلك امتلأوا بالخوف من الله وحصلوا على روح الخلاص، غير أن فهمهم لازال في مرحلة الطفولة الغير كاملة أو الغير قادرة على الحكم السليم. غير إنهم سيكونون بين المُخلّصين حسب قول النبي: "الناس والبهائم تخلص يا رب" (مز ٦:٣٦). وهنا يسمى الغير منطقيين "بالبهائم" المخُلّصين.

يمكن تقسيم الأشخاص الذين وصلوا إلى مرحلة التي تلى مرحلة الطفولة إلى نوعين: ينمو البعض بواسطة الدراسة والتفكير بينما البعض الآخر ينموا بإتحادهم مع كلمة الله وارتباطهم بالحب العميق (مثل هذه النفوس تشبه داود وبولس). فيقولون: "أما أنا فالاقتراب إلى الله حسن لي" (مز ٢٨:٧٣) وأيضًا من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أنه لا الموت أو الحياة ولا الأمور الحاضرة ولا الآتية ولا أى شيء آخر يمكن أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا (رو ٨:٣٥-٣٩). وعلى الجانب الآخر يوجد أشخاص آخرون وهؤلاء يهربون من خطيئة الزنا نتيجة لخوفهم من العقاب، فيبقون غير فاسدين وطاهرين، ولكنهم يرفضون الشر من خلال الخوف لا الرغبة. ولكن يوجد من هم أكمل، الذين يتحدون في عدم فساد

مع طهارة الله، ويسمى هؤلاء "بالملكات" نتيجة لاتصالهم بالملك. ويُسمى الأشخاص الذين يزرعون الفضيلة نتيجة للخوف "بالسرايا". فالسرايا وأم الملك لا يشاركن في عظمة الله ونبله. إذ كيف يمكن أن يفصل الشخص، الذي ينقصه العقل المدبر بالفضيلة، نفسه من الشر بخنوع العبيد ؟ تُشير كلمة "ملكات" إلى الأشخاص الذين اِستحقوا الوقوف إلى جانب اليمين من الملك. وهو يقول لهم: "تعالوا يا مباركي أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (مت ٢٥:٣٤). ويقول لهؤلاء الذين هم أقل في المستوى: "خافوا من الذى بعد ما يقتل له سلطان أن يلقى في جهنم" (لو١٢:٥).

يوضح الاختلاف في العدد بواسطة رمزية، الحد الفاصل بين المجاميع المختلفة. كيف يمكن التعبير عن هذا؟ يوجد ست وصايا تؤهل إلى الحصول على ملكوت الله. ويهب الله لكل خادم أمين وزنة لحفظ كل واحدة من هذه الوصايا. ويجب أن يضاعف الخدام هذه الوزنة عشر مرات من خلال العمل الطيب، حتى يتمكنوا من دخول فرح سيدهم بعد ما يرى امانتهم في القليل فيقيمهم على الكثير (لو١٩:١٧). فإذا ارتبطت النفس بالملك من خلال هذه الست وصايا، فالوزنة التي وُضعت للعمل تضاعف الوصايا عشر مرات. كما يقول الخادم الأمين وزنة واحدة تعمل عمل عشرة. لذلك نجد أن الملكة الواحدة تضاعفت إلى ستين ملكة. فهي مرتبطة بالمملكة من خلال المضاعفة عشر مرات للست وصايا. وتقسم الوصية حسب الأشكال المتباينة لطبيعة الوصايا إلى عدد كبير، ويتحدد الوصول إلى الكمال حسب كل وصية على حدة. لذلك فملكة واحدة تُصبح ستين حسب الأشكال المتعددة للوصايا. تربط العروس نفسها بمملكة المسيح، وبينما تكون واحدة من الملكات، تنمو من خلال هذه التمجيدات حسب الوصايا.

قد ترمز الست وصايا مضروبة في عشرة التي تُزرع في نفس واحدة إلى الستين ملكة. ويشبه ذلك عندما نقول أن الرقم ثمانية يرمز إلى السرايا. الثمانين، أو الأشخاص الذين تعلموا من خلال الخوف أن لا يشتركوا في فعل الشر. تحفزنا المزامير مثل مز ٦ أو٨ على الخروج من دائرة الخوف على الأشياء التي نأمل في الحصول عليها وأيضًا تُميل أذن الله إلينا لكي يرجمنا. يتكلم الرقم ٨ عن القاضي المخيف" ارحمني يا رب لأني ضعيف اشفني يا رب لأن عظامي قد رجفت، ونفسي قد ارتاعت جدا وأنت يا رب فحتى متى عد يا رب نج نفسي. خلصني من أجل رجمتك" (مز ٦:٢-٤). كذلك يقول داود: "لأنه ليس في عالم الموت من يذكرك أو في مقر الأموات من يسبحك لقد أرهقني تنهدي، فاغرق سريري في كل ليلة بدموعي" (مز ٦،٦:٥). (لأن الذين أدينوا يصرخون ويُسمع صرير أسنانهم ولا يمكن أن يشعروا بالسعادة عندما يتذكرون الله). وفي موضع آخر يقول النبي: "اذكر الله فأئن. أناجى نفسي فيغشى على روحي" (مز ٧٧:٣). يوضح النبي خوف الشخص من الرقم ٨ بكلمات مشابهة عندما ينال بعضا من رحمة الله: "ابعدوا عنى يا جميع فاعلي الإثم. لأن الرب قد سمع صوت بكائي" (مز ٦:٨). يُعبر الوحي الإلهي عن أمثلة عديدة لمثل هذا الخوف، لذلك فلدينا عشرة أضعاف زيادة عن الست وصايا. لذلك فخوف الله قد ينجح في تحويل الشخص، الذي تعلم بواسطة كتاب المزامير،

عن الشر ليعمل الخير. ويمكن أن يتضاعف خوفهم من خلال العمل الصالح مثل ما تتضاعف قيمة العملة. تحصل النفس على المركز الثاني بعد الملكة، ويظهر جمالها نتيجة للخوف، وليس الحب، ويتضاعف إلى الرقم ثمانين. وتظهر كل أعمال الشخص من خلال الخوف حسب العدد ثمانية الذي يتضاعف عشر مرات. يقارن الشخص بالسراري وليس بالملكة، لأنه يصل إلى الخير من خلال خوف العبودية الذي يظهره للعريس بدلاً من الحب يحصل هذا الشخص على الرقم ثمانين بواسطة الخوف من الرقم ثمانية الذي يتضاعف عشر مرات بواسطة الأعمال الصالحة.

تحكي قصة هاجر أن السارية ولدت من زواج غير شرعى ولا تليق بالزواج كم شخص عريق المولد. فلا يشارك مثل هذا الشخص الملكة ولا يستحق أن يرث في الميراث الملكي لأنه ولد كعبد: "فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لايرث مع ابني أسحق" (تك ٢١:١٠). إذا ظهر أن تحليلنا للأرقام في الفقرة السابقة أنه مبالغ فيه، فيجب على القارئ أن يتذكر أنه من الصعب أن نفهم الحق الوارد في كلمات النشيد. لقد فحصنا هذه الرموز بطريقة عامة فقط حتى لانتركها دون فحص.

إذا طرد الحب الخوف كما يقول الرسول: "لا خوف في المحبة، بل المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى الخارج لأن الخوف له عذاب وأما من خاف فلم يكتمل في المحبة" (١ يو ٤:١٨). لكن إذا تغير الخوف إلى حب، يتبع ذلك الاِتحاد، نتيجة للخلاص. لأن الجميع يتحدون مع هذا الخير الوحيد من خلال الكمال الذي يرمز إليه بالحمامة: "واحدة هي حمامتي كاملتي الوحيدة لأمها. هي عقيلة والدتها هي" (نش ٦:٩). يشرح السيد المسيح هذه الفكرة في الإنجيل بوضوح أكثر. عندما منح التلاميذ كل القوة من خلال بركته، أعطى أيضًا بركات لقديسيه بواسطة صلاته للآب. وأضاف تاج هذه البركات حيث يُشير الرسول: "وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد" (يو ١٧:٢٢). أي يجب ألا يختلفوا على الخير، بل يتحدوا في رأيٍ واحدٍ من خلال وحدة الروح القدس. وكما يقول الرسول بولس: "مجتهدين أن تحافظوا على وحدة الروح برابطة الوفاق فإنما هناك جسد واحد وروح واحد" (أف ٤:٣).

من الأوفق هنا أن أذكر كلمات الإنجيل: "ليكون الجميع واحدًا كما أنت أيها الآب في وأنا فيك ليكونوا هم أيضًا واحدًا فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتني " (يو ٢١). العظمة والمجد لرابطة هذه الوحدة. الروح القدس هو هذا المجد والعظمة، ولا يمكن أن ينكره أي شخص يفحص بدقة كلام السيد المسيح وهو يقول: "وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني" (يو ١٧:٢٢). في الحقيقة أعطى السيد المسيح هذا المجد لتلاميذه عندما قال لهم "اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠:٢٢). لقد اِستقبل كلمة الله هذا المجد الذي كان عنده قبل تأسيس العالم عندما ألبس نفسه الطبيعة البشرية. لذلك تمجدت الطبيعة البشرية بالروح القدس ونتج عن تلك العلاقة توزيع مجد الروح القدس على كل واحد يتحد بالمسيح ابتداء بالتلاميذ. وهكذا يقول المسيح: "وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحدًا كما أننا نحن واحد.

أنا فيهم وأنت في ليكونوا مُكملين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني" (يو ١٧:٢٢، ٢٣). فالذي ينمو بسرعة من مرحلة الشباب إلى مرحلة الرجولة الكاملة يصل إلى مستوى هذا العصر الروحي (أف ٤:١٣)، حتى لو كان المولود من عبد وإحدى أسراري، فإنه حصل على الاِستحقاق الملكي ومجد الروح القدس بالانفصال والنقاء. هذه هي الحمامة الكاملة التي يبحث عنها العريس عندما يقول: "واحدة هي حمامتي كاملتي الوحيدة لأمها هي عقيلة والدتها هي".

نحن نعرف أم الحمامة لأن الشجرة تُعرف من ثمارها. وبالنسبة للإنسان فلا شك أنه ولد من إنسان. لذلك سنعرف أم الحمامة المختارة لأنها مثل هذه الحمامة المذكورة، لأن طبيعة الوالدين تظهر في الابن. وبما أن الذى يولد من الروح القدس هو أيضًا روح فالمولود هو حمامة. فحقيقة الأم هي حمامة التي نزلت من السماء عند نهر الأردن، وكما شهد يوحنا المعمدان(يو ١:٣٢). هذه هي الحمامة التي يُسميها الوصيفات بالمجيدة والتي يمدحها كل من السرارى والملكات. ويبقى الطريق مفتوحًا لجميع النفوس من كل مستوى لهذا المجد. لذلك يقول النشيد: رأتها البنات ومجدتها ومدحتها الملكات والسرارى (نش٦:٩). يتمنى كل واحد أن يعرف ما يمجدنه ويمدحنه، لذلك يمدحن البنات الحمامة ويرغبن بكل الوسائل أن يُصبحن حمامات ويظهر حماسهن في أن يُصبحن مثل ما يمدحنه من مدحهن للحمامة. سنتظر الجميع إلى نفس الهدف وكل شر سوف يتحطم وسيكون الله الكل في الكل وسوف يتحد جميع الأشخاص مع بعضهم البعض في شركة مع المسيح يسوع ربنا له المجد والقوة الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور آمين.